سلسلة
المدخل المفيد إلى علم التوحيد (١)

علم التوحيد
عند أهل السنة والجماعة
المبادئ والمقدمات

لأبي عبد الله
د. محمد يسري

عِلْمُ التَّوْحِيدِ

عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ

الْمَبَادِئُ وَالْمُقَدِّمَاتُ

سلسلة
المدخل المفيد إلى علم التوحيد (١)

علم التوحيد

عند أهل السنة والجماعة
المبادئ والمقدمات

لأبي عبد الله
د. محمد يسري

بين يدي الكتاب

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل، فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، وبعد....

فإن توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة هو غاية خلق العالمين، وهو أصل دعوة المرسلين، وهو أول ما يخاطب به الناس من أصول الدين، وهو سبب العصمة والأمن في الدنيا والنجاة والفوز في الآخرة، وهو الشرط لصحة وقبول سائر الطاعات.

أما إنه غاية خلق العالمين، فلقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦].

وأما إنه دعوة الرسل أجمعين فلقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦]، فالتوحيد حق الله على العبيد.

وأما إنه أول ما يخاطب به الناس من أمور الدين فلقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران:٦٤]، ولقوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه حين أرسله إلى اليمن: "**يا معاذ: إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم**" الحديث(١).

وأما إنه سبب العصمة والأمن في الدنيا فلأن الإقرار بالتوحيد يعصم الدم والمال، ويثبت عقد الإسلام، كما قال ﷺ: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه، إلا بحقه، وحسابه على الله**"(٢). والتوحيد يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأما إنه سبب النجاة والفوز في الآخرة فلقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة:٧٢]،

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٢٥)، ومسلم (١٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠، ٢١)، واللفظ لمسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولقوله ﷺ حين سئل: وما الموجبتان؟ فقال: "**من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار**"(١)، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: "**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة**"(٢).

وأما إنه الشرط لصحة وقبول سائر العبادات، فلقوله تعالى في حق المؤمنين العاملين: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء:١٢٤]، ولقوله جل وعلا عن أعمال الكافرين: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣]. فالشرك محبط لجميع الطاعات، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [الزمر:٦٥]، فكما لا تقبل صلاة بغير وضوء، لا تقبل عبادة بغير توحيد.

فالتوحيد أول ما يتعلمه المسلم، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩]، وأوجب ما يدعو الناس إليه، قال تعالى على لسان أنبيائه: ﴿ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف:٥٩]، فهو عمدة الأصول التي ينطلق منها الداعية في دعوته إلى الله، وخلافته لرسول الله ﷺ خاصة، ولرسل الله عامة.

والتوحيد أصل كل صلاح في هذه الحياة، كما أن الشرك أصل كل فساد، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فأصل الصلاح: التوحيد والإيمان، وأصل الفساد: الشرك والكفر"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٩٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٤٠) بسند صحيح.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٨/١٦٣).

ولأجل ذلك كله كان السلف الصالح رضوان الله عليهم يعتنون بالتوحيد علمًا وتعليمًا، كما يعتنون به عملاً وتطبيقًا ودعوة، وكان عمدهم في التعليم والتلقين آيات الكتاب الكريم، وأحاديث النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فلم تقم لديهم حاجة إلى التدوين لتعويلهم على الوحيين، فلما نبتت البدع وظهرت الفرق، اضطر السلف إلى كتابة الردود على أهل الأهواء، بجمع الآثار والأحاديث المروية في الأبواب التي وقعت فيها المخالفة، ثم كتبت كتب تجمع الآثار مرتبة على مسائل الاعتقاد نصرة للحق وبيانًا لصحيح المعتقد.

ثم دونت مسائل العقيدة عند أهل السنة مستدلاً عليها مع مناقشة مذاهب أهل البدع والرد عليها، وكان هذا في مقابل ما ألَّفه أهل الأهواء في تقرير انحرافاتهم.

ثم إن المتأخرين عنوا بتدوين مقدمات ومفاتيح للعلوم، تتضمن عشرة مبادئ للتعريف بالعلم، لتنشط الطالب في تحصيله، وتعينه في طريقه.

فقال قائلهم:

إن مبادئ كلِّ فنٍ عشرة ... الحدُّ والموضوعُ ثم الثمرة

فضلُه ونسبةٌ والواضع ... الاسمُ الاستمدادُ حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومن درى الجميع حاز الشرفا

وكان علم التوحيد من العلوم التي كتبت فيها تلك المقدمات، والمبادئ الممهدات؛ فكان العجب لا ينقضي حين قدَّم المتكلِّمون لعلم التوحيد فسموه بغير اسمه! وعرَّفوه بما يزيده إبهامًا! وقرّبوه للطالب فصعَّبوا مناله، وأقاموا أدلته بما يملؤه التباسًا، وموّهوا بأن واضعه بعدما جاءت به المرسلون، بعض المتأخرين عن عصر التابعين وتابع التابعين، وألبسوا حُلَلَ فضله ــ زورًا وبهتانًا ــ لما أسموه "بعلم الكلام"، المقتبس من منطق وفلسفة اليونان.

فأردت أن أصل مؤلفات أهل السنة العظيمة في علم التوحيد، بمقدمة في التعريف به، تعيد الحق إلى نصابه، وتدفع عن مبادئ علم التوحيد شبهاته، فاستعنت بالله تعالى وهو خير مستعان، فكتبت معرِّفًا بأهل السنة والجماعة، وبينت حقيقة منهجهم، وبم تتم النسبة إليهم، ونسجت على تلك المبادئ العشرة لعلم التوحيد على طريقتهم، فليس بين ما كتبه المتكلمون وبين ما في هذا الكتاب من مبادئ علم التوحيد إلا الأسماء.

ثم أردفت ببيان خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة، ثم أردفت ببيان قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

وأخيرًا ختمت الكتاب بملحقين، تضمن أولهما فهرسة تفصيلية لموضوعات ومسائل الاعتقاد، وتضمن الثاني تعريفًا بمائة كتاب من كتب الاعتقاد الصحيح من لدن "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة النعمان وإلى وقت الناس هذا.

ولسان الحال والمقال ينطق بأن السلف أهل السنة والجماعة، هم أهل الإسلام السالم عن كل شوب، الصافي عن كل كدر، وهم من لدن النبي ﷺ وإلى يوم الناس هذا على نمط واحد في الاعتقاد، لا يخرجون على الحق، ولا يخرج الحق عنهم.

وهذا الكتاب وإن خلا عن سرد عقائدهم، وبيان تفاصيل أصولهم ومناهجهم إلا أنه يمثل مدخلاً مهمًا لطالب هذا العلم، ويمهد لمدخل ثانٍ ــ يلحقه قريبًا بعون الله تعالى ــ يميز به السالك على طريق التوحيد أهل البدع، ويتعرف على أنواعهم، وأحكامهم، ومناهج النظر والتلقي لديهم، ومنهج أهل السنة في معاملتهم.

ثم يأتي الكتاب الثالث بجمل عقائد أهل السنة مسندة ومسدّدة، تبيانًا

وبرهانًا على معتقدات الأئمة، وفرقانًا بين السنة والبدعة.

وهو واسطة عقد هذه المداخل، وحجر الزاوية منها وبخروج هذا المدخل الأول يكون الثاني في إثره، ويتلوهما الثالث بإذن الله تعالى ومشيئته.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أزجي الشكر عاطرًا، والدعاء خالصًا إلى كل من أعان على إكمال هذه المداخل بقلم أو رأي أو نصح أو جمع أو مراجعة.

والله أسأل أن يتقبل منا جميعًا بقبول حسن، وأن يحسن نياتنا في جميع أقوالنا وأعمالنا، إن ربي قريب مجيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

أبو عبد الله

محمد يسري

القاهرة

غرة ربيع الأول ١٤٢٥هـ

هاتف نقال: ٠٠٢٠١٠١٧٠٢١٥٤

E.mail: mohamed_yousri@hotmail.com

الباب الأول
أهل السنة والجماعة

الفصل الأول: مصطلح أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني : سبب التسمية وذيوعها.

الفصل الثالث: مشروعية هذه التسمية.

الفصل الرابع: بين مصطلح أهل السنة ومصطلحات أخرى.

الفصل الخامس: الانتساب لأهل السنة والجماعة.

الفصل الأول
مصطلح أهل السنة والجماعة

أولاً: تعريف المصطلح باعتبار مفرداته:

١- تعريف السنة لغة واصطلاحًا:

السنة لغة[(١)]:

السيرة والطريقة: حسنة كانت أو قبيحة، وهي مأخوذة من السَنَن وهي الطريق.

قال ابن فارس: "سن - السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنُّه سنًّا، إذا أرسلته إرسالاً".

"ومما اشتق منه السُّنة، وهي السيرة، وسنة رسول الله ﷺ سيرته. قال الهُذلي:

فلا تجزعنَّ من سيرة أنت سرها ... فأول راضٍ سنـــةً من يسيرها"[(٢)].

وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [النساء:٢٦]، أي: يهديكم سنن الذين من قبلكم، يعني طرائقهم الحميدة[(٣)].

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٦/٣٩٥-٤٠٢)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص١٥٥٧-١٥٥٩، ومختار الصحاح للرازي ص١٣٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٦٠-٦١).

(٣) تفسير ابن كثير (١/٤٨٠).

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ [الانفطار:٥]، قال: "أخرت من سنةٍ يُعمل بها من بعده"[١].

ومن ذلك الحديث: "**من سن في الإسلام سنة حسنة... ومن سن في الإسلام سنة سيئة**"[٢].

قال ابن الأثير: "وقد تكرر في الحديث ذكر السنة، وما تصرف منها، والأصل فيه: الطريقة والسيرة"[٣].

وهذا المعنى هو المراد هنا من معاني "السنة" اللغوية، وقد تُطلق السنة ويُرَاد بها:

– البيـــان:

كما قال الله تعالى: ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ [الأحزاب:٣٨، ٦٢].

نصب "سنة" على إرادة الفعل؛ أي: سَنَّ الله ذلك بمعنى بيّنه[٤].

– العادة الثابتة المستقرة:

كما في قوله تعالى:﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴾ [الإسراء:٧٧].

فالسنة هنا تعني: العادة الثابتة التي حكم الله بها وقضاها[٥].

---

(١) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٥٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/٤٠٩)، ولسان العرب لابن منظور (٦/٣٩٩).

(٤) لسان العرب لابن منظور (٣/٣٩٩).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/٥٤).

وهذا المعنى قريب من سابقه، وكلاهما يتفق مع التفسير السابق للسنة بالسيرة والطريقة.

وقيل: هي الصَّقْل والتزيين[١]، وقيل: التقوية[٢]، والذي يعنينا هنا هو المعنى الأول، وهو موافقٌ، لبعض المعاني الاصطلاحية للسنة.

السنة اصطلاحًا:

ثم إن السنة -بعد ذلك- لها معان اصطلاحية متعددة بحسب الفن الذي ترد فيه، فالسنة عند الفقهاء غيرها عند المحدثين، غيرها عند الأصوليين.

لكن يعنينا هنا معناها عند علماء الاعتقاد، وهي عندهم على معنيين: الثاني منهما متفرعٌ عن الأول، ومتأخِّرٌ عنه.

فالأول هو الأصل في إطلاق السنة في اصطلاح السلف، وهو:

"ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي وكل ما جاء به مطلقًا"

وهذا اصطلاح عامٌّ، فيشمل التوحيد وغيره، فالسنة بهذا الاعتبار تطلق على طريقة النبي ﷺ وأصحابه علمًا وعملاً، اعتقادًا وسلوكًا، خلقًا وأدبًا، وهي السنة التي يجب اتباعها، ويحمد أهلها، ويذم من خالفها.

فهي على هذا المعنى مرادفة للدين والشريعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "السنة هي الشريعة، وهي ما شرعه الله

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/ ٤٠٠)، والمعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/ ٤٧٣).

(٢) لسان العرب لابن منظور (٣/ ٣٩٦).

ورسوله من الدين"(١).

وقال أيضًا: "إن السُنَّة التي يجب اتباعها ويُحمَد أهلها ويذم من خالفها هي سنة رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد، وأمور العبادات، وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يُعرف بمعرفة أحاديث النبي ﷺ الثابتة عنه، في أقواله وأفعاله، وما تركه من قولٍ وعمل، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسانٍ"(٢).

فالسُّنة هي: ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، من الشرع والدين، والهدي الظاهر والباطن، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم، ثم أئمة الهدى العلماء العدول، المقتدون بهم، ومن سلك سبيلهم إلى يوم القيامة(٣).

ومن ذلك: قول الإمام مالك رحمه الله تعالى في وصف المدينة: "وهي دار الهجرة والسنة"(٤).

وقال ابن رجب: "وعن سفيان الثوري، قال: استوصوا بأهل السنة خيرًا فإنهم غرباء(٥)، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات"(٦).

ويشهد لهذا المعنى حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: "**فمن رغب عن سنتي فليس مني**"(٧).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٣٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٧٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٥٨).

(٤) التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (١٣٥٢).

(٥) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/٦٤).

(٦) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ص١٧، ١٨.

(٧) رواه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه.

فالإطلاق الأول للسنة هو ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل والهدي في أصول الدين وفروعه.

أما الإطلاق الثاني فيقصد به"العقيدة الصحيحة الثابتة بالكتاب والسنة"

حيث أطلق السلف مصطلح "السنة" على أصول الدين، وفرائض الإسلام، وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين، وعلى هذا جرى الإمام أحمد وغيره من الأئمة في تصنيفهم كتب الاعتقاد باسم السنة.

وعليه فالسنة تطلق عندهم على: "ما سلم من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة"(١).

وقال ابن رجب: "وكثير من العلماء المتأخرين يخص السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم"(٢).

ويُلاحظ في سبب هذا الإطلاق والاصطلاح الاعتقادي للفظ السنة؛ أن السنة من مصادر التلقي للعقيدة الصحيحة، وبها تثبت أحكام الاعتقاد.

فإذا قيل مذهب أهل السنة؛ فالمراد: معتقداتهم وأقوالهم في أصول الدين.

ومما يشهد لهذا المعنى قول سفيان بن عيينة: "السنة عشرة، فمن كن فيه فقد استكمل السنة، ومن ترك منها شيئًا فقد ترك السنة: إثبات القدر، وتقديم أبي بكر وعمر، والحوض، والشفاعة، والميزان، والصراط، والإيمان قول وعمل، والقرآن كلام الله، وعذاب القبر، والبعث يوم القيامة، ولا تقطعوا بالشهادة على

---

(١) كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة لابن رجب ص٢٦-٢٨.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/١٢٠).

مسلم"[١].

وقول الشافعي: "القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينـــزل إلى السماء الدنيا كيف شاء..."[٢].

وعلى هذا فالسنة تقابلها البدعة، وعليه يحمل قول ابن مسعود رضي الله عنه: "القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة"[٣].

وقول ابن عباس: "النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة"[٤].

وقال أبو المليح: "وكان كَتَبَ عمر بن عبد العزيز راجيًا السنة وإماتة البدعة"[٥].

وقال ابن يونس: "امتحِن أهل الموصل بالمعافى بن عِمْران فإن أحبُّوه فهم أهل سنة، وإن أبغضوه فهم أهل بدعة، كما يُمْتَحَنُ أهل الكوفة بيحيى"[٦].

وقال الأوزاعي: "كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٥٥، ١٥٦).

(٢) العلو للعلي الغفار للذهبي ص١٢٠.

(٣) رواه الدارمي (١/٨٣)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٥٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/١٩)، وصححه الألباني في صلاة التراويح ص٦.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٥٤).

(٥) التاريخ الكبير، لابن أبي خيثمة (٤٦٢٨).

(٦) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ (٤٦٥٧)، ومن طريقه اللالكائي (١/٦٦).

القرآن، والجهاد في سبيل الله"[١].

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "إياكم وأصحاب الرأي، فإنهم أعداء أهل السنة"[٢].

ومن هذا الباب ما يأتي بعد قليل عن ابن سيرين وغيره أثناء الكلام عن مصطلح أهل السنة باعتبار تركيبه الإضافي.

والسنة في هذا كله بمعنى الاعتقاد الصحيح المقابل لاعتقاد أهل البدع الباطل.

وكان السلف يفرقون في هذا المقام بين السنة والحديث، قال ابن مهدي: "الناس على وجوه، فمنهم من هو إمام في السنة، إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري"[٣].

ولما سئل ابن الصلاح عن الفرق بين قولهم عن مالك إنه جمع بين السنة والحديث فما الفرق بين السنة والحديث؟ أجاب رحمه الله: "السنة ههنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسان من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالك رضي الله عنه جمع بين السنتين، فكان عالمًا بالسنة أي: الحديث، ومعتقدًا للسنة، أي كان مذهبه مذهب أهل الحق من غير بدعة، والله أعلم"[٤].

فلما ظهرت البدع، وانتشرت الفتن، ميَّزَ أهل السنة أنفسهم، ببقائهم على

---

(١) رواه ابن أبي خيثمة في التاريخ (٤٧٠٢)، ومن طريقه اللالكائي (٦٤/١).

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣٢٧/٦).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٦٣/١).

(٤) فتاوى ابن الصلاح (٢١٣/١) بتحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي.

على أصل الإسلام والشريعة، وخرجت عنهم الخوارج، واعتزلتهم المعتزلة، ورفضت الروافض، فتشتَّتَ أهل البدع وتفرَّقوا، ومكث أهل السنة على أصلهم الباقي على مرِّ الزمان، وهو ما شرعه النبي ﷺ وسنَّه لهم من السنة والجماعة.

ولَمَّا كان أكثر الاختلاف بينهم وبين غيرهم في أمور الاعتقاد صار مفهوم السنة يعني السير على طريقة الصحابة والتابعين بإحسانٍ في أمور الاعتقاد خاصة، وأمور الدين عامة، ومن هنا نشأ المعنى الثاني للسنة.

٢- تعريف الجماعة لغة واصطلاحًا:

الجماعة لغة:

الجماعة: اسم مصدر اجتمع يجتمع اجتماعًا وجماعة، وصارت لفظة الجماعة تطلق على القوم المجتمعين بالنقل، حتى صارت حقيقة عرفية في القوم المجتمعين[(١)].

وقال ابن تيمية: "الجماعة هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين"[(٢)].

والجمْع: اسم لجماعة الناس، والإجماع: الاتفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر أي أحكمه، ومنه إجماع أهل العلم، أي: اتفاقهم على حكم مسألة.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢/٣٥٥-٣٦١)، والمعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/١٤٠، ١٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

الجماعة اصطلاحًا:

ذكر الإمام الطبري الأقوال في معنى الجماعة، ونقلها عنه ابن حجر[١]، وردَّ الأقوال إلى أربعة أقوال هي:

- السواد الأعظم من أهل الإسلام.
- أئمة العلماء المجتهدين المتبعين لمنهج الفرقة الناجية.
- الصحابة على وجه الخصوص.
- المجتمعون على أمير شرعي.

وكذا قال الشاطبي، وزاد قولاً خامسًا وهو جماعة أهل الإسلام[٢].

وبمحاولة الجمع والتوفيق بين هذه الأقوال المتعددة، يلاحظ أن جملة هذه المعاني تؤول إلى معنيين اثنين:

١- ما عليه أهل الحق من الاتباع وترك الابتداع، وهو المذهب الحق الواجب اتباعه والسير على منهاجه، وهذا معنى تفسير الجماعة بالصحابة، أو أهل العلم والحديث، أو الإجماع، أو السواد الأعظم، فهي كلها ترجع إلى معنى واحد هو: ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، فيجب الاجتماع على الاتباع حينئذٍ، ولو كان المتمسِّك بهذا قليلاً، وهذا معنى علمي، ويشهد له قول ابن مسعود رضي الله عنه: "إنما الجماعة ما وافق طاعة الله وإن كنت وحدك"[٣].

٢- المجتمعون على أمير على مقتضى الشرع، فيجب لزوم هذه الجماعة،

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٧).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٢/٢٦٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٠٩).

ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها، وهذا معنى سياسي تشهد له كثير من النصوص الشرعية.

وهذا ما رجحه جمع من أهل العلم كالقاضي ابن العربي وغيره(١).

وهو ما انتهى إليه د. عبد الرحمن المحمود في رسالته عن "موقف ابن تيمية من الأشاعرة"(٢)، والشيخ رضا بن نعسان معطي في تحقيقه ودراسته لكتاب "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية"(٣) لابن بطة، ود. محمد باكريم في رسالته "وسطية أهل السنة بين الفرق"(٤)، ود. جمال بادي في رسالته عن "وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق"(٥)، ود. ناصر العقل في رسالته "مفهوم أهل السنة والجماعة"(٦).

ثانيًا: تعريف المصطلح باعتبار تركيبه الإضافي:

وعلى هذا، فإن مصطلح أهل السنة والجماعة يُعنى به:

المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ، الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين(٧).

---

(١) انظر: عارضة الأحوذي لابن العربي (٩/١٠)، والاعتصام للشاطبي (٢/٢٦٠-٢٦٥)، وفتح الباري لابن حجر (١٣/٣٧).

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة للدكتور عبد الرحمن المحمود (١/١٦-١٧).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة، تحقيق رضا بن نعسان معطي. مقدمة المحقق ص٧١، ٧٢.

(٤) وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم ص٩١-٩٦.

(٥) وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق د.جمال بشير بادي ص٨٧-١١٥.

(٦) مفهوم أهل السنة والجماعة د.ناصر العقل ص٦٩، ٧٠.

(٧) يراجع: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢/٥٤٤-٥٤٦)، ورسائل في العقيدة لابن عثيمين ص٥٣، ومباحث في عقيدة أهل السنة د. ناصر العقل ص١٣، ١٤.

"وهم أهل السنة والجماعة: المتمسِّكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه"(١).

"فهم الذين اجتمعوا على السنة وأجمعوا عليها، واجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم، فجاء اسمهم ووصفهم مركبًا من أهل السنة والجماعة"(٢).

"وهم المتبعون للعقيدة الإسلامية الصحيحة، الملتزمون منهج الرسول ﷺ وأصحابه والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين"(٣).

وهم: المجتمعون على أئمتهم أبي بكر، وعمر ومن بعدهما، الصابرون على ولاتهم برّهم وفاجرهم.

كما سُئل الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله عن قول الناس: السنة والجماعة. وقولهم: فلان سني جماعي، وما تفسير السنة والجماعة ؟

فقال: "الجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب محمد ﷺ من بيعة أبي بكر وعمر، والسنة: الصبر على الولاة وإن جاروا وإن ظلموا"(٤).

فهم بالجملة كل من اجتمع على التمسك بالسنة ونبذ الفرقة، وجمع الدين قولاً وعلمًا وعملاً، مع الاجتماع على أئمة الحق والحرص على وحدة الصف، جمعًا بين واجبي الاتباع والاجتماع، واجتماعًا على الاتباع للمنهج الحق.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٤٣٤).

(٢) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د.ناصر العقل ص٧٥ - ٧٧.

(٣) المدخل لعقيدة أهل السنة د.البريكان ص١٣.

(٤) مشيخة ابن الحطاب ص١١٦.

ومما سبق.. فإن من الوجوه التي يمكن التعرف منها على أهل السنة ما يلي:

أولاً: أنهم هم صحابة رسول الله ﷺ الذين تعلموا سنته وعلّموها، وعملوا بها ونقلوها وحملوها رواية ودراية ومنهجًا، فهم أجدر من يستحق التسمي بأهل السنة؛ لسبقهم إلى السنة علمًا وعملاً وزمنًا.

ثانيًا: يليهم أتباعهم الذين أخذوا عنهم هذا الدين ونقلوه وعلّموه وعملوا به من التابعين وتابعيهم ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فهم أهل سنة رسول الله ﷺ الذين تمسكوا بها و لم يبتدعوا و لم يتبعوا غير سبيل المؤمنين.

قال الإمام أحمد رحمه الله: "هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المستمسكين بعروقها، المعروفين بها، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وأدركت عليها من علماء الحجاز والشام وغيرهما عليها، فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب، أو طعن فيها، أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع، وخارج عن الجماعة، زايل عن منهج السنة وسبيل الحق"(١).

وكل من اقتدى – من العوام – بأهل العلم والاتباع فهو من أهل السنة، قال ابن حزم رحمه الله: "وأهل السنة الذين نذكرهم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة فإنهم: الصحابة رضي الله عنهم، وكل من سلك نهجهم من خيار التابعين رحمة الله عليهم، ثم أصحاب الحديث ومن تبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها رحمة الله عليهم"(٢).

---

(١) العقيدة للإمام أحمد رواية أبي بكر الخلال ص٧٣.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/٩٠).

الفصل الثاني
سبب التسمية وذيوعها

نُسب أهل الحق إلى هذا المصطلح؛ لأجل حرصهم على السنة والجماعة.

فهم **أهل السنة**؛ لأنهم متبعون لحديث النبي ﷺ: "**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**"[١]. "فالسنة هي ما تلقاه الصحابة عن رسول الله ﷺ، وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم إلى يوم القيامة"[٢].

وهم **أهل الجماعة**؛ لأنهم يعتبرون الكتاب والسنة والإجماع مصادر معصومة من الضلال، فبها يأخذون، وعليها يعتمدون، ثم هم بعد ذلك مع أئمتهم مجتمعون، وبواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمون، وبالجهاد مع أئمتهم - فجارًا أو أبرارًا - آمرون ومجاهدون، يجتمعون على السنة والاتباع، والبعد عن الفرقة والابتداع، فهم أحق بالجماعة التي من تعلق بها نجا، كما ورد في حديث افتراق الأمة، حيث أخبر النبي ﷺ عن افتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي "**الجماعة**"[٣]، وفي رواية قال: "**ما أنا عليه وأصحابي**"[٤].

---

(١) رواه أحمد (١٦٦٩٢)، والدارمي (٩٥)، وابن ماجه (٤٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والحاكم (٣٢٩) من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٤٣٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٥٨).

(٣) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (٤٤٣) من حديث معاوية ابن أبي سفيان ﷺ. وصححه الحاكم، والشيخ الألباني في صحيح الجامع (٢٦٤١).

(٤) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (٤٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه" وقال المناوي في فيض-

وسبب ذيوع هذه التسمية يرجع إلى أول بدعة وقعت في الإسلام، بعد موته ﷺ، وهي بدعة الخروج على الأئمة، وتشقيق الصف، وثلم الجماعة، ونكث الصفقة والبيعة، حين اتخذ الخوارج منهجًا فكريًا عقائديًا خالفوا به جماهير المسلمين، فكفروا بالذنوب واستحلوا الدماء والأموال، فقاتلهم علي رضي الله عنه، وأجمع الصحابة على ذلك، ووقعت في أثناء ذلك الفتنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، وأريقت فيها الدماء، وتفرقت فيها الكلمة، ثم اجتمعت الأمة بعد ذلك على معاوية رضي الله عنه، بعد أن حقن الله دماء المسلمين بتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة، وسمي ذلك العام - عام إحدى وأربعين - بعام الجماعة.

وفي إثر بدعة الخوارج ظهرت بدعة الروافض، الذين اشتهروا بالكذب، بخلاف الخوارج الذين اشتهر معظمهم بالصدق، فكان من شأن أهل السنة مع الروافض أن سألوا عن الإسناد وعنوا به، روى الإمام مسلم في صحيحه عن ابن سيرين قال: "لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم"(١).

ثم ظهر قول القدرية(٢) بإنكار العلم السابق، وانتشر قول الجهمية والجبرية بأن العبد مجبور، فعقبت طائفة من أهل العلم بالرد على أهل البدع بتصنيف

=القدير (٣٤٧/٥): "وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، قال الذهبي: ضعفوه". وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي (٣٣٤/٧): "في سنده عبد الرحمن بن زياد الأفريقي وهو ضعيف، فتحسين الترمذي له لاعتضاده بأحاديث الباب". وحسّنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٥).

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١٥/١)، وأحمد في العلل ومعرفة الرجال (٣٦٤٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٨/٢)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل ص٢٠٩، والسمعاني في أدب الإملاء ص٥، والخطيب في الكفاية ص١٢٢.

(٢) وهم الذين تبرَّأ منهم عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما، حين سُئِلَ عنهم. كما في صحيح مسلم (٨). وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٦/١).

كتب في العقيدة أسموها "كتب السنة"، ومن ثمّ اشتهرت هذه الطائفة من أهل العلم بالحرص على السنة، وتمييز المقبول من المردود من الرواة والروايات، فتبلور منذ ذلك الحين هذا المصطلح، الذي أصبح لقبًا على كل من انتمى إلى أهل الحق المتبعين للسنة والآثار، الحريصين على جمع شمل المسلمين واتفاق كلمتهم في آن واحد.

حتى كان عصر الإمام أحمد بن حنبل، رحمه الله فأظهر الله تعالى إمامته وفضله، وحرصه على صفاء وجه السنة أن تخدشه بدعة القول بخلق القرآن – والتي جاء بها المعتزلة –، مع حرصه على وحدة الجماعة أن تنثلم بالخروج على المأمون، فأقام واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجهه الصحيح، فنصر الله به الملّة، وأعز به السنّة، وثبَّت به قلب الأمّة، ثم إنه قد اجتمعت لديه من أسباب الخروج على المأمون ما لم يجتمع لغيره، فقد أصغى الناس إلى الإمام سمعًا، وألقوا إليه بأزمَّة القلوب انقيادًا وحبًّا، وقد أتى المأمون ببدعته – متأولاً – كفرًا، فلما قيل للإمام: لِمَ لا تخرج على المأمون؟! قال: كرهت أن أفرِّق جماعة المسلمين، فلم تمنعه سطوة السلطان أن يقول بالحق إذ علمه، ولم يحمله بطش السلطان وتنكيله به على أن يخرج عليه فيكون سببًا في إعمال السيف في رقاب المسلمين.

وبهذا استقر مذهب أهل السنة على ترك الخروج على المبتدع والظالم من الأئمة، ما لم يأت كفرًا صريحًا لا تأويل فيه ولا شبهة، وخرج الإمام من هذه المحنة إمامًا للعامَّة، وعندها دعي الإمام أحمد بإمام أهل السنة والجماعة، وكان أول من لُقّبَ بهذا اللقب رحمه الله.

وفي هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فصار إمامًا من أئمة السنة، وعلمًا من أعلامها؛ لقيامه بإعلامها وإظهارها، واطلاعه على نصوصها وآثارها، وبيانه لخفي أسرارها، لا لأنه أحدث مقالة أو ابتدع رأيًا، ولهذا قال بعض شيوخ المغرب: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد؛ يعني: أن مذاهب الأئمة في الأصول مذهب واحد، وهو كما قال"[١].

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢/٦٠٦).

الفصل الثالث
مشروعية هذه التسمية

إن سند مشروعية هذه التسمية وتلك النسبة الشريفة ثابت بدلالة الكتاب وصحيح السنة وصريح آثار الصحابة والسلف، وبيان ذلك فيما يلي:

أولاً: دلالة الكتاب:

وتتمثّل في الآيات الآمرة باتباع النبي ﷺ وطاعته فيما أَتَى به، وأنَّ طاعته من طاعة الله عز وجل، والتحذير من مخالفته وعصيانه، فصار اتباع النبي ﷺ وطاعته اتباعًا للكتاب وطاعة للآيات القرآنية المشار إليها.

وقد ورد هذا المصطلح في سنة النبي ﷺ، فصار اتباعه اتباعًا للقرآن على الوصف المذكور.

وقد ورد تفسير بعض آي الذِّكْر الحكيم بالسنة والجماعة كما سيأتي هنا.

ومن ذلك أيضًا تفسير الصراط المستقيم بالسنة والجماعة[١].

ثانيًا:دلالة السنة:

إن هذا المصطلح والوصف مستمدٌّ في الحقيقة من سنة النبي ﷺ؛ لأنه الآمر بالعناية بالسنة، فقال: "**عليكم بسنتي**"[٢]، وهو الآمر بالجماعة، فقال: "**وأنا آمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة،...**"[٣]، وهو الذي نهى

---

(١) انظر: الإتقان للسيوطي (٢/٤٦٩).

(٢) حديث صحيح: سبق تخريجه ص٢٦.

(٣) أخرجه أحمد (١٦٧١٨، ١٧٣٤٤، ٢٢٤٠٣)، والترمذي (٢٨٦٣)، وابن خزيمة (١٨٩٥)، وابن حبان (٦٢٣٣)، والحاكم (٤٠٤) من حديث الحارث الأشعري ﷺ، قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).

عن الفرقة؛ فقال: "**من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية**"(١).

"فأهل السنة والجماعة إنما سماهم الرسول ووصفهم بذلك"(٢).

وليس لأهل السنة والجماعة رسم ولا اسم يتسمون به خصوصًا غير هذا الاسم، الذي يعني في الحقيقة التزام الجادة والمحجة البيضاء التي تركنا عليها النبي ﷺ، "فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"(٣).

سئل مالك رحمه الله عن السنة، فقال: "هي ما لا اسم له غير السنة، وتلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٥٣]"(٤).

ولما سئل مالك رضي الله عنه عن أهل السنة، قال: " أهل السنة الذين ليس لهم لقب يعرفون به، لا جهمي، ولا قدري، ولا رافضي"(٥).

ثالثًا: آثار الصحابة والسلف:

ومن ذلك قول ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران:١٠٦] "فأما الذين ابيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة، وأما الذين اسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة"(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٥٣، ٧٠٥٤)، ومسلم (١٨٤٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة د.ناصر العقل ص٧٨.

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٤٦/٣).

(٤) الاعتصام للشاطبي (٥٨/١).

(٥) الانتقاء لابن عبد البر ص ٣٥.

(٦) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٢/١)، والشرح والإبانة لابن بطة (١٣٧)، وتاريخ جرجان لأبي القاسم الجرجاني ص١٣٢، وانظر: فتح القدير للشوكاني (٣٧١/١).

وقال أيضًا: "النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة، وينهى عن البدعة عبادة"(١).

وقال سعيد بن جبير رحمه الله في قوله تعالى:﴿ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه:٢٨]: "لزم السنة والجماعة"(٢).

"ورُوِيَ نحوه عن مجاهد، والضحاك وغير واحدٍ من السلف"(٣).

وقال أيوب السَّخْتياني رحمه الله: "إذا كان الرجل صاحب سُنة وجماعة فلا تسأل عن أيِّ حالٍ كان فيه"(٤).

وقال عمرو بن قيس الملائي رحمه الله: "إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السنة والجماعة، فارجه"(٥).

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "إذا بلغك عن رجل بالمشرق صاحب سنة، وآخر بالمغرب، فابعث إليهما بالسلام وادع لهما، ما أقل أهل السنة والجماعة"(٦).

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٥٤).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٧١)، وتفسير البغوي (٣/٢٢٧)، وتفسير ابن كثير (٣/١٦٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٦٢).

(٤) المصدر السابق (٣٣).

(٥) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٣٣.

(٦) الورع للإمام أحمد ص١٩٤، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٦٤)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٧.

وقال قتيبة بن سعيد: "إذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل فاعلم أنه صاحب سنة وجماعة"[١].

وورد نحو هذا في المعافى بن عِمْران [٢]، وجماعة من الأئمة والرواة [٣].

رابعًا: نصوص العلماء واستعمال الأئمة

وقد نص العلماء على أن أهل السنة هم الصحابة ومن اقتفى آثارهم.

قال شارح الطحاوية رحمه الله: "هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين"[٤].

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ومذهب أهل السنة مذهب قديم معروف قبل أن يخلق الله تعالى أبا حنيفة ومالكًا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ﷺ، ومن خالف في ذلك كان مبتدعًا عند أهل السنة والجماعة... وأحمد بن حنبل وإن كان قد اشتهر بإمامة السنة فليس ذلك لأنه انفرد بقول أو ابتدع قولاً؛ بل إن السنة كانت موجودة معروفة قبله، علمها ودعا إليها، وصبر على من امتحنه ليفارقها، وكان الأئمة قبله قد ماتوا قبل المحنة"[٥].

وسبق قول ابن حزم رحمه الله: " أهل السنة هم أهل الحق، ومن عداهم فأهل البدعة، فإنهم - أي أهل السنة - الصحابة ﷺ، ومن سلك منهجهم من

---

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٣٠٨/١).

(٢) تهذيب الكمال للمزي (١٥٣/٢٨).

(٣) انظر على سبيل المثال: تهذيب الكمال للمزي (١٠٦/٢)، (٣٩٤/٧)، (٢٨٦/١١)، (٦١/١٦)، (٢٣ /٥٣٦)، (٥٩/٢٦).

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٥٤٤/٢).

(٥) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٦٠١/٢-٦٠٢).

خيار التابعين، ثم أصحاب الحديث، ومن اتبعهم من الفقهاء، جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها، رحمة الله عليهم"(١).

وقال أيضًا: "... وأنَّ من اتبع أحدًا دون رسول الله ﷺ فلم يتبع السنة ولا الجماعة، وأنه كاذب في دعواه السنة والجماعة، فنحن معشر المتبعين للحديث المعتمدين عليه أهل السنة والجماعة حقًا بالبرهان الضروري، وأننا أهل الإجماع كذلك"(٢).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "صار المتمسكون بالإسلام المحض هم أهل السنة والجماعة"(٣).

وهذا يشمل الصحابة ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين؛ ولذا بدأ علماء الاعتقاد عند ذكر أئمة أهل السنة والجماعة بالصحابة ثم مَنْ بعدهم مِنَ التابعين.

ومن ذلك:

قول اللالكائي في صدر كتابه: "باب سياق ذكْر مَنْ رُسِمَ بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله ﷺ إمام الأمة: فمن الصحابة: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعليٌّ " فَعَدَّ جماعة من الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ثم جماعة من التابعين من أهل المدينة ومكة ومصر وبغداد وواسط وغيرهم (٤).

---

(١) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٢/١٠٧).

(٢) الإحكام لابن حزم (٤/٥٢٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥٩).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٢٩-٤٩).

وذكر موقف المعتزلة من أهل السنة والجماعة، ثم قال: "... ما قذفوا به المسلمين من التقليد" إلخ، فسوَّى بين "أهل السنة والجماعة" وبين "المسلمين"[(١)]، وهذا صريح في أنَّ أهل السنة والجماعة هم أهل الإسلام الصحيح المتلقَّى عن النبي ﷺ من لدن الصحابة وأتباعهم حتى آخر الزمان، فمن خالف هؤلاء في أصولهم لم يكن من أهل السنة والجماعة.

هذا وقد استعمل الأئمة هذا الاسم والمصطلح المبارك في النص على أمور الاعتقاد الصحيحة تمييزًا لها عن غيرها، كما فعل ذلك قتيبة بن سعيد الثقفي رحمه الله، ونقله عنه الذهبي في سير أعلام النبلاء[(٢)]؛ بل جعل بعض الأئمة هذا الاسم ضمن عناوين كتبهم في العقيدة كما فعل اللالكائي رحمه الله في كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، وكما فعل قوّام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله في كتابه "الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة".

خامسًا: ترادفه مع مصطلحات شرعية

ثم إن هذا المصطلح يرادف عند الإطلاق مصطلحات شرعية أخرى مثل أهل الحديث والفرقة الناجية والطائفة المنصورة، والسلف الصالح، كما سيتبين في المبحث التالي.

ومن جملة ما تقدم يتضح جليًّا أن مذهب أهل السنة قديم، وأن التسمية قديمة، تبدأ ببداية الإسلام؛ لأن أهل السنة على الحقيقة هم أهل الإسلام، المتبعون لسيد الأنام، وعلى هذا سار أئمة أهل السنة والجماعة، وكلام اللالكائي السابق قريبًا صريحٌ في ذلك، ويظهر هذا جليًّا بالنظر إلى صفاتهم

---

(١) المصدر السابق (١٣/١).
(٢) انظر على سبيل المثال: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/١١).

وخصائصهم، كما أن أول من دعي "بإمام أهل السنة" هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وفي هذا رد على من زعم أن مذهب أهل السنة والجماعة إنما عرف وظهر في زمن أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي، وأن أهل السنة هم الأشاعرة والماتريدية!! كما تبناه بعض العلماء قديمًا وحديثًا![1]. وفي نفي هذا الاسم عن الأشاعرة – مع قربهم في أصول ومسائل عقدية من أهل السنة – ما يقطع بانتفائه عن بقية أهل البدع والأهواء كالرافضة والمعتزلة وإن تنازعوا هذه التسمية الشريفة.

وكلٌّ يدَّعي وصلاً بلَيْلَى ... ولَيْلَى لا تُقِرُّ لهم بذاكَا

وكما قيل:

والدَّعاوى إنْ لم تُقَمْ عليها ... بيناتٌ أصحابُها أدعياءُ

(١) راجع في القديم كلام الباقلاني في "الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به" ص١٠٨، و"الفرق بين الفرق" للبغدادي ص٢٦، ومثله الإسفراييني في "التبصير في الدين" ص٢٥، وكذا الجويني والغزالي والرازي. وراجع في الحديث كلام الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في "كبرى اليقينيات الكونية" ص١٢٥، وكلام وهبي سليمان غاوجي الألباني في "أركان الإيمان" ص٢٥ وغيرهم كثير.

الفصل الرابع
بين مصطلح أهل السنة ومصطلحات أخرى

تقرر فيما سبق أن مصطلح أهل السنة والجماعة مما نطق بمعناه الكتاب والسنة، وتداول لفظه الصحابة والتابعون وأهل الحق من الأسلاف الصالحين. ومن المفيد أن نتناول مصطلحات أخرى تداولها علماء التوحيد والعقيدة في الدلالة على المذهب الحق في أمور الاعتقاد.

أولاً: الفرقة الناجية:

أما مصطلح الفرقة الناجية، فقد دلَّت عليه ظاهر الأحاديث الكثيرة التي رواها بضعة عشر صحابيًا، ويكفي في ثبوت وجود هذه الفرقة الناجية أن تكون هذه الروايات قد ذكرتها بعد ذكر افتراق الأمة.

ومن هذه الروايات: ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **"إن بني إسرائيل تفرّقت على إحدى وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت واحدة، وإن أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدى وسبعين وتخلص فرقة"**، قالوا: "يا رسول الله، مَن تلك الفرقة؟"

قال: **"الجماعة، الجماعة"**[(١)].

وفي رواية قال: **"ما أنا عليه وأصحابي"**[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد (١٢٠٧٠)، وابن ماجه (٣٩٩٣)، وأبو يعلى (٤١٢٧)، قال البوصيري في مصباح الزجاجة (٤/١٨٠): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات". أهـ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٤٢).

(٢) سبق تخريجه ص٢٥-٢٦.

ووصفها علي ﷺ بأنها المستحقة لقوله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٨١].

وورد في وصف غيرها من الفرق المناقضة لها أن في قلوبها زيغ، وأن الأهواء تتجارى بها كما يتجارى الكَلَب بصاحبه[١].

وهذا يقتضي بمفهوم المخالفة سلامة الفرقة الناجية من الهوى والزيغ.

وجملة هذه الأوصاف تقضي بأن هذه الفرقة الناجية هي عين أهل السنة والجماعة؛ إذ هي الجماعة، وهم المستمسكون بما عليه الصحابة[٢]، وهي أولى الناس بالسنة وأبعد الناس عن البدعة، فحيث أطلقت الفرقة الناجية فالمقصود بها أهل السنة والجماعة؛ لأنهم أولى الناس بالنجاة في الدنيا من الافتراق، وفي الآخرة من النار.

قال عبد القادر الجيلاني رحمه الله: "وأما الفرقة الناجية: فهي أهل السنة والجماعة"[٣].

وقال شيخ الإسلام في أول عقيدته الواسطية: "أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة..."[٤].

ثانيًا: الطائفة المنصورة:

وأما **مصطلح الطائفة المنصورة**، فقد ورد ذكره في أحاديث عدّة عن

---

(١) أخرجه أحمد (١٦٤٩٠)، وأبو داود (٤٥٩٧)، والحاكم (٤٤٣)، من حديث معاوية ﷺ. وصححه الحاكم والألباني في صحيح الجامع (٢٦٤١).

(٢) وانظر: فتاوى مهمة لعموم الأمة للشيخ ابن باز ص١٧.

(٣) الغنية لطالبي طريق الحق لعبد القادر الجيلاني ص٨٥.

(٤) العقيدة الواسطية لابن تيمية بشرح الشيخ هراس ص١٤.

تسعة عشر صحابيًّا، إضافة إلى بعض المراسيل، حتى لقد صرح عدد من العلماء المعتبرين بتواتر هذا الحديث؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية[١]، والسيوطي[٢]، والزبيدي[٣]، والكتّاني[٤]، وغيرهم..

ومن هذه المرويات ما رواه ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"**[٥].

وما رواه جابر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين، إلى يوم القيامة"**[٦].

ومن جملة المرويات، يتضح أن هذه الطائفة المنصورة طائفة من الأمة مجتمعة على الحق، إظهارًا وبيانًا بالحجة والبرهان، وظهورًا وغلبة بالسيف والسنان، وهي ظاهرة، بيّنة طرائقها وسبلها، واضحة مناهجها، في كل زمان ومكان.

وهي طائفة قائمة بأمر الله، وواجب الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يخلو الزمان عنها، ولا تتخلى عن واجب الجهاد، فهي إما في جهاد بالفعل أو في سبيلها إلى الجهاد إعدادًا وتهيؤًا، صابرة على هذا العمل الجليل، وهي طائفة منصورة في جملة أحوالها وأماكنها، وعلى مر الأزمان.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٦/١).

(٢) قطف الأزهار المتناثرة للسيوطي (رقم ٨١) ص٢١٦.

(٣) لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة للزبيدي ص٦٨.

(٤) النظم المتناثر في الحديث المتواتر للكتاني ص٩٣.

(٥) رواه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان ﷺ.

(٦) رواه مسلم (١٩٢٣) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

ثالثا: أهل الحديث:

وأما فيما يتعلق **بمصطلح أهل الحديث**، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن الإمام أحمد: أنه ذكر حديث النبي ﷺ: "**تفترق الأمة على نيِّف وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة**"، فقال: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم"(١).

وهكذا قال عبد الله بن المبارك، ويزيد بن هارون، والبخاري وغيرهم(٢).

وقال القاضي عياض عقب قول أحمد السابق: "إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"(٣).

وقال الجيلاني: "أهل السنة لا اسم لهم إلا اسم واحد، وهو: أصحاب الحديث".

وفي هذه الآثار دلالة على الترادف بين معنى مصطلح الفرقة الناجية وأهل الحديث، وأنهم المقصودون بهذا المصطلح عند إطلاقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا كانت سعادة الدنيا والآخرة هي باتباع المرسلين، فمن المعلوم أن أحق الناس بذلك: هم أعلمهم بآثار المرسلين، وأتبعهم لذلك، فالعالمون بأقوالهم وأفعالهم، المتبعون لها، هم أهل السعادة في كل زمان ومكان، وهم الطائفة الناجية من أهل كل ملّة، وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة. فإنهم يشاركون سائر الأمة فيما عندهم من أمور الرسالة، ويمتازون عنهم بما اختصوا به من العلم الموروث عن الرسول، مما يجهله غيرهم أو يكذِّبُ به"(٤).

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٥، ٢٧. ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٦.

(٢) وانظر الأقوال عنهم: في شرف أصحاب الحديث للخطيب ص٢٦.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٧/١٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦/٤).

ووصفهم الخطيب البغدادي رحمه الله بقوله: "حفظة الدين، وأوعية العلم وحملته.. ومنهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر"(١).

ويتضح مما سبق أن الفرقة الناجية هم أهل الحديث، كما اتضح أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث أيضًا.

سئل ابن المبارك عن الطائفة المنصورة: من هذه الطائفة؟ فقال: "هم عندي أصحاب الحديث"(٢).

وقال يزيد بن هارون: "إن لم يكونوا أصحاب الحديث، فلا أدري من هم"(٣).

وقال البخاري في قوله ﷺ: **"لا تزال طائفة من أمتي..."**: "يعني: أصحاب الحديث"(٤)، وقال: "وهم أهل العلم"(٥).

وقال أحمد بن سنان: "هم أهل العلم، وأصحاب الآثار"(٦).

وقال شيخ الإسلام في وصف أهل الحديث: "وكانوا يقولون هم الطائفة

---

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٩.

(٢) المرجع السابق ص٢٦.

(٣) المحدث الفاصل للرامهرمزي ص١٧٧.

(٤) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٧.

(٥) صحيح البخاري (١٤٩/٨)، وخلق أفعال العباد للبخاري ص٤٢.

(٦) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص٢٧

المنصورة إلى قيام الساعة، الظاهرون على الحق؛ لأن الهدى ودين الحق الذي بعث الله به رسله معهم، وهو الذي وعد الله بظهوره على الدين كله، وكفى بالله شهيدًا"(١).

وإذا كانت الفرقة الناجية هي أهل الحديث، وأهل الحديث هم الطائفة المنصورة، وأهل الحديث هم أهل السنة والجماعة؛ فإن هذا يدل على ترادف هذه الاصطلاحات بإطلاق.

بمعنى أنه إذا أطلق واحد منهم دخل فيه الباقي، وأصبح اللفظ دالاً بمفرده على جميع أهل الحق.

وأما إذا اجتمع اثنان كأهل الحديث وأهل السنة فبينهما تغاير، حيث يطلق الأول على المعتنين بعلم الحديث، ويطلق الثاني على باقي أهل الخير من الفرقة الناجية، فإذا اجتمعا افترقا، ومن ذلك قول عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله: "الناس على وجوه: فمنهم من هو إمام في السنة إمام في الحديث، ومنهم من هو إمام في الحديث، فأما من هو إمام في السنة وإمام في الحديث فسفيان الثوري"(٢).

- وهنا يثور سؤال حول تحديد **أهل الحديث**، وهل كل هذا الفضل خاص بدارسي هذا العلم، وحفظة متونه دون باقي أصناف أهل العلم؟

وإذا كانت الإجابة بدخول أصناف أخرى من أهل العلم، فإن ثمة سؤال آخر حول هذا المعنى، وهو: هل يدخل في معنى أهل الحديث أناس آخرون لا

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩٧).

(٢) مقدمة الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (١/١١٨)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/٦٣).

علاقة لهم بعلم الحديث، ولا دراية لهم بالفقة وسائر العلوم: كالمجاهدين، والأجناد المرابطين على الثغور، ونحوهم؟

فأما السؤال الأول، فإن الإجابة تتقرر في دخول طوائف أهل العلم بالتفسير، والفقه، والتوحيد، وسائر العلوم الشرعية، في مصطلح أهل الحديث بعد دخول المشتغلين بعلم الحديث دخولاً أوليًا في هذا المصطلح.

ويدلّ على ذلك عبارة الإمام البخاري في وصفهم بأهم: "هم أهل العلم"، وكذا عبارة الإمام أحمد بن سنان: "هم أهل العلم وأصحاب الآثار".

فإذا وجد ما يدلّ على أنهم أهل العلم بالحديث، فهو من باب تفسير الشيء بذكر بعض أجزائه وأفراده، والقاعدة أن ذكر بعض أفراد العام لا يخصصه.

ولذلك كانت عبارة الإمام أحمد دقيقة حين رأى قومًا يشتغلون بمدارسة الحديث، فأطلق عليهم أنهم (ممّن) قال فيهم الرسول ﷺ: **"لا تزال طائفة من أمتي..."** الحديث[١].

وقد نقل النووي -كما سبق- قول أحمد والبخاري في الطائفة المنصورة، ثم قال: "قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث"[٢].

وقال شيخ الإسلام: "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه أو كتابته أو روايته؛ بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرًا وباطنًا، واتباعه باطنًا وظاهرًا، وكذلك أهل القرآن، وأدنى خصلة في هؤلاء

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣١١)، ومسلم (١٩٢١) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٦٧/١٣).

محبة القرآن والحديث، والبحثُ عنهما وعن معانيهما، والعمل بما علموه من موجبها.

ففقهاء الحديث أخبر بالرسول من فقهاء غيرهم، وصوفيتهم أتبع للرسول من صوفية غيرهم، وأمراؤهم أحق بالسياسة النبوية من غيرهم، وعامتهم أحق بموالاة الرسول من غيرهم"[١].

فهذا وأمثاله من النقول عن الأئمة العدول يبين لنا دخول أهل العلم- المتبعين الناجين من الابتداع- في زمرة أهل الحديث بالاصطلاح الأعم الأوسع.

ومما تنبغي الإشارة إليه: أن "مصطلح أهل الحديث" قد أطلق في مقابلة "أهل الكلام" تارة، و"أهل الرأي" تارة أخرى، فالإطلاق الأول يتعلق بالعقائد، والثاني بالفقه.

وأما السؤال الثاني وهو: هل يدخل في الطائفة المنصورة أهل الحديث أصناف أخرى من الناس، ليست من المشهورة بالعلم؟

فإجابته قد ذكرها جملة من أهل العلم، نذكر منهم الإمام النووي حين سئل عن الطائفة المنصورة: من هم؟

فقال: "ويُحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين: منهم زهاد، وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، ومنهم أنواع أخرى من الخير"[٢]، فأدخل فيهم أهل الجهاد وأنواعًا أخرى من الخير: كالزهاد، والعُبَّاد، وغيرهم.

وقد صاغ ابن حجر كلام النووي بلفظ مقارب، فقال: "يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين: ما بين شجاع، وبصير بالحرب، وفقيه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩١-٩٥).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٣/٦٦-٦٧).

ومحدِّث، ومفسّر، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهد، وعابد"[١].

ويخلص من ذلك كله إلى أن مصطلحات: (الفرقة الناجية - الطائفة المنصورة - أهل السنة والجماعة - أهل الحديث) هي مصطلحات شرعية مترادفة في معناها، وعند إطلاقها يدخل بعضها في بعض. وأن أهلها متفاوتون في العلم بالسنة والعمل بها، والجهاد والقيام به، ولا يتخلّون عنه جميعًا، وأن أهل هذه المصطلحات غير معصومين، والخير فيهم أكثر من الشر، كما أن الشر في غيرهم أكثر من الخير، ومع أنه ليس لهم تخصص علمي أو عملي يجمعهم، فقد وصلوا بمجموعهم إلى درجة الكمال البشري، مع التكامل في الواجبات والتخصصات، فهم قائمون بمجموعهم مقام النبوة في الأمة بحفظ الدين وإقامة الملّة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما أهل العلم فكانوا يقولون: هم الأبدال؛ لأنهم أبدال الأنبياء، وقائمون مقامهم حقيقة، ليسوا من المعدمين الذين لا يُعرف لهم حقيقة، كل منهم يقوم مقام الأنبياء في القدر الذي ناب عنهم فيه، هذا في العلم والمقال، وهذا في العبادة والحال، وهذا في الأمرين جميعًا"[٢].

ثم إنه بقي مصطلح أخير عرّفه أهل السنة والجماعة وتداولوه، ألا وهو مصطلح السلف.

رابعًا: السلف:

معنى "السلف" لغة:

قال ابن فارس: "سلف، السين واللام والفاء، أصل يدل على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السلف الذين مضوا، والقوم السُّلاف: المتقدمون"[٣].

---

(١) فتح الباري (١٣/٢٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٩٧).

(٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٩٥).

وقد استعملت كلمة "سلف" في القرآن للدلالة على نفس المعنى، وهو التقدُّم والسبق في الزمن.

قال تعالى: ﴿ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾ [الحاقة:٢٤]، أي: قدَّمتم في الدنيا.

وقال تعالى: ﴿ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴾ [الزخرف:٥٦]، أي: قومًا سابقين من جاء بعدهم، وقيل: عظة وعبرة لمن يأتي بعدهم[١].

وقال تعالى: ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ [البقرة:٢٧٥]، أي: سبق وتقدَّم.

وقال تعالى: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ﴾ [المائدة:٩٥]، وقال جلَّ ذكره: ﴿ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال:٣٨].

كما اسْتُعمِلَت كلمة "سلف" في السنة للدلالة على نفس المعنى السابق.

ومن ذلك: قول النبي ﷺ لابنته فاطمة رضي الله تعالى عنها وأرضاها: **"ونِعْمَ السَّلَف أنا لكِ"**[٢]. وقوله ﷺ لحكيم بن حزام رضي الله عنه: **"أسلمتَ على ما سَلَفَ من خيرٍ"**[٣].

معنى "السلف" اصطلاحًا:

في اصطلاح علماء العقيدة يطلق "السلف" على الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، وأئمة الإسلام العدول، ممَّن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظم

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٦/٣٣١)، وتفسير ابن كثير (٤/١٣١)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٦/٦٥٤).

(٢) رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٣) رواه البخاري (١٤٣٦)، ومسلم (١٢٣).

شأنهم في الدين، وتلقَّى المسلمون كلامهم خلفًا عن سلف بالقبول، دون من رُميَ ببدعة، أو لقب غير مرضي؛ كالخوارج، والرافضة، والناصبة، والقدرية، والمرجئة، والأشعرية، والمعتزلة، والجهمية، ونحوهم.. ومذهب السلف هو طريقهم في الاعتقاد المنسوب إليهم[1].

وقال الشيخ أحمد بن حجر آل بوطامي: "وعلى ذلك فالمراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظيم شأنه في الدين، وتلقَّى الناسُ كلامهم خلفًا عن سلف؛ كالأئمة الأربعة، وسفيان الثوري، والليث بن سعد، وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي ببدعة، أو شهر بلقب غير مرضي، مثل: الخوارج، والروافض، والمرجئة، والجبرية، والجهمية، والمعتزلة"[2].

فالسلف إذن مصطلح يطلق على المتقدمين من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم المذكورون في حديثه ﷺ: **"خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"**[3].

ومذهب السلف هو مذهب الصحابة الكرام، والتابعين وتابعيهم من الأئمة المذكورين المشهورين.

ثم إن كل من التزم بعقائد وأصول هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم، وجمعه بهم نفس المكان والزمان.

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ٢٠)، والأسئلة والأجوبة الأصولية لمحمد عبد العزيز السلمان ص١١،١٢.

(٢) العقائد السلفية بأدلتها العقلية والنقلية لأحمد بن حجر آل بوطامي ص١١.

(٣) أخرجه البخاري (٦٦٩٥)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين ﷺ.

ويشهد لذلك قول الأوزاعي: "كتب إليَّ قتادة من البصرة: إنْ كانت الدار فَرَّقَتْ بيننا وبينك فإنَّ أُلْفَةَ الإسلام بين أهلها جامعة"[(١)].

ويقول الدكتور محمود خفاجي: "وليس التحديد الزمني كافيًا في ذلك؛ بل لابد أن يضاف إلى هذا السبق الزمني موافقة الرأي للكتاب والسنة وروحهما، فمن خالف رأيه الكتاب والسنة فليس بسلفي، وإن عاش بين أظهر الصحابة والتابعين وتابعي التابعين"[(٢)].

ويشهد لهذا: قولُ أبي عبد الله النَّبَاجي الزاهد: "أصلُ العِلم خمسُ خصال: أولها: الإيمان بالله، والثانية: معرفة الحق، والثالثة: إخلاص العمل، والرابعة: أن يكون مطعم الرجل من حلال، والخامسة: أن يكون على السنة والجماعة. فلو أنَّ عبدًا آمن بالله عز وجل وأَخْلَصَ نيته لله وعرف الحق على نفسه وكان مطعمه من حلال و لم يكن على السنة والجماعة لم ينتفع من ذلك بشيء"[(٣)].

فالعبرة بالتزام السنة والجماعة بغض النظر عن المكان والزمان.

"ولقد بدأت الحاجة إلى الانتساب للسلف حين تفرقت الأمة الإسلامية، وتعددت الاتجاهات الفكرية فيها حول أصول الدين، مما دعا علماء الأمة الأثبات وأساطينها الأعلام، لتجريد أنفسهم لتلخيص وترتيب الأصول العظمى والقواعد الكبرى للاتجاه السلفي، والمعتقد القرآني النبوي، ومن ثَمَّ نسبته إلى السلف الصالح؛ لقطع الباب على كل من ابتدع بدعة اعتقادية وأراد نسبتها إليهم، حتى كانت النسبة إلى السلف رمزًا للافتخار، وعلامة على العدالة في الاعتقاد، مما يدل على أن النسبة إلى السلف لم تكن بدعة لفظية، ولا مجرد

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٢١/٧).

(٢) العقيدة الإسلامية بين السلفية والمعتزلة للدكتور محمود خفاجي ص٢١.

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (٣١٠/٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (٢١٧/٧-والسياق له)، وجامع العلوم والحكم لابن رجب (٢٦٣/١).

اصطلاح كلامي، لكنه حقيقة شرعية ذات مدلول محدد؛ ولذلك لم تؤصل قواعده، ولم تحرر موارده، إلا بقيام الحاجة في الأمة لبيان متكامل الصورة عما كان عليه أهل القرون المفضلة المشهود لهم بالعدالة من طريقة عقدية وسيرة توحيدية"(١).

ويبدو جليًّا من هذه الدراسة الاصطلاحية الشرعية لمدلول كلمة السلف، أن هذا المصطلح يلتقي مع مصطلح أهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، والفرقة الناجية، والطائفة المنصورة.

فالسلف هم أهل الحديث كما سماهم بذلك كثير من الأئمة وصدَّروا مؤلفاتهم بذلك، مثل: كتاب "عقيدة السلف أصحاب الحديث" للإمام إسماعيل الصابوني.

والسلف هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة؛ لأنهم الصحابة ومن تابعهم من التابعين وتابعيهم.

والسلف هم أهل الأثر، وهم أهل الاتِّباع؛ لأن من طريقتهم "اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ، حيث قال: "**عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة**"(٢)"(٣).

ومازال أهل السنة وما برحوا يستدلون على عقائدهم بالكتاب والسنة،

---

(١) نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع للمستشرق الفرنسي لاووست ص٣٢.

(٢) حديث صحيح، سبق تخريجه ص٢٥.

(٣) شرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص١٧٩ - ١٨٠.

فإن لم يجدوا فبما ثبت عن السلف الصالحين، من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، وبهذا كانوا يتواصون ويوصون.

قال الأوزاعي: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس"(١).

وقال: "... واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك"(٢).

والإمام ابن كثير ينهج هذا النهج عند تفسير قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤]، يقول: "فللناس في هذا مقالات كثيرة جدًّا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح، مالك، والأوزاعي، والثوري، والليث بن سعد، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق..."(٣).

والإمام الذهبي يقول في مقدمة كتابه "العلو للعلي الغفار": "فإن أحببتَ يا عبد الله الإنصاف، فقف مع نصوص القرآن والسنة، ثم انظر ما قاله الصحابة والتابعون وأئمة التفسير في هذه الآيات، وما حكوه من مذاهب السلف، فإما أن تنطق بعلم، وإما أن تسكت بعلم"(٤).

وعلى هذا فإن الدعوة إلى اتباع السلف إنما هي دعوة إلى الإسلام والسنة ولا غضاضة في ذلك.

قال شيخ الإسلام: "لا عيب على من أظهر مذهب السلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه؛ بل يجب قبول ذلك منه، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا"(٥).

---

(١) الشريعة للآجري ص١٠٢، وصححه الألباني في مختصر العلو ص١٣٨.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١٥٤/١).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢٢١/٢).

(٤) العلو للعلي الغفار للذهبي ص١٦.

(٥) مجموع الفتاوى (١٤٩/٤).

وأخيرًا فإن مصطلحين كـ"أهل الأثر"، أو "أهل الجماعة" يطلقان أيضًا –بقلّة– ويراد بهما أهل الحديث وأهل السنة والجماعة، وقد وقعا في كلام السلف أيضًا.

فمن الأول قول أبي حاتم الرازي: "مذهبنا واختيارنا اتباع رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان، والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل أبي عبد الله أحمد بن حنبل"(١).

ومن الثاني قول ابن المبارك حين سئل عن الجماعة؟ فقال: " أبو بكر وعمر، قيل له: قد مات أبو بكر وعمر، قال: فلان وفلان، قيل له: قد مات فلان وفلان؟ فقال عبد الله بن المبارك: أبو حمزة السكري جماعة"(٢).

* * *

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٨٠).

(٢) الجامع الصحيح للترمذي (٤/٤٦٦).

الفصل الخامس
الانتساب لأهل السنة والجماعة

إن تحقيق انتساب الفرد والطائفة إلى أهل السنة والجماعة هو أعظم المهمات، فهو طريق النجاة والعصمة في الدنيا من الفرقة والبدعة وذهاب الريح، وهو طريق النجاة في الآخرة من العذاب والتباب، قال جل وعلا: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

والتحقيق أنه طريق الإسلام المستقيم، وهو منهجه القويم، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقد فُسِّرَ الصراط المستقيم بالسُّنَّة والجماعة [١].

فالانتساب إلى أهل السنة والجماعة، والسلف الصالح، يعني الانتساب إلى الإسلام الصافي عن شوائب البدع، ومخالفات الفرق.

وإن كل من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، مقبلاً على الالتزام بالإسلام جملة، وعلى تحكيم شريعته استسلامًا وانقيادًا، وبرئ من تبني مذهب بدعي، أو الانتساب إلى فرقة ضالة، أو اعتماد أصل كلي من أصول البدع؛ فهو من أهل السنة والجماعة إجمالاً، وهذا يشمل عوام المسلمين الذين لم ينضووا تحت راية بدعية، ولم يُكَثِّروا سواد فرقة غير مرضية.

فهذا القدر يحقق انتسابًا إجماليًا تصح به النسبة إلى أهل السنة والجماعة.

وتتجلى أهمية هذا الانتساب وتظهر ثمراته في أمور منها:

أن ضبط أصول أهل السنة والتمسك بها عصمة من الاضطراب والتخبط

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/٤٦٩).

وله تفسيرات أخرى ذكرها أهل التفسير كالطبري والقرطبي وغيرهما.

العلمي والعملي، وفي ذلك ما لا يخفى من حفظ الدين من أنواع التحريف كافة، ومواجهة التيارات البدعية المنحرفة، سواء القديمة منها أو المعاصرة.

والانتماء الصادق إلى هذه الطائفة المباركة هو في حقيقته سبب وسبيل قاصد لوحدة العاملين في حقل الدعوة إلى الله ﷻ في كل زمان ومكان؛ لأن الاجتماع على هذا الانتماء أنجح وأنفع من الاجتماع على راية حزبية، أو دعوة إقليمية؛ لأنه اجتماع على منهج الحق والاتباع، وليس على حساب الحق والاتباع.

ثم إن شرف تجديد الدين الذي أخبر به خاتم الأنبياء والمرسلين لا يَتَأَتَّى على وجهه الأكمل وصورته المثلى إلا من الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة. إذ فيهم الأئمة المتقون، ومنهم المجددون السلفيون المصلحون.

وبناء على ما تقدم فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: بم يتحقق صدق الانتساب وتمامه، إذا تحقق أصله وأساسه؟

هل يتحقق ذلك بإثارة قضية أو قضايا ناقشها السلف وعالجوها في كتبهم ومقالاتهم في زمانهم وفقط!

أم يتأكد بإظهار محبتهم، والترضي عنهم، وتعطير المجالس بذكرهم وحسب!

أو لعل هذا الانتساب يكون بتبني كتبهم والتوافر على قراءتها وتدريسها، دون غيرها!

أم أن الانتماء لهم يتحقق بمجرد التسمي باسم "أهل السنة والجماعة"، أو "أهل الحديث"، أو "السلف الصالح"، أو "الفرقة الناجية"!.

إلى غير ذلك من الإجابات المنقوصة لهذا السؤال المهم.

والحق أن كمال الانتساب يكون بتبني جملة أصول ومعالم مجتمعة، وبقدر ما يقع من الضعف في الأخذ بها جميعًا، بقدر ما يحصل من الوهن في هذه النسبة

الشريفة، ويمكن إجمال هذه المعالم في النقاط التالية:

أولاً: تحقيق المنهجية الصحيحة:

وتعني العودة بأصول الفهم والتلقي والاستنباط إلى الكتاب والسنة، وقواعد الفهم المعتبر لدى خير القرون، كما تعني تكوين أسلوب للنظر في كليات الأمور ومهماتها، وإنشاء منهجية للتعامل مع الأحداث، والحكم على المواقف والأشياء والأشخاص، وضبط المناحي العلمية والعملية كافة بطريقة منهجية، تنبثق من مشكاة الصحابة والتابعين، وسلف الأمة الصالحين، وأهل الحديث المتبعين.

وهذا يشمل العناية بمنهجية أصل أصول أهل السنة وهو العقيدة، ويشمل أيضًا العناية بأصول العبادة ومنهج التنسك، والأمر والنهي، والسلوك والأخلاق ورياضة النفوس، مع التحقق بمحبتهم وموالاتهم -رضي الله عنهم- والتحلي بجميل شمائلهم.

ولا يصح قصر حقيقة الانتساب إلى أهل السنة والسلف على الاشتغال بمسائل ومشاكل سادت فترة ثم غابت، فإن المنهجية التي واجهت فتنة القول بخلق القرآن فأثمرت مواقف مشرقة حفظت وجه الحق ناصعًا مبينًا، يجب أن تحيا لتواجه اليوم فتنة تحكيم الشرائع الوضعية، والولاء للقومية والوحدة الوطنية.

قال تعالى: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء:٨٣].

كما أكدت السنة هذا المعنى في قوله ﷺ: "**كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به**"(١).

وعلى هذا فلا تتم النسبة الكاملة لأهل السنة بمجرد الوقوف عند قضايا

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠٨) من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

واجهها السلف لملابسات زمانية أو مكانية، وإن لم تقم حاجة إلى إثارتها أو مواجهتها في عالم اليوم.

وعليه **فإن المنهجية الصحيحة** لا تقبل أن تستهدف الدعوة في بعض المواقع تحرير العقائد من شرك الأموات والأوثان، ثم تضرب الذكر صفحًا عن شرك الأحياء والأوضاع والنظم المعاصرة.

وإنما هي حرب على مظاهر الشرك كافة، وحياطة لجناب التوحيد عامة، وإعطاء كل ذي حق حقه ومستحقه في زمانه ومكانه.

ومن تحقيق المنهجية الصحيحة: تعظيم أقدار السلف، واعتمادهم مرجعية عامة، بالأخذ عن علمائهم، والتتلمذ على كتبهم، والفيئة إلى أحكامهم وفتاواهم، مع مراعاة سياق وسباق كلٍّ في ظروفه وملابساته.

ومن الانحراف عن المنهجية: احتكار الأسماء الشرعية الشريفة، أو المناهج الربانية المعصومة، وخلطها بالاجتهادات البشرية، وإلباسها لبوس الحزبية، وتشويهها بتحكمات مذهبية.

ومن الانحراف عن المنهجية: التعلق بالأشخاص دون المنهج، واختزال الأمة في شخص أو مجموعة أشخاص، إذ المنهج يبقى والأشخاص تفنى.

و"من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"[(١)].

وعليه فلا يصح اعتبار رجل عيارًا على المنهج وممثلاً له دون النبي ﷺ، ولو كان الصِّدِّيق ﵁؛ ذلك أن المنهج معصوم والبشر ليسوا بمعصومين، وكل بني آدم خَطَّاء.

---

(١) صحيح البخاري (٣٦٧٠).

ومن الانحراف عن المنهجية: اعتبار المسائل الاجتهادية -التي تختلف الفتوى بشأنها زمانًا ومكانًا وأشخاصًا- من المنهج، ومن ذلك: تعميم اجتهادات آحاد السلف في المسائل العملية والفقهية، وإهدار الاجتهادات الأخرى؛ حيث إن المنهج بقواعده وضوابطه محل اتفاق وليس محل اختلاف.

ثانيًا: ضبط وإحكام القواعد والأصول علمًا وعملاً:

سواء في ذلك قواعد العلم، والتوحيد، والاتباع، والعبادة، والتزكية، والدعوة، والأمر والنهي، والجهاد، والتعامل مع الواقع، والاعتصام بالسنة، والحرص على الجماعة، ونحو ذلك...

وهذا لا يتأتى إلا بالإقبال على علومهم فهمًا واستيعابًا، وجمعًا وعرضًا، وتطبيقًا ودعوة.

ففي جانب العلم:

تجدر العناية بالقواعد الضرورية لطلب العلم والانتفاع به؛ كتصحيح النية، والإخلاص تحقيقًا للخشية، وتحصيلاً لفضل الاتباع والاقتداء بالنبي ﷺ، وإقامة للدين، وحفظًا للشريعة، وطلبًا للتمكين.

كما يتأكد تقديم العناية بالتوحيد والإيمان، والتثنية بالفقه والأحكام. مع الحرص على الجوانب المثمرة من العلوم، والبعد عن الترف الفكري والجدل العقيم.

واعتماد التلقي عن الأكابر في كل علم باللقيا والمشافهة، والعناية بكتب أهل السنة سواء في الاعتقاد أو الأصول والأحكام، مع التنبه إلى خطورة الآفات والمزالق في طريق طلب العلم؛ كالتصدر قبل التأهل، والتوقر قبل أوانه، والعزلة عن واقع الأمة، والولع بالغرائب، والتعصب للرأي والمذهب، وازدراء المخالف.

وفي جانب التوحيد:

الحرص على سلامة العقيدة بالاعتماد على الكتاب والسنة، وتلقيها بفهم الصحابة وسلف الأمة، والتسليم لله تعالى ولرسوله ﷺ من غير تعرض لنصوص الوحيين بمعارضة ومناقضة، وترك التخليط في مصادر التلقي وتصفيتها من كل منهج كلامي مردود أو شوب فلسفي مذموم.

ومن ذلك: سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين. مع الاحتياط التام في جانب التبديع والتكفير للمخالف من أهل القبلة وجهلة العوام من أهل الملة، لشبهة بدت أو سوء تأويل، والتفريق بين القول وقائله، والفعل وفاعله.

ومن ذلك: تحقيق شمولية علم العقيدة لأبوابها كافة بالجمع بين توحيدي الربوبية والألوهية في العناية والعرض والتعليم، وكذا الجمع في التناول بين قضايا الإيمان وحقائقه، ومبطلاته ونواقضه، والعناية بتوحيد الأسماء والصفات بجانبيه العلمي النظري، والعملي التربوي.

ومن ذلك: مواجهة الانحرافات المعاصرة بتحقيق عقيدة البراء من كل مخالف كلٌ بحسبه، وتأصيل عقيدة الولاء لله ورسوله، وللمؤمنين كل بحسبه.

ومن ذلك: ربط العقيدة بآثارها العملية من استقامة الأخلاق، وانضباط السلوك، والتحرك بالدعوة إليها، فتُرى في أهداف صاحبها، وتُسمع في أقواله، وتقرأ في كتاباته.

ومن ذلك: الصدور عنها في تقويم الأشخاص والأحداث والمواقف، واتخاذها دون غيرها من الأسماء والشعارات معقدًا للتفرقة وفيصلاً بين الخلق

والتقيد بها في منهج الدعوة كله، ورفض الوسائل التي تنافيها، والأساليب التي تناقضها.

ومن أهم ما يُذْكَر فلا يُنسى: اتقاد جذوة التضحية في سبيلها، واستعذاب المشاق في نصرتها، وبذل النفس والنفيس في رفعتها، وتكثير سواد أهلها[1].

وفي جانب الاتباع:

يطلب تحقيقه وتقعيده علميًّا وعمليًّا، بالحذر من اتباع الهوى والتقدم بين يدي الله ورسوله بقول أو رأي، واتباع الدليل من القرآن والسنة، والإجماع والقياس وما استند إلى هذه المصادر.

ومن ذلك: فتح باب الاجتهاد في كل ما لم يرد فيه نص قاطع أو إجماع صريح، والتقليد جائز للعاجز عن الاجتهاد في الجملة، كما لا يجب تقليد إمام بعينه.

وزلة العالم لا يُتابع عليها ولا يهدر بسببها، والأصل في الفتوى أن تناط بأهل الاجتهاد فإن عُدِموا اعتُبِرَ الأمثل فالأمثل، والقول الوسط في التمذهب جوازه بلا تعصب.

ومن ذلك: التفريق بين مسائل الخلاف الاجتهادية التي لا ينكر على المخالف فيها ولا يضيق عليه، ومسائل الاختلاف التي لا يسوغ فيها خلاف، مع التأكيد على إحياء وممارسة أدب الخلاف.

ومن أعظم أصول أهل السنة: التزام الطاعة للأئمة ما أقاموا كتاب الله في

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة ص٩-٢١.

الأمة، وكما أن الاتباع واجب شرعي فإن الاجتماع مطلب شرعي وضرورة عملية.

ويتحقق الاتباع العلمي والعملي بالاجتماع على أهل العلم الموافقين للسنة المتبعين لها قولاً وعملاً، وبالاجتماع على الإمام الحق ولزوم بيعته، والانضواء تحت رايته.

وفي جانب التزكية والتربية:

يتعين التأكيد على أنها مهمة الأنبياء والمرسلين، وهي من سبيل إقامة الدين، وبدونها لا يتأتى تغيير وإصلاح، وليست لها غاية تنتهي عندها، كما لا يستغني عنها المنتهي فضلاً عن المبتدي، أنواعها كثيرة متعددة، فتربية علمية وأخرى وجدانية وثالثة جهادية.. ووسائلها لا تنحصر.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على الوسطية: فكما أن أهل السنة وسط بين فرق الأمة في مسائل الاعتقاد فهم أيضًا وسط في باب التربية والسلوك بين طرفي الإفراط والتفريط، فهم وسط في باب الإخلاص بين المرائين والملامية[1]، وهم وسط بين المشتغلين بالعبادات القلبية دون العملية كالصوفية، والمشتغلين بإقامة رسوم العبادات الظاهرة فحسب. فكانوا أهل العبادة الظاهرة والباطنة.

وهم وسط بين من يريد من الله ولا يريد الله، وبين من يريد الله ولا يريد من الله، فهم يريدون رضا الله وجنته، وأما غيرهم فمنهم من يريد رضا الله ولا يريد جنته؛ كحال كثير من الصوفية، ومنهم من يريد نعيم الجنة المخلوق، ولا يريد رضا الله؛ كحال كثير من المتكلمة.

---

(١) المراؤون يعملون الصالحات بقصد رؤية الناس لهم وطلب مدحهم، وأما الملامية فيفعلون ما يُلامون عليه ويقولون: نحن متبعون في الباطن.

وهم وسط بين أصحاب الفجور والفواحش والاستهتار، وأصحاب الرهبانية والتشديد على النفس وتعذيب البدن.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على السلفية: وموافقة نصوص الشارع في السلوك لفظًا ومعنى، فليسوا كالذين وافقوا النصوص في اللفظ دون المعنى كالباطنية، وليسوا كالذين تكلموا في المعنى بألفاظ مبتدعة ككثير من الصوفية.

ومنهج التربية والتزكية يقوم على الواقعية والعملية: لا على السلبية أو المثالية.

فهو منهج التسديد والمقاربة، والقصد في الأمر كله، ومراعاة أحوال المكلفين، وتحقيق الملاءمة والمواءمة بين طبيعة هذا الدين وطبيعة المكلفين، فتكليف المندوبات والنوافل بحسب الوسع والطاقة، وأحب العمل أدومه وإن قلّ، والمؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيرًا.

ومن **الواقعية** إدراك أن تفاوت القدرات إنما هو بسبب تنوع المواهب واختلاف الاستعدادات، ذلك أن الله قسم الأعمال والأخلاق كما قسم الأموال والأرزاق، وعلى كل أن يرضى بما فتح له فيه، وأفضل الأعمال بعد الفرائض يختلف باختلاف الناس فيما يقدرون عليه، ومن الناس من فتح له في كل باب، وضرب له في كل خير بسهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء(١).

وفي جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

يتعين التأكيد على أنه جهاد الدعوة الدائم، الذي لا قيام للدين بدونه، ولا اعتصام بحبل الله إلا على هداه، وبإقامته على وجه الصواب استحقت هذه الأمة

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة ص٥١-٦٢.

الخيرية، والنكول عنه والتهور فيه طرفان مذمومان، والقائمون به على وجهه يعلمون الحق ويرحمون الخلق وهم خير الناس للناس.

والوجوب فيه مرتبط بحصول القدرة وغلبة المصلحة، ويسقط بخوف الضرر المحقق، كما يسقط بالعجز، وينبغي الانكفاف عنه في حق الآحاد إذا أدى إلى ما هو أشد منه مفسدةً وفتنة.

وتقدير المصالح والمفاسد في هذا الباب موكول إلى العالم الذي يوثق به علمًا وفطانة، وورعًا وديانة.

- والتدرج في الإنكار والنظر في المآلات، وتقديم الأهم على المهم، وزوال المنكر بالكلية أو تخفيفه مطلوب شرعًا.

وأما زوال المنكر مع زوال مثله من المعروف أو حصول مثله من المنكر فموضوع اجتهاد ونظر، وأما زوال المنكر وحصول ما هو أكبر منه أو فوات ما هو أكبر من المعروف فممنوع شرعًا.

- ومع أن هذا الواجب من فرائض الوقت المضاعة ومن حرم الإسلام المهدرة، فإن حاجة الأمة اليوم إلى التألُّف والمداراة، وتصحيح المفاهيم، واستفاضة العلم والبلاغ، وبناء قاعدة الإيمان في القلوب، أمس من حاجتها إلى قصر الاحتساب على طائفة من المنكرات الجزئية في حين تنسى معالم الدين الكلية، وتلتبس معاقده وأصوله الكبرى، ومن حيث الوجوب فليشمل الإنكار كل منكر، وأما من حيث الاشتغال بالتغيير فكل منكر بحسبه، وكل منكر بقدره.

- ولا يخفى أن هذا الواجب يشمل التغيير بمراتبه الثلاث، باليد واللسان والقلب، والثالثة لا تسقط أبدًا، والثانية لكل أحد في مواضع الإجماع والمسائل الجليات، ويختص أهل العلم بما وراء ذلك من مواطن الخلاف ودقائق المنكرات، ولا تسقط هذه الرتبة خوف لوم أو أذى خفيف.

وأما التغيير باليد فمشروط بحصول القدرة، وألا يؤدي إلى تحريك الفتنة، وأن يقتصر فيه على القدر المحتاج إليه من غير زيادة، وألا يترتب عليه من الضرر ما لا يحتمل في الدين أو النفس أو الغير(١).

- وفي جانب إدراك الواقع وفهمه:

تكمن أهميته في أنه يعين على تحقيق البصيرة في النوازل فيسدد الفتاوى ويحكم أمرها، وبه يتوصل إلى استبانة سبيل المجرمين، وتعرية مناهج المنحرفين، وتكميل التوازن في البنيان التربوي.

- وفي مقابل ما ذكر من أهميته؛ فإن الاستغراق فيه، والمغالاة في تناوله يفضي إلى الافتتان بالبهرج والزيف، وضعف وإغفال التأصيل الشرعي باعتبار أن الواقع هو الأصل تارة، وبإغفال المنهج الصحيح في تلقي الأخبار والحكم على الرجال تارة أخرى، وبفقدان الاعتدال والتوازن بين فقه النص والواقع تارة ثالثة.

وكذا من سلبياته: الانعزال عن الأمة بحجة تخلف العامة عن الوعي المطلوب، فإذا عاد الوعي بعزلة ومفاصلة بين العالم وأمته، وبين الدعاة والعلماء، فقد أتى هذا الوعي بنقيض مقصوده، وكرَّ الفرع على أصله بالإبطال، وهذا لا يجوز بحال.

---

(١) انظر: كتابنا معالم في أصول الدعوة، ص٧١-٧٧.

وفي جانب الجهاد:

الجهاد من أعظم أصول الدين، وهو بيعة ماضية في أعناق المؤمنين، ومعنى الجهاد يشمل استفراغ كل وسع وبذل كل جهد في نصرة الدين بالحجة والبيان، والدعوة والإرشاد، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

والجهاد ماض إلى يوم القيامة، وإنكار وجوبه إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، وادعاء نسخه بجهاد الكلمة بدعة في الدين وضلالة، ونقص في العقل وسفاهة.

وهدف الجهاد العام هداية الناس وإخراجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ويدخل تبعًا رد اعتداء المعتدين، وإزالة الفتنة عن المدعوين، وحماية وتقوية دولة المسلمين، وإرهاب أعداء الدين، وترك الجهاد هو الهلكة والخسران المبين.

ولابد في الجهاد من استيفاء الشرعية، وعدم الإضرار بالأمة، بحصر الصراع مع أعدائها لا غير، مع وضوح الراية وسلامتها من ولاءات جاهلية، وشعارات عمية، وقبل ذلك وبعده أن تتحقق المصلحة من القتال بإعزاز الدين، والدفع عن المستضعفين وكف بأس الكافرين.

وينبغي التأكيد على الحذر من استعجال مواجهة من غير تهيؤ يرجح معه الظفر، ويتوقع معه قبول الأمة، وسلامة التوقيت زمانًا ومكانًا، واستفراغ الوسع في اتخاذ أسباب النصر المادية والمعنوية؛ وذلك لئلا ترجع هذه المواجهات بنقيض ما شرع الجهاد لتحقيقه من إعزاز الدين وتقوية شوكة المسلمين.

وباستيفاء جميع ما تقدم على وجه السداد والمقاربة تتم النسبة الشريفة وتكمل الفضيلة المنيفة، وترتقى ذُرَى الكمال والدرجات العلا في الجنة، ومن

صفّى صُفّي له.

قيل لسهل بن عبد الله: " متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة؟"، قال: "إذا عرف من نفسه عشر خصال:

١- لا يترك الجماعة.

٢- ولا يسب أصحاب النبي ﷺ.

٣- ولا يخرج على هذه الأمة بسيف.

٤- ولا يكذب بالقدر.

٥- ولا يشك في الإيمان.

٦- ولا يماري في الدين.

٧- ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب.

٨- ولا يترك المسح على الخفين.

٩- ولا يترك الجماعة خلف كلّ والٍ جار أو عدل"[(١)].

ولم يذكر العاشرة؛ إلا أن يكون اعتبر الأخيرة قسمين: "والٍ جار"، أو "والٍ عدل"، فتتم المسائل العشرة.

وهذه المسائل كلها تجمع بين الأمور العلمية والعملية، وإنما ذكر مخالفة أهل البدع لأهل السنة والجماعة، وليس المراد أنّ من فعلها بمفردها دون بقية أمور الإيمان يكون من أهل السنة والجماعة.

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/١٨٣).

الباب الثاني

علم التوحيد مبادئ ومقدمات

الفصل الأول: مبادئ علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثاني: خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

الفصل الثالث: قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

الفصل الأول

مبادئ علم التوحيد

تمهيد

المبحث الأول: حد علم التوحيد.

المبحث الثاني: أسماؤه.

المبحث الثالث: موضوعه.

المبحث الرابع: حكمه.

المبحث الخامس: فضله.

المبحث السادس: استمداده.

المبحث السابع: نسبته.

المبحث الثامن: واضعه.

المبحث التاسع: غايته.

المبحث العاشر: مسائله.

تمهيد

كان طلب العلم زمن الصحابة ﷺ اشتغالاً بالقرآن الكريم والسنة المطهرة حفظًا وفهمًا، بطريقة موسوعية جامعة، فلا تُتجاوز الآية الواحدة حتى يُتعلم ما فيها من أنواع العلم والعمل معًا، وذلك من غير تمييز بين أنواع المسائل الشرعية أو تفريق بين ألوانها.

فلما تطاول الزمان، كثرت المسائل، وتنوعت النوازل، واتسعت البلدان، واختلط اللسان العربي بالأعجمي، وظهرت عجمة في الأفهام نتيجة لعجمة اللسان، واقتضى حسن التعليم، ويسر التلقين، العدول عن تلك الطريقة الموسوعية الجامعة إلى ما هو أيسر وأقصر، فعمد أهل العلم إلى جمل من المسائل العلمية التي تشترك في وحدة موضوعية جامعة، فأفردوها باسم يخصها، وبلقب يميزها عن غيرها من المسائل، فتمايزت بذلك العلوم، وتباينت الفنون في اسمها ورسمها، وعرفوا تلك العلوم بما يضبط مسائلها بطريقين غالبًا، إما بذكر الموضوع والمسائل التي يحتويها العلم، وسموا ذلِك حدًّا أو تعريفًا، وإما بذكر الفائدة والثمرة والغاية من دراسة ذلك العلم، وسموا ذلك رسمًا، والذي دعا إلى هذا التنويع هو أن فائدة العلم غير موضوعه ومسائله، فكما أن الثمرة ناشئة عن الشجرة وليست عينها، فالفائدة مترتبة وناشئة عن العلم بتلك المسائل وليست عينها أيضًا، فصار العلم المتميز بشخصيته عند علماء التدوين هو جملة المسائل المضبوطة بجهة واحدة، موضوعية كانت أو غائية.

ثم إنه جرت عادة المصنفين من المتأخرين أن يدوِّنوا مقدمة عن العلم وفضله وثمراته وما يتعلق به في صدر مصنفاتهم؛ وذلك لفوائد، منها:

١- أن يحصِّل طالب العلم بصيرة وتصورًا إجماليًّا للعلم قبل أن يدخل إلى تفاصيله، فيعرف الوحدة الجامعة لمسائل هذا العلم، فيأمن عندئذ من اشتباه مسائل العلوم عليه، ومن دخوله في مسائل ليست من مسائل العلم الذي عوّل عليه، وقصد إليه.

٢- أن يتحقق من فائدة العلم ونفعه؛ لينشط في طلبه وتحصيله؛ وليستعذب المشاق في سبيله؛ وليكون عند طلبه هذا العلم النافع المفيد مجتنبًا للعبث والجهالة.

ثم إن كثيرًا من المتأخرين وضعوا بعد ذلك كتبًا في موضوعات العلوم ومبادئ الفنون، لعل من أجمعها وأشهرها كتاب "**مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**" للشيخ أحمد بن مصطفى المعروف بـ"طاش كبرى زاده"، وكذلك كتاب "**ترتيب العلوم**" للشيخ محمد ابن أبي بكر المرعشي المعروف بـ"ساجقلي زاده"، وغير ذلك من المصنفات.

هذا وقد استقر عمل المصنفين على ذكر مبادئ عشرة لكل علم وفن، تمثِّل مدخلاً تعريفيًّا لطالب كل علم، وجمع بعضهم هذه المبادئ العشرة في قوله:

إِنَّ مبـــادئَ أيِّ علمٍ كانا ... عشرٌ تزيدُ مَنْ دَرَى عِرْفانا

الحـــدُّ والواضِعُ ثم الاسمُ ... والنسبةُ الموضوعُ ثم الحكمُ

وغايةٌ وفضلُـــه استمـــدادُ ... مســـائلٌ بهـــا الهنـــا يزدادُ

وقال غيره:

مبادئُ أيِّ علـــمٍ كانَ حدٌّ ... وموضوعٌ وغـــاية مستمدٌّ

وفضلٌ واضعٌ واسمٌ وحكمُ ... مســـائلٌ نســـبةٌ عشر تُعدُّ

وهذه المبادئ العشرة اسم لمجموعة من المعاني والمعارف يتوقف عليها شروع الطالب والباحث في طلب العلم وتحصيله، وبيانها كالتالي:

١- **الحد**: ويقصد به التعريف الجامع لمسائل العلم ومباحثه، المانع من دخول غيره فيه.

٢- **الموضوع**: وهو المجال المحدد الذي يبحث فيه العلم، والجهة التي تتوحد فيها مسائله.

٣- **الغاية أو الثمرة**: الفائدة التي يحصِّلها دارس العلم ومتعلمه في الدارين.

٤- **الاستمداد**: الروافد والمصادر والأسباب العلمية التي يستقي منها العلم مسائله ومطالبه.

٥- **الفضل**: ما للعلم من منـــزلة وشرف وأهمية بين العلوم.

٦- **الواضع**: أول من ابتدأ التدوين والتصنيف في العلم، ووضع أساسه وأرسى قواعده، كما يشمل تطور التأليف في العلم ومراحله.

٧- **الاسم**: الألقاب التي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره، حتى أصبحت أعلامًا عليه.

٨- **الحكم**: ويقصد به الحكم الشرعي لتعلم هذا العلم من بين الأحكام التكليفية الخمسة.

٩- **المسائل**: وهي المطالب التي يبحثها ويقررها العلم والتي تندرج تحت موضوعه.

١٠- **النسبة**: صلة العلم وعلاقته بغيره من العلوم.

وجريًا على سنن أهل العلم فإن البحث سيسير في ضوء من هذه المبادئ العشرة للتعريف بعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة والتقديم له، مع ملحق يشتمل على فهارس لموضوعاته ومسائله، وآخر للتنويه بأهم مصادره ومراجعه.

المبحث الأول

حد علم التوحيد

تعريف الحد:

لغة: المنع، ومنه الحدود؛ لأنها تمنع من العودة إلى المعاصي، ومنه إحداد المرأة في عدتها؛ لأنها تمنع من الطيب والزينة، وسمي التعريف حدًّا؛ لمنعه الداخل من الخروج، والخارج من الدخول(١).

اصطلاحًا: هو الوصف المحيط بمعناه المميِّز له عن غيره(٢).

أو هو اللفظ المفسِّر لمعناه على وجه يجمع ويمنع(٣).

ويسمَّى عند بعضهم بـــ"القول الشارح" أو "التعريف"، فإذا قيل: حد علم التوحيد، فإنه يراد به تعريف ذلك العلم الذي يحيط بمعناه ويجمع قضاياه، ويمنع من التباس غيرها بها، بعبارة ظاهرة بعيدة عن الإلغاز، من غير اشتراك لفظي أو مجاز. والأصل في الحد أن يورث التمييز بين المحدود وغيره ، أما تصوير المحدود وتعريف حقيقته على وجه التمام فهذا قد لا يتيسر في كل حدٍّ ولا يتحقق في كل محدود(٤).

وقد درج العلماء عند تعريف ما تركب من كلمتين في مركب إضافي كعلم التوحيد أن يبدأوا بتعريف مفرديه أولاً، ثم تعريفه باعتباره لقبًا وعَلَمًا على الفن المعيَّن ثانيًا.

---

(١) المصباح المنير للفيومي (١/١٢٤، ١٢٥)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص٣٥٢.

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٢٢١.

(٣) المستصفى للغزالي ص١٨.

(٤) قال شيخ الإسلام: "المحققون من النظار يعلمون أن الحد فائدته التمييز بين المحدود وغيره، كالاسم ليس فائدته تصوير المحدود وتعريف حقيقته، وإنما يدعي هذا أهل المنطق اليوناني أتباع أرسطو..."، الرد على المنطقيين، ص١٤.

أولاً: معنى التوحيد:

لغة: باستنطاق معاجم اللغة، فإنها تفصح بأن مادة (وَحَدَ) تدور حول انفراد الشيء بذاته أو صفاته أو أفعاله، وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه.

والتوحيد مصدر وحَّده يوحده توحيدًا، ومعناه حينئذ كما يقول ابن فارس في مقاييسه "إما جعله واحدًا، أو اعتقده واحدًا"[١].

فللتوحيد لغة معنيان:

– **الأول:** جعل المتعدد واحدًا، فمن جمع بين أقطار متفرقة يقال له وحَّدها.

– **الثاني:** اعتقاد الشيء واحدًا، وهذا بمعنى النسبة إلى الوحدانية، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموحَّد وإثباته له.

التوحيد اصطلاحًا: للتوحيد اصطلاحًا إطلاق عام وذلك باعتباره فعلاً من أفعال القلوب، وآخر خاص باعتباره عَلَمًا على عِلْمٍ معيَّن، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[٢].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه"[٣].

قال الشيخ علي بن محمد بن ناصر الدين الشافعي الشهير بالسويدي رحمه الله: "التوحيد فعل للموحد، وهو وصف الله تعالى بالوحدانية، وذلك نوعان: توحيد في

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص١٠٨٤.

(٢) انظر : الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (١/٣٠٥ ، ٣٠٦) .

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٨/٢٤٦).

ربوبيته، وهو الحاصل بعد توحيد الذات والصفات، وتوحيد في ألوهيته"[١].

وقال الشيخ عبد الرحمن البراك حفظه الله : "هو اعتقاد تفرده سبحانه في ربوبيته وألوهيته ، وأسمائه وصفاته ، وتخصيصه بالعبادة"[٢].

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله: "هو إفراده تعالى بالعبادة التي تتضمن غاية الحب ومنتهاه، مع غاية الذل وأقصاه، والانقياد لأمره والتسليم له"[٣].

وهذا المعنى الاصطلاحي العام للتوحيد متفق عليه بين أهل السنة سلفًا وخلفًا.

وعلى هذا فالتوحيد في معناه الاصطلاحي العام يقترب من أحد معنيي اللغة، وهو نسبته تعالى إلى الوحدانية واعتقاد ذلك، ولا يصح أن يكون على معنى التصيير والجعل.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "والتوحيد هنا ليس بمعنى التصيير والجعل، فالله واحد اعتقدت ذلك أم لم تعتقده"[٤].

ثانيًا: معنى العلم:

يطلق العلم ويراد به: إدراك الشيء على ما هو عليه في الواقع، ويمكن تعريفه بتمثيل كأن يقال: العلم إدراك البصيرة المشابه لإدراك الباصرة[٥].

---

(١) العقد الثمين في بيان مسائل الدين للسويدي ص٦٦.

(٢) أملاه عليَّ حفظه الله بمنزله بالرياض.

(٣) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للشيخ الغنيمان (١/٣٨).

(٤) أشرطة "شرح السفارينية" للشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وقد طبع الشرح مؤخرًا.

(٥) انظر: شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/٦٠) ، إرشاد الفحول للشوكاني ص٣ ، أبجد العلوم لصديق حسن خان ، ص٣١-٣٤ .

قال ابن القيم رحمه الله: "العلم: نقل صورة المعلوم من الخارج وإثباتها في النفس.. فإن كان الثابت في النفس مطابقًا للحقيقة في نفسها فهو علم صحيح"(١).

ويطلق العلم على الظن الغالب، كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ [الممتحنة:١٠] أي: غلب على ظنكم، قال النسفي: "العلم الذي تبلغه طاقتكم، وهو الظن الغالب بظهور الأمارات"(٢)، ثم قال معلقًا: "وفي تسمية الظن علمًا إشارة إلى أن الظن وما يفضي إليه القياس جارٍ مجرى العلم"(٣)، كما يطلق الظن على العلم كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة : ٤٦].

وعليه فإن العلم اصطلاحًا يطلق على مجموعة من المعارف الظنية الراجحة ومنها ما هو قطعي، بشرط أن تكون منظمة حول موضوع ما، كعلم التوحيد، وعلم الفقه، وعلم الطب ونحو ذلك.

وبناء على ما تقدم، فإن المختار في تعريف العلم أنه:

الإدراك الحاصل بالدليل، الشامل لليقين الجازم والظن الغالب، وما بينهما من درجات ومراتب.

وأخيرًا فإن العلم -اصطلاحًا- قد يطلق ويراد به قواعد ومسائل العلم تارة، وإدراك هذه المسائل تارة أخرى، وملكة إدراك المسائل تارة ثالثة(٤).

---

(١) الفوائد لابن القيم ص١١٠.

(٢) مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي (٣/٥١٥).

(٣) المصدر السابق (٣/٥١٥).

(٤) أبجد العلوم لصديق خان ص٢٤ .

معنى المركب الإضافي:

فإذا أضيفت كلمة العلم إلى كلمة التوحيد، فإن معنى هذا المركب الإضافي هو: الإدراك الجازم المطابق للواقع عن دليل بانفراد الله تعالى بالعبادة وحده لا شريك له، مع انفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

علم التوحيد باعتباره اللقبي:

الطور الأخير لهذا الاصطلاح وهو طور الاستقلال وصيرورته لقبًا على فن مخصوص، وهو "علم التوحيد"، ويعرَّف بهذا الاعتبار على أنه: "العلم الذي يبحث عما يجب لله من صفات الجلال والكمال، وما يستحيل عليه من كل ما لا يليق به، وما يجوز من الأفعال، وعما يجب للرسل والأنبياء، وما يستحيل عليهم، وما يجوز في حقهم، وما يتصل بذلك من الإيمان بالكتب المنـزلة، والملائكة الأطهار، ويوم البعث والجزاء، والقدر والقضاء"(١).

وقد يقال اختصارًا هو: "العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة اليقينية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية"(٢).

وهذا التعريف يرجع إلى اعتبار هذا العلم ملكة يتمكن معها صاحبها من إيراد الحجج على العقائد ودفع الشبه عنها.

ويرد على هذا التعريف أن أحاديث الآحاد مما يحتج به في العقائد والأحكام سواء؛ فلو قيل "بالأدلة المرضية" لتشمل الأدلة اليقينية والظنية لكان أولى.

---

(١) مذكرة في علم التوحيد للشيخ عبد الرزاق عفيفي ص ٥، ٦.

(٢) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٩.

كما يمكن أن يعرَّف باعتبار موضوعه فيقال: "علم التوحيد: هو العلم الذي يبحث في الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهذا يشمل الأنواع الثلاثة من التوحيد: الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات"(١).

ويلاحظ من جملة التعاريف السابقة أن علم التوحيد بمعناه اللقبي يقوم على دعامتين.

الأولى: التصديق بجملة من العقائد المتعلقة بالله تعالى، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر.

الثانية: القدرة التامة على إثبات تلك العقائد المنسوبة إلى دين نبينا محمد ﷺ، بإيراد الحجج الباهرة، ودفع الشُّبَه الباهتة.

❖ ❖ ❖

---

(١) أشرطة شرح السفارينية للشيخ ابن عثيمين، وقد طبع مؤخرًا بتحقيق وعناية إسلام منصور بدار البصيرة بالأسكندرية.

المبحث الثاني
أسماء علم التوحيد

الاسم هو ما دل على مسمى كزيد وعمرو، وهو مشتق من السمة وهي العلامة، فهو علامة على مسماه، أو مشتق من السمو وهو العلو والارتفاع، إذ إنه يعلو مسماه[1].

والمقصود بأسماء العلم ما يطلق عليه من الأسماء المعتبرة عند أهل هذا العلم، سواء أكانت مركبة أو مفردة، والمسمى إذا كثرت أسماؤه دل ذلك على شرفه وفضله وأهميته غالبًا، وعلم التوحيد من أكثر العلوم أسماء، وله أسماء شرعية وأخرى محل نظر، وبيان كلٍّ فيما يلي:

أولاً: الأسماء الشرعية لعلم التوحيد:

١- علم التوحيد:

ولعل السبب في إطلاق اسم التوحيد على هذا العلم، هو أن مبحث وحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأفعاله هو أهم مباحث هذا العلم، فهو من باب تسمية الكل بأشرف أجزائه، أو تسمية العلم بأشهر بحوثه، ثم إن ما عدا مبحث الوحدانية قائم ومعتمد عليه، فهو الأصل الذي يتفرع عنه غيره.

ولقد كثرت الكتب المصنفة في باب الاعتقاد التي تحمل اسم التوحيد قديمًا وحديثًا، فمن ذلك:

- "كتاب التوحيد" لأبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي.
- "كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ" للإمام أبي بكر بن خزيمة.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور (٦/٣٨١، ٣٨٢)، والمصباح المنير للفيومي (١/٢٩٠، ٢٩١).

٢- العقيدة:

معناها في اللغة:

فعيلة بمعنى مفعولة، أي معقودة، فهي مأخوذة من العَقْد، وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والإحكام والتوثيق، ويستعمل ذلك في الأجسام المادية، كعقد الحبل، ثم توسع في معنى العقد فاستعمل في الأمور المعنوية،كعقد البيع وعقد النكاح(١).

قال ابن فارس: "العين والقاف والدال، أصل واحد يدل على شدٍّ، وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها"(٢).

وكلمة العقيدة لم ترد في القرآن الكريم وإنما وردت مادتها فقط في مثل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ ﴾ [النساء:٣٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

"وأما معاجم اللغة القديمة فلم ترد فيها كلمة العقيدة باستثناء المصباح المنير، فقد ذكر فيه الفيومي أن العقيدة ما يدين الإنسان به، فهي الإيمان بحقيقة معينة إيمانًا لا يقبل الشك أو الجدل"(٣).

وقد ذكر المعجم الوسيط أن العقيدة: هي "الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، ويرادفها الاعتقاد والمعتقد.. وجمعها عقائد"(٤).

---

(١) المصباح المنير للفيومي (٢/٤٢١)، والقاموس المحيط للفيروزابادي ص٣٨٣، ٣٨٤، ولسان العرب لابن منظور (٩/٣٠٩-٣١٢).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/٨٦-٨٧).

(٣) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة للدكتور أحمد السايح ص٨.

(٤) المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (٢/٦٣٧).

معناها في الاصطلاح:

"العقيدة في اصطلاح علماء التوحيد: هي الإيمان الذي لا يحتمل النقيض"(١)، ويلاحظ اقتراب أو تطابق المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة العقيدة(٢).

العلاقة بين علمي العقيدة والتوحيد:

"وعلم العقيدة وعلم التوحيد مترادفان عند أهل السنة، وإنما سمي علم التوحيد بعلم العقيدة بناء على الثمرة المرجوة منه، وهي انعقاد القلب انعقادًا جازمًا لا يقبل الانفكاك"(٣).

وقد يفرَّق بينهما اصطلاحًا باعتبار أن علم التوحيد هو العلم الذي يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة المرضية، وأن علم العقيدة يزيد عليه برد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، فيجتمعان في معرفة الحق بدليله، وتكون العقيدة أعم موضوعًا من التوحيد؛ لأنها تقرر الحق بدليله، وترد الشبهات وقوادح الأدلة، وتناقش الديانات والفرق.

وقد جرى السلف على تسمية كتبهم في التوحيد والإيمان بكتب العقيدة، كما فعل أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، والإمام اللالكائي رحمه الله في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة".

---

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٨.

(٢) فقد عرفها د. محمد علي أبو ريان بقوله: "الأمر الذي تصدق به النفس ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينًا عند صاحبه لا يمازجه شك، ولا يخالطه ريب". تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام. ص ١٣٢.

(٣) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص١٠.

٣- الإيمان:

معناه في اللغة:

قال ابن فارس:"للهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر التصديق، والمعنيان متدانيان... وأما التصديق فقول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف:١٧]، أي مصدِّق لنا"(١).

وقال الأزهري: "وأما الإيمان: فهو مصدر آمن إيمانًا فهو مؤمن، واتفق أهل العلم من اللغويين أن الإيمان معناه التصديق.."(٢).

معناه شرعًا:

وأما الإيمان في خطاب الوحي فيطلق على الاعتقاد القلبي، والإقرار اللفظي، والعمل الحسي، امتثالاً للأوامر، واجتنابًا للمناهي(٣).

وهذا التعريف الاصطلاحي للإيمان مأخوذ من تعريف النبي ﷺ للإيمان في حديث جبريل عليه السلام(٤)، وفيه: "فأخبرني عن الإيمان؟ قال: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"**، وحديث وفد بني عبد القيس(٥)، وفيه: **"هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة ألا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس"**،

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٣٣-١٣٥).

(٢) تهذيب اللغة للأزهري (١٥/٥١٠).

(٣) انظر : اعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي (٦٤/١) ، وعقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني ص٦٧ ، ولمعة الاعتقاد لابن قدامة ص٢٣ ، والعقيدة الواسطية لابن تيمية ص٣٩ .

(٤) رواه مسلم (٩) من حديث عمر رضي الله عنه.

(٥) رواه البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (٢٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

حيث عرف الإيمان في الحديث الأول بالاعتقادات الباطنة، وفي الحديث الثاني بالأعمال الظاهرة، ثم صار الإيمان يطلق ويراد به مسائل الاعتقاد كلها.

وصنَّف السلف كتبًا باسم الإيمان بحثت قضايا التوحيد ومسائل الاعتقاد جميعًا، ومن أولها:

- "كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته"، للإمام أبي عبيد القاسم ابن سلاَّم البغدادي رحمه الله.
- "كتاب الإيمان" للحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي رحمه الله.
- "كتاب الإيمان" للحافظ محمد بن إسحق بن يحيى بن منده رحمه الله.

٤- السنة:

معناها في اللغة: سبق أن السنة في اللغة تطلق على الطريقة المسلوكة، محمودة كانت أو مذمومة، كما تطلق على العادة الثابتة المستقرة، وعلى غير ذلك.

معناها في الاصطلاح:

والسنة اصطلاحًا لها معان كثيرة بحسب العلم الذي تذكر فيه، ويعنينا هنا معناها عند علماء العقيدة والتوحيد، وفي معناها عندهم قال ابن رجب رحمه الله: "وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلق بالاعتقاد؛ لأنها أصل الدين والمخالف فيها على خطر عظيم"(١).

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٢/١٢٠).

وهذا الإطلاق للسنة على العقيدة من باب إطلاق الاسم على بعض مسمياته، فإن الاعتصام بالسنة من أهم أصول أهل السنة، على أن وصف العقيدة بالسنة كان معروفًا زمن الصحابة ﷺ، ويدل عليه قول علي ﷺ: "الهوى عند من خالف السنة حق وإن ضربت فيه عنقه"[١]، وهذا لا يكون إلا فيمن خالف في الاعتقاد مخالفة عظيمة.

وبناء على ذلك، فقد أطلق اسم السنة على عقيدة أهل السنة والجماعة، هذا بالإضافة إلى أن السنة لغة هي الطريقة، فأطلقت على عقيدة السلف لاتباعهم طريقة النبي ﷺ والصحابة في الاعتقاد خاصة، واستفاض ذلك المصطلح في الناس حتى إذا قيل: فلان صاحب سنة، كان معناه أنه على معتقد سلفي.

وقد عرفت كتب الاعتقاد باسم كتب السنة، وساد ذلك في القرن الثالث الهجري، في عصر الإمام أحمد رحمه الله، حيث أظهر أهل البدع بدعهم وجاهروا بها تصنيفًا ومناظرة، فألّف أهل السنة في الرد عليهم كتبًا أسموها كتب السنة؛ وذلك لأنهم لم يكن لهم اسم يتسمون به خصوصًا بخلاف أهل الابتداع، فاعتصموا بالسنة والآثار، وجعلوا ذلك حرزًا من الضلال.

ومن تلك الكتب:

- "السنة" للإمام أحمد رحمه الله.
- "السنة" لأبي بكر بن الأثرم رحمه الله.
- "السنة" لابن أبي عاصم رحمه الله.

٥- أصول الدين:

وهذا المصطلح مركب من مضاف ومضاف إليه، ويعرف باعتبار مفرديه أولاً.

---

(١) الشرح والإبانة لابن بطة ص١٢٢.

فالأصل في اللغة: "ما يبنى عليه غيره، أو ما يتفرع عنه غيره"(١).

وفي الاصطلاح يطلق على معان متعددة، والمختار منها مما يناسب هذا الموضوع أن الأصول بمعنى "القواعد والأسس العامة"(٢).

والدين يطلق في اللغة على الذل والخضوع،كما يطلق على الحساب والجزاء(٣)، واصطلاحًا: هو "جملة الأحكام الاعتقادية التي تحدِّد ما ينبغي أن يتصف به الله من صفات، وجملة الأحكام العملية التي ترسم طريق عبوديته سبحانه"(٤).

والمعنى المستفاد من هذا التركيب، أن أصول الدين هي المبادئ العامة، والقواعد الكلية الكبرى، التي بها تتحقق طاعة الله والرسول.

فأصول الدين بهذا الاعتبار تشمل أركان الإسلام من الأعمال الظاهرة، وأركان الإيمان من الاعتقادات الباطنة، ثم غلب على العلماء المصنفين في الاعتقاد استعمال هذا الاصطلاح في قضايا التوحيد والعقيدة، وعللت هذه التسمية بأن بحوث علم الاعتقاد أصل لما يتلوها من علوم الدين الأخرى كالفقه والحديث، ومن جهة أخرى، فإن هذا العلم يبحث في العقائد التي هي الأصول الواجب على المكلف اعتقادها قبل أن يبدأ العمل، فلا يثمر العمل في الآخرة إلا باعتقاد هذه الأصول في الدنيا.

قال الشهرستاني: "قال بعض المتكلمين: الأصول معرفة الباري تعالى

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/١٠٩).

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار (١/٣٨-٤٠) .

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور (٤/٤٥٨-٤٦١)، و المعجم الوسيط إصدار مجمع اللغة العربية (١/٣١٧، ٣١٨).

(٤) الدين للدكتور محمد عبد الله دراز ص٤٤.

بوحدانيته وصفاته، ومعرفة الرسل بآياتهم وبيناتهم، وبالجملة كل مسألة يتعين الحق فيها بين المتخاصمين فهي من الأصول، ومن المعلوم أن الدين إذا كان منقسمًا إلى معرفة وطاعة، والمعرفة أصل والطاعة فرع، فمن تكلم في المعرفة والتوحيد كان أصوليًّا، ومن تكلم في الطاعة والشريعة كان فروعيًّا، فالأصول هو موضوع علم الكلام، والفروع هو موضوع علم الفقه"(١).

وقد اعترض شيخ الإسلام رحمه الله تعالى على أن يكون مصطلح أصول الدين قاصرًا على العقائد دون مسائل العمل الكبار، كالصلاة والصيام والزكاة والحج، أو أن يدخل فيه مسائل العقائد المختلف فيها داخل دائرة أهل السنة، نحو: هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج أم لا؟ وهل يسمع الميت كلام الحي أم لا؟ ونحو هذا(٢).

وقد يعترض أيضًا على هذه التسمية لعلم التوحيد بأنها لا تكشف عن طبيعة هذا العلم الذاتية وخصائصه التي يمتاز بها، حيث لوحظ فيها ما يقابله من فروع الدين فحسب.

ومهما يكن من أمر، فإن عمل العلماء سلفًا وخلفًا جرى على اعتماد هذه التسمية حين ألّفوا وصنفوا في هذا العلم المبارك، ومن أمثلة ذلك:

١- "الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة" لأبي عبد الله بن بطة العكبري الحنبلي رحمه الله.

٢- "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي الحسن الأشعري رحمه الله.

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني (١/٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٢٣/٣٤٦ ، ٣٤٧)، (٦/٥٠٢).

٦- الشريعة:

معناها في اللغة:

قال ابن منظور: "وهي لغة: من الشَّرْع وهو السَّن والبيان والمورد والطريق"(١)، وقال ابن فارس: "والشريعة: مورد الشاربة من الماء"(٢).

معناها في الاصطلاح:

قد تطلق الشريعة على ما شرعه الله تعالى لجميع رسله من أصول الاعتقاد والبر والطاعة مما لا يختلف من دعوة لأخرى، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ [الشورى:١٣].

وقال التهانوي في معناها الاصطلاحي: "الشريعة: ما شرع الله تعالى لعباده من الأحكام التي جاء بها نبي من الأنبياء صلى الله عليهم وعلى نبينا وسلم، سواء أكانت متعلقة بكيفية عمل، وتسمى فرعية وعملية، ودوِّن لها علم الفقه، أو بكيفية الاعتقاد، وتسمى أصلية واعتقادية، ودوِّن لها علم الكلام(٣)... ويسمى الشرع أيضًا بالدِّين والملَّة، فإن تلك الأحكام من حيث إنها تطاع دين، ومن حيث إنها تملى وتكتب ملَّة، ومن حيث إنها مشروعة شرع، فالتفاوت بينها بحسب الاعتبار لا بالذات"(٤).

ثم أطلقت الشريعة أخيرًا وبإطلاق أخص -كما قال ابن تيمية رحمه الله- على: "العقائد التي يعتقدها أهل السنة من الإيمان، مثل اعتقادهم أن الإيمان قول

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٧/٨٦-٨٩).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٣/٢٦٢).

(٣) يلاحظ أن تسمية التوحيد بعلم الكلام تسمية غير مقبولة كما سيأتي.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي (٤/١٢٩).

وعمل، وأن الله موصوف بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق... إلخ"(١).

والشريعة هنا كالسنَّة، فقد يراد بها ما سنه الله وشرعه من العقائد، وقد يراد بها ما سنه وشرعه من العمل، وقد يراد بها كلاهما.

وقد ألف بعض العلماء كتبًا في الاعتقاد تحمل اسم الشريعة، ومن أولها:

- "الشريعة" لأبي بكر الآجري رحمه الله.

- "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة" لابن بطة الحنبلي رحمه الله.

٧- الفقه الأكبر:

أطلق الفقه في الاصطلاح الأقدم على ما هو أعم من علم الفروع، بحيث يشمل الأصول والفروع، وعن هذا المعنى عبر الإمام أبو حنيفة رحمه الله حين قال: "الفقه: معرفة النفس مالها وما عليها" وذلك من كل ما تنتفع به وتتضرر في الآخرة، من الاعتقادات والأعمال والأخلاق ونحو ذلك، ثم لما أراد أبو حنيفة رحمه الله تمييز الاعتقادات عن غيرها، جاء بهذا الاصطلاح الذي لم يسبق إليه في التعبير عن التوحيد فسماه الفقه الأكبر، تمييزًا له عن الأصغر وهو فقه الفروع.

وفي تعليل هذه التسمية يقول عبد العزيز الحنفي: "سمي بالفقه الأكبر؛ لأنه أكبر بالنسبة للأحكام العملية الفرعية التي تسمى الفقه الأصغر؛ ولأن شرف العلم وعظمته بحسب المعلوم، ولا معلوم أكبر من ذات الله تعالى وصفاته الذي يبحث فيه هذا العلم؛ لذلك سمي الفقه الأكبر"(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦، ٣٠٧).

(٢) كشف الأسرار على أصول البزدوي للإمام عبد العزيز البخاري الحنفي (١/ ٨).

وقال أبو حنيفة: "الفقه الأكبر في الدين أفضل من الفقه في العلم، ولأنْ يتفقه الرجل كيف يعبد ربه؛ خير له من أن يجمع العلم الكثير"(١).

التطور التاريخي لتدوين علم التوحيد:

لعله من المناسب قبل مغادرة هذه النقطة تلخيص ما سبق، وإلقاء أضواء على التطور التاريخي لظهور هذه المصطلحات.

فلا ريب أن مصطلحي الإيمان والفقه الأكبر قد ظهرا في القرن الثاني وبرزا، واستمر مصطلح الإيمان في الذيوع خلال القرن الثالث حيث برز مصطلح السنة، وظهرت الكتب الاعتقادية التي حملت اسم السنة، وتوالى التصنيف في القرن الرابع بهذه الأسماء الاصطلاحية، ثم ظهر في القرن الرابع أربعة مصطلحات شاعت وذاعت، وهي: التوحيد، الشريعة، أصول الدين، العقيدة، وإن كان مصطلح العقيدة قد ظهر أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس الهجري كما يبدو هذا من كتاب الإمام اللالكائي رحمه الله "شرح أصول اعتقاد أهل السنة"، وكذا فعل الإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه "عقيدة السلف أصحاب الحديث"، وتتابع بعد ذلك المصنفون على استعمال هذا المصطلح.

ثانيًا: أسماء علم التوحيد عند الفرق الإسلامية:

١- علم الكلام:

وهذا هو أشهر الإطلاقات عند سائر الفرق الإسلامية من أشاعرة ومعتزلة وغيرهم في القديم والحديث.

ففي القديم يقول الغزالي رحمه الله: "إني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته

---

(١) نظم الدرر في شرح الفقه الأكبر للقاضي عبيد الله الحنفي ص ٢٨.

وعقلته، وطالعت كتب المحققين منهم، وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده، غير واف بمقصودي"(١).

وحديثًا يقول الشيخ محمد عبده: "علم الكلام: هو علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن تثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم"(٢).

أسباب تسمية علم التوحيد بعلم الكلام:

يعلّل المتكلمون تسميتهم للتوحيد بعلم الكلام بعلل شتى نذكر منها ما يلي:

١- يقول الشهرستاني: "سمي باسم الكلام؛ إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها..."(٣).

٢- "أطلق علم الكلام على التوحيد؛ لأن أصحابه كانوا يترجمون لمسائله بقولهم: الكلام في القدرة، الكلام في العلم، الكلام في الوحدانية، فشاع الكلام على هذا العلم وغلب عليه، فالتسمية من باب الشيوع والذيوع والغلبة"(٤)، كما فعل الأشعري في كتابه "الإبانة"، والقاضي عبد الجبار في كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل".

٣- "وقد يكون سبب التسمية أنه أكثر من غيره خلافًا ونزاعًا بين الخائضين فيه بعقولهم، فهو مفتقر إلى الكلام أكثر من غيره لتحقيقه وللرد على

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي ص٨٧.

(٢) رسالة التوحيد للشيخ محمد عبده ص٥.

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/٣٠).

(٤) مباحث في علوم العقيدة د.آمنة نصير ص٧٧.

المخالف فيه"[١].

٤- ويرى التفتازاني أنه سمي بذلك؛ لابتنائه على الأدلة القطعية المؤيَّدة في كثير من الأحيان بالأدلة النقلية، "فكان أشد العلوم تأثيرًا في القلب وتغلغلاً فيه؛ فسمي بالكلام المشتق من الكَلْم وهو الجرح"[٢].

٥- ويرى آخرون أنه سمي بذلك؛ لأنه يكسب المتكلم قدرة على الكلام في تحقيق الشرعيات، وإلزام الخصوم[٣].

هذا هو حاصل ما قالوه تعليلاً لهذه التسمية، ويرى أهل السنة هذه التسمية لهذا العلم المبارك تسمية مبتدعة، وهي تنطبق على غير علم التوحيد الذي جاء به المرسلون، فإنه ليس من الكلام في شيء لا اسمًا ولا معنى، ولا مقصدًا ولا غاية ولا استمدادًا.

وأهل السنة - المتبعون لمنهج الصحابة في الاعتقاد - لا يعتبرون الكلام وتعلمه علمًا؛ بل يعدونه جهلاً، فإن أبا يوسف تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى قال لبشر المريسي: "العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم، وإذا صار الرجل رأسًا في الكلام، قيل: زنديق، أو رمي بالزندقة"[٤]، ذلك أن الجدال في الأمور الإلهية بمجرد العقل المحض بعيدًا عن الوحي هو جهل يؤدي إلى الضلال، وقد قال شيخ الإسلام: "إن الجدال في علم العقائد يسمى كلامًا"[٥].

---

(١) توضيح العقائد النسفية د.سليمان خميس ص٦.

(٢) شرح العقائد النسفية للتفتازاني (١/١٩).

(٣) علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة د.أحمد السايح ص ٥٥.

(٤) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/١٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٣٣٦).

وأهل السنة يذكرون أسبابًا أخرى لهذه التسمية المحدثة لعلم التوحيد منها:

١- "أنه سمي كذلك لأن المشتغلين به تكلموا فيما سكت عنه الصحابة والتابعون، مثل الكلام في ذاته تعالى، وصفاته، وأسمائه، وتأويل المتشابه، والبحث في القدر، ونحو ذلك مما وردت الآثار بالنهي عنه والتحذير منه؛ لأجل هذا سمي البحث في المسائل التي سكت عنها المتقدمون كلامًا، وسمي أهله بالمتكلمين، حيث تكلموا فيما كان ينبغي فيه الصمت اقتداء بالصحابة والتابعين ﷺ"[1].

٢- وقد لاحظ بعض العلماء ما بين علماء الكلام وعلماء الفلسفة من نسبة وشبه، فقالوا: لما أنشأ الفلاسفة المنطق ليكون لهم طريقًا في تبيين طرق الاستدلال في العلوم النظرية، فقد شابههم أهل الكلام في إنشاء هذا العلم ليبين لهم طريق الاستدلال في مسائل أصول الدين.

قال الشهرستاني الأشعري في سبب التسمية: "إنه سمي بهذا الاسم لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنًّا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان"[2].

٣- وقال شارح الطحاوية: "إنما سمي هؤلاء أهل الكلام؛ لأنهم لم يفيدوا علمًا لم يكن معروفًا، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد"[3].

ومع أنهم كانوا كما قال شارح الطحاوية؛ بل وقد جاءوا بما يضر من الكلام، فإنهم يفخرون بعد ذلك بالكلام وصنعته، يقول يحيى بن عديّ مشيرًا إلى طائفة من المتكلمين: "إني لأعجب كثيرًا من قول أصحابنا إذا ضمّنا وإياهم

---

(١) مدخل نقدي لدراسة علم الكلام د.محمد السنهوتي ص١٩.

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/٣٠).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (١/٢٤٢).

مجلس، قولهم: نحن المتكلمون، نحن أرباب الكلام، والكلام بنا صح وانتشر، كأن سائر الناس لا يتكلمون، أو ليسوا أهل كلام، لعلهم عند المتكلمين خرس أو سكوت"(١).

٤- وأخيرًا لعله من أهم أسباب التسمية بعلم الكلام أنه ليس تحته أو من ورائه عمل نافع، قال مالك بن أنس رحمه الله تعالى: "الكلام في الدين أكرهه، لم يزل أهل بلدنا يكرهونه، وينهون عنه..؛ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا ما تحته عمل"(٢).

ثم إن علماء الإسلام الثقات، وأحبار العلم الكبار، من مثل: مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، قد زجروا عن علم الكلام وبالغوا في النهي عنه، فقال الشافعي رحمه الله: "حكمي في أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم العشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ في الكلام"(٣).

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله: "لا يفلح صاحب كلام، ولا تكاد ترى أحدًا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دخل"، وقال أيضًا: "علماء الكلام زنادقة"(٤).

وقال الإمام مالك لرجل جعل يسأله عن القرآن: "لعلك من أصحاب عمرو بن عبيد؟ لعن الله عمرًا، فإنه ابتدع هذه البدع من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون، كما تكلموا في الأحكام والشرائع، ولكنه باطل يدل على باطل"(٥).

---

(١) تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام د.محمد علي أبو ريان ص١٣٢.

(٢) مختصر جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص١٥٣.

(٣) الإحياء للغزالي (١/١٣٠).

(٤) تلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٢.

(٥) ذم الكلام للهروي ص٢٩٤.

وقال الإمام البربهاري: "واعلم أنه لم تكن زندقة، ولا كفر، ولا شكوك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين إلا من الكلام، وأهل الكلام، والجدل، والخصومة، والمراء، والعجب"(١).

ولعله قد يرد هنا اعتراض حاصله: إذا كانت تسمية علم التوحيد بعلم الكلام ممنوعة مذمومة، فكيف عبَّر بعض أهل السنة عن علم التوحيد بعلم الكلام، كما فعل ذلك الإمام السفاريني رحمه الله في شرح عقيدته الأثرية، الموسومة بلوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية في شرح الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية؟!

والجواب عن ذلك هو: إذا كان علم الكلام هو: علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية أو المرضية، أو كان علمًا بأمور يقتدر معها على إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج عليها، ودفع الشبه عنها، فإن هذا المعنى الاصطلاحي -دون التسمية- يمكن قبوله عند أهل السنة والجماعة والاعتداد به بشروط، منها:

- أن تكون الأدلة التي وصفت بكونها يقينية ومرضية هي صحائح المنقول من كل كتاب ناطق، وسنة ماضية، وإجماع منعقد مقبول، وصرائح المعقول، وفطرة سوية.

- وأن يكون منهج تقرير المسائل الاعتقادية وردّ قوادح الأدلة الخلافية، متفقًا وقواعد النظر والاستدلال عند أهل السنة، من مثل: الإيمان بجميع النصوص الصحيحة مع التعظيم والتوقير، ودرء كل ما ظاهره التعارض بين أدلة المنقول وأدلة المعقول، ورد النـزاع إلى الكتاب والسنة عمومًا، واعتماد فهم

---

(١) شرح السنة للبربهاري ص٣٨.

الصحابة والسلف الصالح، ونحو ذلك.

ثم يبقى -بعد تصحيح المنهج- أن استعمال هذه التسمية فيها نوع مسامحة ممن قالها أو كتبها من أهل السنة، وهي خلاف الصحيح والمعتمد عند أهل الحق من أسماء هذا العلم الشريف.

ومن ذلك قول القائل:

أيها المغتـــدي ليطلـــب علمًا   كل علمٍ عبد لعلم الكـــلام

تطلب الفقه كي تصحح حكمًا   ثم أغفلت منـــزِّل الأحكام(١)

فهذا على اعتبار المسامحة في هذا الاصطلاح، وإلا فقد عارضه الآخر مصححًا فقال:

أيها المغتـــدي ليطلـــب علمًا   كـــل عـــلمٍ عبـــد لعلم الرسولِ

تطلب الفرع كي تصحح أصلاً   كيف أغفلت علم أصل الأصول(٢)

وقد أزال الإمام السفاريني هذا اللبس بنفسه فقال: "فإن قلت: إذا كان علم الكلام بالمثابة التي ذكرت، والمكانة التي عنها برهنت، فكيف ساغ للأئمة الخوض فيه، والتنقيب عما يحتويه؟ ثم إنك أتيت ما عنه نهيت، وحرَّرت ما عنه نفَّرت، وهل هذا في بادي الرأي إلا مدافعة، وجمع للشيئين اللذين بينهما تمام الممانعة؟ قلت: إن ما ذهب إليه وهلك من التمانع لممتنع، وما سَنَحَ في خَلَدك من التدافع لمندفع؛ بل العلم الذي نهينا عنه، غير الذي ألفنا فيه، والكلام الذي

---

(١) نفح الطيب للتلمساني (٥/٢٩٦) .

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز، ص٧٦.

حذَّرنا منه، غير الذي صنف فيه كل إمام حافظ وفقيه، فعلم الكلام الذي نهى عنه أئمة الإسلام هو العلم المشحون بالفلسفة والتأويل، والإلحاد والأباطيل، وصرف الآيات القرآنية عن معانيها الظاهرة، والأخبار النبوية عن حقائقها الباهرة دون علم السلف ومذهب الأثر، وما جاء في الذكر الحكيم وصحيح الخبر"[١].

وخلاصة الموقف من هذه التسمية ما قاله شيخ الإسلام: "إن السلف لم يذموا جنس الكلام أو الاستدلال والنظر والجدل الذي أمر الله به ورسوله، ولا ذموا كلامًا هو حق، كما أنهم لم يذموا الكلام لمجرد اشتماله على ألفاظ اصطلاحية إذا كانت معانيها صحيحة؛ بل ذموا الكلام الباطل المخالف للكتاب والسنة والعقل"[٢]، "فالسلف ذموا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذموا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق، يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه"[٣].

٢- الفلسفة:

جاء في المعجم الفلسفي "الفلسفة الأولى: مصطلح قال به أرسطو، وأطلقه على دراسة الموجودات الأزلية المفارقة، وهي ما سمي فيما بعد بالميتافيزيقا، وتسمى أيضًا الإلهيات.. وأطلق أخيرًا على دراسة ما يتصل بمشكلة المعرفة والوجود والألوهية"[٤].

---

(١) لوامع الأنوار للسفاريني (١/ ١١٠، ١١١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ١٤٧)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٤/ ١٢٧٤).

(٣) درء التعارض بين العقل والنقل لابن تيمية (٧/ ١٨١).

(٤) المعجم الفلسفي إصدار مجمع اللغة العربية ص١٣٩، ١٤٠.

فالفلسفة إعمال للعقل في أي مجال وكل مجال بلا أي منطلقات سابقة من دين أو وحي؛ للوصول إلى الحقائق الأزلية -بزعمهم-، فهي محاولة إدراك الفاني القاصر للأول والآخر -سبحانه-، وبالتالي فهي محاولة محكومة بالفشل، مقضي عليها بالخسار والبوار قبل أن تبدأ، إذ الفلسفة تنتهي حتمًا إلى التعقيد والتخليط والجفاف كلما حاولت أن تتناول مسائل العقيدة.

ولقد دخل من سمي بفلاسفة المسلمين في جحيم الفلسفة فما خرجوا منها إلا إلى نار الجحيم -عياذا بالله-، فأنكروا البعث والمعاد، وقالوا بقدم العالم، وجاءوا بالكفريات.

قال الغزالي رحمه الله: "وأما الإلهيات ففيها أكثر أغاليطهم، ومجموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً يجب إكفارهم في ثلاثة منها وتبديعهم في سبعة عشر، وقد أبطلناها جميعًا في كتابنا المسمى تهافت الفلاسفة، فأما الثلاثة: فقولهم بأن الأجسام لا تحشر، وأن الله تعالى لا يعلم الجزئيات؛ بل الكليات فقط، وأن العالم قديم... ثم قال: وجب الحكم بكفر أرسطاليس ومن قبله من الفلاسفة كأفلاطون وسقراط وغيرهم، وكفر متبعيهم من متفلسفة الإسلاميين كابن سينا والفارابي وأمثالهم"(١).

بين الفلسفة وعلم الكلام:

إن الكلام يتعلق بدين بعينه، ولكن الفلسفة تبحث عن الحقائق والأصول بتجرد من كل دين ومذهب، ومن حيث المنهج فإن علم الكلام يبدأ من مسلمات عقدية يفترض صحتها، أي أن المتكلم يبدأ من قاعدة يعترف بها ثم

---

(١) المنقذ من الضلال للغزالي ص١٧.

يبدأ في التماس الطريق العقلية المؤدية لإثباتها، وهذا بخلاف الفيلسوف الذي يتشكك في البدهيات، ويماري في الأوليات، حتى يثبتها عقله أولاً، ثم يتدرج منها إلى النتائج، مستخدمًا منهجًا عقليًا صرفًا، فالمتكلم يبدأ بذكر الأدلة على وجود الله، والفيلسوف يبدأ بإنكار وجود الله، والعياذ بالله.

والحاصل أن تسمية علم التوحيد بالفلسفة هو تسمية للإيمان بضده، وللنور والهدى واليقين بالظلمة والضلال والشك، والعلماء متفقون على حرمة تعلم الفلسفة، متفقون على ذمها وذم من دخل فيها من علماء الكلام سواء في ذلك أهل السنة أو الأشاعرة أو الماتريدية.

قال التفتازاني الماتريدي: "ولا يصدنَّك عن آيات الله ودين الإسلام، ولا يصرفنك عن اتباع هؤلاء الأنبياء خوض بعض المتفلسفين في زي الفقهاء في هذه الزندقة الهادمة لدين الإسلام، وملَّة الأنبياء؛ فإنه انسلخ من الدين فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وصار من أئمة الكفرة في صورة علماء المسلمين"(١).

وقال السنوسي الأشعري: "فليحذر المبتدئ جهده أن يأخذ أصول دينه من الكتب التي حشيت بكلام الفلاسفة، وأولع مؤلفوها بنقل ما هو كفر صريح من عقائدهم، التي ستروا نجاساتها باصطلاحاتهم وعبارات مبهمة على كثير من الناس، ككتب الرازي في فن الكلام، وطوالع البيضاوي، ومن حذا حذوهما في ذلك، وقلَّ أن يفلح من أولع بصحبة كلام الفلاسفة، أو يكون له نور إيمان في قلبه أو لسانه"(٢).

---

(١) رد النصوص للتفتازاني، نقلاً عن ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي ص٢٣١.

(٢) شرح متن السنوسية للسنوسي، نقلاً عن ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي ص١٤٨، ١٤٩.

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة ابن حزم رحمه الله: "وكان قد مهر أولاً في الأدب والأخبار والشعر، وفي المنطق وأجزاء الفلسفة، فأثرت فيه تأثيرًا ليته سلم من ذلك"(١).

وأخيرًا فإن طائفة من علماء الكلام الفحول الذين دخلوا في علم الكلام المشحون بالفلسفة قد رجعوا عن الكلام ومسالكه، وتابوا إلى الله من الفلسفة وأوضارها في لحات العمر الأخيرة، كما فعل أبو الحسن الأشعري، حيث قال رحمه الله: "فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا ﷻ، وسنة نبينا ﷺ، وما روي عن الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، و بما قال به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل -نضَّر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته- قائلون، ولما خالف قوله مجانبون"(٢).

وهذا الإمام الجويني رحمه الله يقول في آخر عمره: "يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به"(٣)، وقال عند موته: "لقد خضت البحر الخضم وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل للجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي، أو قال على عقيدة عجائز أهل نيسابور"(٤).

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٨ /١٨٦) .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري (١/ ٢٠).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٨٦/٥)، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٥.

(٤) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري الحنفي ص٦، وتلبيس إبليس لابن الجوزي ص١٠٤، ١٠٥.

وقال الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعًا كف حائرٍ على ذقن أو قارعًا سن نادم[١]

وقال الرازي: "لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن... ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي"[٢].

ثم اعتذر عما دخل فيه بكلام طويل قال في آخره: "وأقول: ديني متابعة الرسول ﷺ، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما،... وأما الكتب التي صنفتها واستكثرت فيها من إيراد السؤالات، فليذكرني من نظر فيها بصالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف السيء، فإني ما أردت إلا تكثير البحث وشحذ الخاطر..."[٣].

وقال الغزالي: "الدليل على أن مذهب السلف هو الحق، أن نقيضه بدعة، والبدعة مذمومة وضلالة"[٤].

وقال أيضًا: "إن الصحابة ﷺ كانوا محتاجين لمحاجة اليهود والنصارى في إثبات نبوة محمد ﷺ، فما زادوا على أدلة القرآن شيئًا، وما ركبوا ظهر اللجاج في وضع المقاييس العقلية وترتيب المقدمات، كل ذلك لعلمهم بأن ذلك مثار الفتن ومنبع التشويش، ومن لا يقنعه أدلة القرآن، لا يقمعه إلا السيف والسنان،

---

(١) نهاية الإقدام للشهرستاني ص٣.

(٢) درء التعارض لابن تيمية (١/١٦٠).

(٣) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/٩١، ٩٢).

(٤) إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي ص٩٦.

فما بعد بيان الله بيان"(١)، وصدق رحمه الله تعالى وغفر له.

وقال الآمدي: "أمعنت النظر في الكلام، وما استفدت منه شيئًا إلا ما عليه العوام"(٢).

وهذا الشوكاني يذكر انكبابه في عنفوان شبابه على مؤلفات طوائف المتكلمين، ثم قال: "ورمت الرجوع بفائدة، والعودة بعائدة، فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة"(٣).

وقال المرعشي: "وأقول كما هجر الغزالي الكلام، كذلك هجرته وتبرأت وتبت منه إلى الله تعالى، الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، وأسأل الله ألا يحشرني يوم القيامة مع المتكلمين، وهذا القول مني بعد اشتغال بالكلام وتأليفي فيه "نشر الطوالع"(٤)، والآن أتمنى أن أجمع نسخه المنتشرة وأحرقها بالنار، ولئلا يبقى مني أثر في الكلام، لكني لا أقدر على ذلك"(٥).

ونقل المرعشي قول أحد المتكلمين في حاشيته لشرح العقائد: "الاشتغال بتفاصيل علم الكلام يقسي القلب؛ ولذا نرى أكثر طلبته تاركي الصلاة، ومرتكبي الكبائر، ومضيعي العمر فيما لا يعنيهم"، ثم علّق عليه فقال: يقول الفقير: "أما قسوة القلب فقد وجدناها بلا شك عند الاشتغال به، فنسأل الله أن يقيلنا عثراتنا"(٦).

---

(١) المصدر السابق ص٨٩-٩٠.

(٢) درء التعارض لابن تيمية (٣/٢٦٢).

(٣) التحف في مذاهب السلف للشوكاني ص٧٤.

(٤) من العجب أن هذا الكتاب الذي تراجع عنه صاحبه، كان مقررًا على طلاب المعاهد الدينية بالأزهر في فترة سابقة، وهو شرح لطوالع البيضاوي الأصولي المتكلم.

(٥) ترتيب العلوم للشيخ محمد المرعشي المعروف بـ(ساجقلي زاده) ص٧٤.

(٦) المصدر السابق ص٢١٥.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولو جمعت ما بلغني في هذا الباب عن أعيان هؤلاء كفلان وفلان، لكان شيئًا كثيرًا، وما لم يبلغني عن حيرتهم وشكهم أكثر وأكثر؛ وذلك لأن الهدى هو فيما بعث الله به رسله، فمن أعرض عنه لم يكن مهتديًا فكيف بمن عارضه بما يناقضه، وقدَّم مناقضه عليه"(١).

وأخيرًا أقول: إن العبرة بكمال النهايات لا بنقص البدايات، وذكر هذه الأخبار عن علماء أهل الإسلام يدل على كمالهم وحسن مقصدهم، غفر الله لهم جميعًا، قال الذهبي رحمه الله بعد أن ذكر الغلاة في الطوائف الإسلامية من أهل القبلة: "... قد ماجت بهم الدنيا وكثروا، وفيهم أذكياء وعباد وعلماء، نسأل الله العفو والمغفرة لأهل التوحيد، ونبرأ إلى الله من الهوى والبدع، ونحب السنة وأهلها، ونحب العالم على ما فيه من الاتباع، والصفات الحميدة، ولا نحب ما ابتدع فيه بتأويل سائغ، وإنما العبرة بكثرة المحاسن"(٢).

وقال أيضًا في حق الإمام أبي حامد الغزالي رحمه الله: "ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء وخيار المخلصين، لتلف، فالحذار الحذار من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل، وإلا وقعتم في الحيرة، فمن رام النجاة والفوز فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام، وأن يتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يغفر له، وينجو إن شاء الله"(٣).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/١٦٦).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٠/٤٥، ٤٦).

(٣) المصدر السابق (١٩/٣٢٨، ٣٢٩).

المبحث الثالث

موضوع علم التوحيد

إن موضوع أي علم هو ذلك المعنى العام الذي يشتمل كل مسائله التي يتخذها دائرة لبحثه دون غيره من العلوم، وذكر موضوع العلم بعد تعريفه مما يزيده تحديدًا وتمييزًا عن غيره، كما يشير إلى طبيعة منهج البحث فيه؛ لأن مناهج العلوم إنما توضع ملائمة لطبيعة موضوعاتها.

وفي تعريف موضوع العلم اصطلاحًا، قال ابن النجار الحنبلي رحمه الله: "هو ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية"(١)، أي الأحوال التي منشؤها ذات الشيء محل البحث، فالمقصود الأحوال التي منشؤها ذات العلم.

فإذا قيل مثلاً: إن موضوع علم الطب هو بدن الإنسان، فإن موضوعه يبحث عما يعرض لهذا البدن من أحوال الصحة والمرض، وإذا قيل إن موضوع علم الفقه هو أفعال المكلفين، فإنه يبحث عما يعرض لهذه الأفعال من الأحكام؛ كالوجوب، والحرمة، والندب، والكراهة، والإباحة، والصحة، والفساد.

وموضوع علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة يدور على أمور منها: بيان حقيقة الإيمان بالله تعالى وتوحيده، وما يجب له تعالى من صفات الجلال والكمال، مع إفراده وحده بالعبادة دون شريك، والإيمان بالملائكة الأبرار والرسل الأطهار وما يتعلق باليوم الآخر، والقضاء والقدر، كما يدور على بيان ضد التوحيد وهو الشرك والكفر وبيان حقيقتيهما وأنواعهما.

وقد يقال إن موضوع علم التوحيد يدور على محاور ثلاثة، وذلك على

---

(١) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي بتحقيق د. محمد الزحيلي ود. نزيه حماد (١/٣٣).

النحو التالي:

١ ـ ذات الله تعالى أو (الإلهيات):

والبحث في ذات الله تعالى من حيثيات ثلاث، هي:

١- ما يتصف به تعالى من العلم والحياة والقدرة والصفات، وسائر صفاته وكمالاته تعالى. قال سبحانه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١].

٢- ما يتنــزه عنه من الظلم والنقص والعجز والمثالب، وسائر ما لا يليق بجلاله وكماله. قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة:٢٥٥].

٣- حقه على عباده، وهو أن يعبدوه فلا يشركوا به شيئًا، وأن يطيعوه فلا يعصوه أبدًا. قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

وقد أغفل كثير من المخالفين لأهل السنة في الاعتقاد هذه الحيثية الثالثة عند البحث في موضوع علم التوحيد، حيث قصروه على ما يشمل إثبات وجوده تعالى وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأغفلوا ما يشمل ألوهيته وعبادته، وسبب ذلك أنهم قصروا الإيمان على التصديق وأخرجوا عنه العمل بالطاعات، واجتناب الشركيات، وجعلوا الكفر مجرد التكذيب والجحود بالقلب، ولا دخل لعمل الجوارح في الكفر، إلا إذا دل على انتقاض عمل القلب فحسب، ولذا قال قائلهم في جوهرة التوحيد:

ومن بمعلــوم ضرورة جحد ... من ديننا يقتل كفرًا ليس حد

ومثل هذا من نفى لمُجْمَــعِ ... أو استبــاح كالزنا فلتسمع

يقول فضيلة الشيخ الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله: "قال الشيخ محمد عبده في موضوع علم التوحيد: هو علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفى عنه وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب إليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم، فلم يذكر شئون الغيب وأحوال المعاد، ثم قال بعد ذلك: وأصل معنى التوحيد اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وسمي هذا العلم به تسمية له بأهم أجزائه، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلق الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب كان الغاية العظمى من بعثة النبي ﷺ كما تشهد به آيات الكتاب العزيز...

وقد غلط الشيخ عبده في اعتباره توحيد الربوبية والانفراد بالخلق هو الغاية من بعثة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فإن هذا النوع من التوحيد كانت تقر به الأمم التي بعثت إليها الرسل إجمالاً، ولم يقع نزاع فيه بينهم وبين الرسل، وإنما كان النـــزاع في توحيد الإلهية والعبادة؛ ولهذا لم يجئ على لسان الرسل عليهم السلام الدعوة إلى اعتقاد أن الله هو وحده الخالق -وإن وردت أدلة ذلك في ثنايا الرسالات-، وإنما كان مدار دعوتهم هو عبادة الله وحده لا شريك له، فكل منهم كان مفتتح دعوته لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٦٥]...

ولعل فضيلة الشيخ عبده في هذا كان متأثرًا بالأشعرية، الذين جعلوا الانفراد بالخلق هو أخص خصائص الإلهية، واهتموا في كتبهم بإقامة البراهين على هذا النوع من التوحيد، دون أن يشيروا إلى توحيد الإلهية الذي هو أقصى الغايات ونهاية النهايات.

وقد أحسن العلامة السيد رشيد رضا حيث قال مستدركًا على أستاذه: "فات الأستاذ أن يصرح بتوحيد العبادة، وهو أن يعبد الله وحده ولا يعبد غيره

بدعاء ولا بغير ذلك... هذا التوحيد هو الذي كان أول ما يـــدعو إليه كل رسول قومه بقوله: ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾"(١).

فإن اقتصر الباحث في علم التوحيد على هذه الحيثيات الثلاث، وبفهم السلف فهو داخل حظيرة الإسلام والسنة، وإن خاض في البحث عن حقيقة الذات وكنه الصفات وأمور الإلهيات على قواعد أهل الكلام؛ فقد خرج عن السنة إلى البدعة، وعن الهدى إلى الضلالة، وإن زاد في المخالفة، فبحث على قواعد أهل الفلسفة، فقد خرج عن دائرة البدعة إلى الكفر، والعياذ بالله تعالى.

ورحم الله من قال:

العجزُ عن دَركِ الإدراكِ إدراكُ والبحثُ في كُنْهِ ذاتِ اللهِ إشْرَاكُ

٢ـ ذوات الرسل الكرام أو (النبوات):

والبحث في ذوات الرسل الكرام من الحيثيات التالية:

- ما يلزمهم ويجب عليهم من صدق وأمانة وبلاغ ونصح لأممهم ونحو ذلك. قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [هود:٧٥]، وقال سبحانه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤]، وقال ﷻ: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ﴾ [المائدة:٩٩].

- ما يجوز في حقهم من أكل ونكاح وأمراض غير منفرة وموت، ونحو ذلك مما يعرض للبشر. قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأۡكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشِي فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ ﴾ [الفرقان:٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلٗا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَذُرِّيَّةٗ ﴾ [الرعد:٣٨]، وقال تعالى: ﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ [إبراهيم:١١].

---

(١) دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص ٨-١٠.

- ما يستحيل في حقهم من الكذب والخيانة والكفر والكبائر والموبقات. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم:٣، ٤].

- ما يجب لهم على أتباعهم من الحب والطاعة والاتباع والتعظيم. قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء:٦٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٦].

٣- السمعيات أو (الغيبيات):

وهي ما يتوقف الإيمان به على مجرد ورود السمع أو الوحي به، وليس للعقل في إثباتها أو نفيها مدخل، كأشراط القيامة، وتفاصيل البعث والجزاء دون أصلهما، والصراط والحوض، وأخبار الجنة والنار، ونحو ذلك.

والبحث في السمعيات أو مسائل الغيب يكون من حيث اعتقادها، وهو يقوم على دعامتين اثنتين هما:

١- الإقرار بها مع التصديق، ويقابله الجحود والإنكار لها.

٢- الإمرار لها مع إثبات معناها، ويقابله الخوض في الكنه والحقيقة، ومحاولة التصور والتوهم بالعقل بعيدًا عن النقل.

وضابط السمعيات: أن العقل لا يمنعها أو يحيلها، ولا يقدر على ذلك، ولا يقدر أن يوجبها، ولا يحار في ذلك.

فمتى ما صح النقل عن الله ﷻ أو رسوله ﷺ، فإن الواجب اعتقاد ذلك والإقرار به، ودفع كل تعارض موهوم بين شرع الله وهو الوحي، وبين خلقه وهو العقل، قال تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، وكما أنه لا تفاوت في خلقه ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ﴾ [تبارك:٣]، فلا تفاوت أيضًا في شرعه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، والقاعدة الذهبية أنه لا يتعارض نقل صحيح مع عقل صريح عند التحقيق.

- وأخيرًا فإنه قد يصح أن يقال إن موضوع علم التوحيد هو ذات الله تعالى وحده، وذلك من حيث ما يجب له ويجوز ويمتنع(١)، ومن حيث رسالته الواردة عن طريق الرسول، ومن حيث ما ورد في هذه الرسالة من خبر ووحي، فالكل متعلق بالله تعالى الواحد الأحد، وعلى هذا فكل ما له تعلق بالله أو الرسول أو الوحي من الحيثيات السابقة فهو من علم التوحيد، وما خرج عن ذلك فهو خارج عن علم التوحيد ولابد.

---

(١) سبق تعريف الشيخ ابن عثيمين لعلم التوحيد باعتبار موضوعه بأنه: "العلم الذي يبحث في ذات الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع".

فالعقل الطبعي الموهوب هو شرط التكليف، ولكن لما كان التكليف لا يناط بكل مقدار من العقل، وإنما هناك درجة من العقل إذا بلغها الصبي كان مكلفًا، ولما كان من الصعب معرفة بلوغ الصبي تلك المرتبة التي هي مناط التكليف، فقد أقام الشارع البلوغ -كوصف ظاهر منضبط- دليلاً على اكتمال القدر المطلوب من العقل للتكليف.

٢ـ البلوغ:

ويقصد به انتهاء حد الصغر، وانتقال الصبي من حالة الطفولة إلى حالة الرجولة، وعنده يتم التكليف ويجري القلم، ويدرك الصغير قضاياه المصيرية، ويفكر بجدية في إجابات الأسئلة الضرورية، فإذا مات الصبي قبل البلوغ، فقد مات مرفوعًا عنه القلم وناجيًا عند الله تعالى، سواء في ذلك أبناء المسلمين والكفار على الراجح.

كما نقل ابن المنذر الإجماع على ذلك، فقال: "وأجمعوا على أن الفرائض والأحكام تجب على المحتلم العاقل"[١].

=وانظر: علل الترمذي (ص/٢٢٥-٢٢٧)، وعلل الدارقطني (٧٢/٣، ١٩٢ رقم ٢٩١، ٣٥٤). وإلى هذا ذهب البخاري فأورده في صحيحه معلقًا من قول عليٍّ كما في كتاب (الطلاق) من صحيحه (٢٠١/٥) باب: (الطلاق في الإغلاق).

لكن رواه أحمد (١٠٠/٦، ١٠١، ١٤٤)، وأبو داود (٤٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٥٦٢٥)، وابن ماجه (٢٠٤١)، والحاكم (٥٩/٢)، وابن حبان (١٤٢) من حديث عائشة رضي الله عنها. وصححه الحاكم، والألباني في صحيح الجامع (٣٥١٢-٣٥١٤) من حديث عليٍّ، وصححه الحاكم وابن حبان من حديث عائشة، ونقل الترمذي في العلل عن البخاري قوله في حديث عائشة: (أرجو أن يكون محفوظًا). وله شواهد عن جماعة من الصحابة. انظر: نصب الراية للزيلعي (١٦١/٤).

(١) الإجماع لابن المنذر ص١١١، وهو عند ابن قدامة في المغني (٢٩٧/٤)، والبهوتي في كشاف القناع (٤٤٣/٣)، وابن مفلح في المبدع (٣٣٢/٤)، وابن حجر في الفتح (٢٠٤/٦).

المبحث الثامن
واضع علم التوحيد

لا شك أن التوحيد جاءت به الرسل والأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه، وأما علم التوحيد فقد مر في وضعه وتدوينه بطورين:

أولهما: طور الرواية (ما قبل التدوين)، والثاني: طور التدوين والاستقرار.

وهذه لمحة عن كلتا المرحلتين.

أولاً: طور الرواية:

لم يكن الرعيل الأول من الصحابة ﷺ بحاجة إلى التدوين في العلوم الشرعية، فقد كانوا يتلقون عن رسول الله ﷺ الوحيين، "ويوردون عليه ما يشكل عليهم من الأسئلة والشبهات فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم، وقد أورد عليه من الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أعداؤه للتعنت والمغالبة، وأصحابه للفهم والبيان وزيادة الإيمان"[1]، وكل ذلك رواه الصحابة عن النبي ﷺ لمن بعدهم، فكانت مسائل الاعتقاد محفوظة في أذهانهم، مستدلاً عليها بكتاب ربهم وسنة نبيهم ﷺ، ولم يقع بينهم اختلاف في شأن العقيدة؛ بل اجتمعوا على عقيدة صحيحة، سالمة نقية خالية من كل شوب، فكانوا " أقرب إلى أن يوفقوا إلى الصواب من غيرهم بما خصهم الله به من توقد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وتقوى الرب، فالعربية طريقتهم وسليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم... علموا التنـــزيل وأسبابه، والتأويل وآدابه، وعاينوا الأنوار القرآنية، والأشعة المصطفوية، فهم أسعد الأمة بإصابة الصواب،

(١) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٨٠).

وأجدرها بعلم فقه السنة والكتاب"[١].

لأجل هذا لم يكن الصحابة ﷺ بحاجة إلى تدوين علم التوحيد أو تصنيف كتب فيه.

ثانيًا: طور التدوين:

وبدأ هذا في حياة التابعين، وإن وقعت في زمنه ﷺ صور من الكتابة والتدوين، حيث ابتدأ ذلك الإمام الزهري رحمه الله تعالى، ثم شاع ذلك في النصف الأول من القرن الثاني الهجري كما فعل الإمام مالك في الموطأ، حيث رتبت الأحاديث على أبواب تتعلق بالتوحيد مثل: باب الإيمان، وباب التوحيد، وباب العلم، الخ...

ولعل هذا التبويب للأحاديث كان النواة الأولى في استقلال كل باب فيما بَعْدُ بالتصنيف والبحث.

ومما أوقد جذوة التدوين ما وقع في آخر زمن الصحابة من بدع واختلاف في العقيدة، كما في مسألة القدر، وكان أول من تكلم به معبد الجهني (ت: ٨٠ هـ)، ومسألة التشيع والغلو في آل البيت، وفتنة عبد الله بن سبأ، كما وقعت من قبل بدعة الخوارج وصرَّحوا بالتكفير بالذنوب، وبعد ذلك نشأ مذهب المعتزلة على يد واصل بن عطاء (ت:١٣١هـ)، وصنَّف في مسائل من العقيدة ما خالف به الصحابة والتابعين، وخرج على إجماع خير القرون في الاعتقاد، فتصدى له التابعون بالرد عليه والمناظرة في هذه المسائل، ثم بدأ التصنيف في عقيدة أهل السنة حين أصبح ضرورة لابد منها لنفي تأويل المبطلين، ورد انحراف الغالين، وكان أول مدوَّن عرفناه في العقيدة -على هذا النحو- هو كتاب الفقه الأكبر

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١٤٨/٤-١٥٠) بتصرف.

لأبي حنيفة رحمه الله (ت:١٥٠هـ) وهو ثابت النسبة إليه، رواه أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، كما رواه حماد بن أبي حنيفة. حدد فيه أبو حنيفة عقائد أهل السنة تحديدًا منهجيًا ورد فيه على المعتزلة، والقدرية، والجهمية، والشيعة، واشتمل على خمسة أبواب -في أتم رواياته-: الأول في القدر، والثاني والثالث في المشيئة، والرابع في الرد على من يكفر بالذنب، والخامس في الإيمان، وفيه حديث عن الأسماء والصفات، والفطرة، وعصمة الأنبياء، ومكانة الصحابة، وغير ذلك من مباحث العقيدة.

فلو قال قائل: إن واضع علم التوحيد -بمعنى أول من وضع مؤلفًا خاصًّا في الفن من أهل السنة- هو الإمام أبو حنيفة؛ لكان صادقًا ولم يبعد عن الصواب، "وإن كان قد قيل: إن واضعه الإمام مالك بن أنس، وأنه ألف فيه رسالة، وقيل أيضًا أنه لما كثرت الفتن أمر المنصور بوضع كتب لإزالتها والرد عليها"[(١)].

كما ثبت أن الإمام ابن وهب رحمه الله (ت:١٩٧هـ) وضع كتابًا في القَدَر على طريقة المحدثين في جمع الأحاديث وإن كان دون تبويب.

ولقد نسب كتاب بنفس اسم الفقه الأكبر للإمام الشافعي رحمه الله[(٢)] (ت:٢٠٤ هـ)، تناول فيه مسائل الاعتقاد مسألة مسألة، ورد على الفرق المخالفة في ثنايا كلامه، إلا أن نسبة الكتاب إلى الإمام الشافعي غير موثقة، فقد قال حاجي خليفة في كشف الظنون: ".. لكن في نسبته إلى الشافعي شك، والظن الغالب أنه من تأليف بعض أكابر العلماء"[(٣)].

---

(١) اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم لمحمد أبي عليان الشافعي ص٢٣٧.

(٢) طبع بتحقيق د. محمد محمود فرغلي.

(٣) كشف الظنون لحاجي خليفة (١٢٨٧/٢).

ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة في علم التوحيد ولكن بأسماء مختلفة لهذا العلم، فمن أول ذلك كتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلاَّم (ت:٢٢٤ هـ)، وتبعه على هذا كثيرون إلى يوم الناس هذا، كما ظهر مصطلح السنة للدلالة على ما يسلم من الاعتقادات، واشتهر ذلك زمن الإمام أحمد رحمه الله، ومن الكتب المصنفة باسم السنة، كتاب السنة لابن أبي شيبة رحمه الله(ت:٢٣٥هـ) والسنة للإمام أحمد رحمه الله (ت:٢٤٠هـ) وغير ذلك، ثم ظهر مصطلح التوحيد في مثل كتاب التوحيد لابن سريج البغدادي رحمه الله (ت:٣٠٦هـ)، وكتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله (ت:٣١١هـ)، وواكب ذلك ظهور مصطلح أصول الدين، ثم ظهر التأليف باسم العقيدة أوائل القرن الخامس الهجري، واستقرت حركة التصنيف ومنهج التأليف، واستقل علم التوحيد علمًا متميزًا عن غيره بلقب ومنهج مخصوص.

وأخيرًا فإن فيما سبق بيانه رد على من زعم -من الأشاعرة والماتريدية- أن واضعي علم التوحيد هما: أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤ هـ)، وأبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣ هـ)، حيث سُبقا بتآليف كثيرة كتبت على منهج أهل الحديث، أهل السنة والجماعة.

المبحث التاسع
غاية علم التوحيد

"الغرض والغاية والفائدة والثمرة من العلم بمعنى واحد، فكل ذلك اسم للمصلحة المترتبة على تعلم العلم، وإنما اختلفت العبارات لاختلاف الاعتبارات، فكل منفعة ترتبت على فعل ما تسمى فائدة وثمرة، من حيث ترتبها عليه، وتسمى غاية، من حيث إنها على طرف الفعل ونهايته، وغرضًا من حيث إن الفاعل فعل ذلك الفعل لأجل حصوله"(١).

وتظهر ثمرة دراسة علم التوحيد -على منهج أهل السنة والجماعة- من جهات وحيثيات كثيرة، إلا أنها تعود إلى أمرين أساسيين، الأول: باعتبار المكلف، والثاني: باعتبار العلم نفسه وعلوم الإسلام الأخرى، وما يتعلق بالمكلف يعود إلى منفعة دنيوية وأخروية، والدنيوية ترجع إلى منفعة علمية وعملية، وتفصيل هذه المنافع على النحو التالي:

أولاً: ثمرته بالنسبة للمكلف:

١- في حياته الدنيا:

إن قيام المدنية، وازدهار الحضارة، وانتظام أمر الحياة، وطيب العيش، لمن ثمرات التوحيد المباركة، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

---

(١) ترتيب العلوم للمرعشي ص٨٦.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد:٢٨].

"إن الإيمان يثمر طمأنينة القلب وراحته، وقناعته بما رزق الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح"(١).

وفي الصحيح: **"عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن"**(٢).

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: "وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية والنعيم؛ بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا وأسرّهم، تلوح نضرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها"(٣).

وفصَّل الرازي القول في بيان حياة المؤمن الطيبة في الدنيا من خمسة وجوه، فقال:

- إن المؤمن يعلم أن رزقه من تدبير ربه، وربه محسن له فيه، فهذا يدعوه

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي ص٧٣.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب الرومي ﷺ.

(٣) الوابل الصيب لابن القيم ص٧٠.

إلى الرضا عن الله ورزقه.

- وإن المؤمن يعلم حقيقة الدنيا وسرعة تقلبها، فلا يجزع عند حلول كدرها؛ لأنه يعلم أن العيش عيش الآخرة.

- والمؤمن مع رضاه وعدم جزعه مغمور بالسعادة في حياته؛ لأن غايته إرضاء ربه، فهو يلهج بهذه الكلمة: "إن لم يكن بك غضب عليَّ فلا أبالي".

- ثم إن لذات الدنيا زائلة خسيسة، وأعظم لذاتها الوقاع والطعام، وقد يحتقرهما الإنسان إذا تفكر فيهما.

- فالمؤمن عندما تقبل عليه الدنيا لا يعانقها معانقة العاشق؛ لأنه يعلم زوالها، فيأخذ منها بقدر ما يتزود إلى الآخرة(١).

والمؤمن يتلذذ بلذات معنوية هي أعظم من كل اللذات الحسية، ولذا قال بعض السلف: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه؛ لجالدونا عليه بالسيوف"(٢)، وقال غيره: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الحديد:١٣]: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أنَّى رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة"(٤).

---

(١) التفسير الكبير للرازي (١١٢/٢٠).

(٢) القائل هو الفضيل بن عياض. انظر: الجواب الكافي لابن القيم ص١٦٨.

(٣) القائل هو ابن تيمية. انظر: الوابل الصيب لابن القيم ص٦٩.

(٤) الوابل الصيب لابن القيم ص٦٩.

ومظاهر الحياة الطيبة التي خص الله بها عباده المؤمنين في الدنيا كثيرة نذكر منها:

- ولاية الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ [البقرة:٢٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ثم وصفهم بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣].

- محبة الله ﷻ للمؤمنين ومحبة الخلق لهم:

قال تعالى ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة:٥٤]

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ [مريم:٩٦].

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات -وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ لمتابعتها الشريعة المحمدية- يغرس لهم في قلوب عباده الصالحين محبة ومودة، وهذا أمر لابد منه ولا محيد عنه"(١).

- مدافعة الله عن المؤمنين وإنجائه لهم ونصرهم على أعدائهم:

قال سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴾ [غافر:٥١].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨]، ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم وأتم.

---

(١) تفسير ابن كثير (١٤٠/٣).

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٨].

وقال تعالى: ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ [فصلت:١٨].

- حصول نور البصيرة التي تفرق بين الحق والباطل:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال:٢٩].

وهذا الفرقان فسَّره أهل العلم بالنور الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، فيفرق به بين الحق والباطل، والسنة والبدعة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢].

- حصول العزة وتمام الكرامة والشرف:

قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون:٨].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٤].

فالعزة في الإيمان، والذلة في الكفر والعصيان، فاللهم أعزنا بطاعتك والإيمان، ولا تذلنا بمعصيتك والكفران، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت.

٢- في قوته العلمية:

وهي القوة التي يدرك الإنسان بها، ويفرق بين الحق والباطل، وتظهر ثمرة علم التوحيد العلمية من خلال الأمور التالية:

- معرفة الله تعالى معرفة يقينية:

إن سلوك منهج أهل السنة في تعلم علم التوحيد يوصل العبد -ولابد- إلى

غاية المطالب، وأشرف المقاصد، وأول الواجبات، وهو معرفة الله تعالى بالتوحيد، وإفراده تعالى بالعبادة، والبراءة من الشرك، وكلما ازداد العبد علمًا بالتوحيد، ازداد رقيًّا في مدارج الإيمان ومعارج اليقين، وارتقى من الإيمان المجمل إلى الإيمان المفصَّل، ومن حال التقليد إلى حال اليقين والإذعان، والتصديق عن حجة وبرهان، بحيث يكون اعتقاد الإنسان في ربه ذاتًا وصفات وأفعالاً مطابقًا للواقع عن دليل صحيح، وهذا أفضل ما اشتغل بعلمه إنسان، كما في الحديث أن النبي ﷺ سُئل: أي العمل أفضل؟ فقال ﷺ: **"إيمان بالله ورسوله"**(١)

والعلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته سبيل لرفع الدرجات وحصول البركات، قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة:١١]، وهذا العلم الصحيح هو الذي يحل عقدة الأسئلة الكبرى التي ضلت البشرية في الاهتداء إلى جوابها، فتاهت في دروب الإلحاد، وعبادة الشجر، والحجر، والتثليث، وعبادة الهوى من دون الله تعالى، ففي القلب خلّة لا يسدها إلا الاعتقاد الحق، وحاجة لا تنقضي إلا بمعرفة الرب.

كانت لقلبي أهواء مفرقة فاستجمعت بك مذ رأتك العين أهوائي
فصار يحسدني من كنت أحسده وصرتُ مولى الورى مذ صرت مولائي

- انشراح الصدر وطمأنينة القلب:

وهذا الأمر ثمرة حصول المعرفة الصحيحة بالله تعالى، والإجابة على أسئلة الفطرة حول الكون والحياة، فنفس لا إيمان فيها مضطربة، قلقة، تائهة خائفة، فأما اضطرابها؛ فلأنها كالسفينة تتاقذفها الأمواج العاتية، تتلقى عن كثيرين -غير الله تعالى- مناهجها وعقائدها فتضطرب مرجعيتها، ويختلف سبيلها، وتتناقض مسيرتها، وأما النفس المؤمنة الموحِّدة، فقد اتحد مصدر ورودها وصدورها في

---

(١) تقدم تخريجه ص١٥٢.

كل أمر، فهي تتلقى من الله وعن الله، وهي تسير إلى الله.

قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر:٢٩]. فإذا تعددت الأسياد على المملوك، فقد شقي حاله، واضطرب أمره.

وفي النفس قلق على المستقبل وطلب لاستجلاء الغيوب، ولا يزيل هذا القلق كالإيمان بخيرية الذات، وخيرية العمل، وخيرية المآل والمصير، فالمؤمن الموحِّد ينظر إلى الغيب بعين التفاؤل والرضا عن الله تعالى في قضائه وقدره، فيسكب في النفس برد اليقين، ومشاعر الأمن والاطمئنان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام:٨٢]، فمن أراد الله له الهداية وانشراح الصدر هداه إلى الإسلام أولاً، ثم إلى سلامة العقيدة من شوائب البدع ثانيًا.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام:١٢٥].

- حصول برد اليقين واستقرار الفكر.

قال شيخ الإسلام: "والمقصود أن ما عند عوام المؤمنين وعلمائهم أهل السنة والجماعة، من المعرفة واليقين، والطمأنينة، والجزم الحق، والقول الثابت، والقطع بما هم عليه، أمر لا ينازع فيه إلا من سلبه الله العقل والدين"[١].

"إنك تجد أهل الكلام أكثر الناس انتقالاً من قول إلى قول، وجزمًا بالقول في موضع، وجزمًا بنقيضه وتكفير قائله في موضع آخر، وهذا دليل عدم اليقين... أما أهل السنة والحديث، فما يعلم أحد من علمائهم، ولا صالح من

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٩).

عامتهم، رجع قط عن قوله واعتقاده؛ بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك، وإن امتحنوا بأنواع المحن، وفتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف الأمة من الصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة... وبالجملة فالثبات والاستقرار في أهل الحديث والسنة أضعاف أضعاف أضعاف ما هو عند أهل الكلام والفلسفة"[١].

وقال أيضًا رحمه الله: "حدثني من قرأ على ابن واصل الحموي[٢] أنه قال: أبيت بالليل وأستلقي على ظهري، وأضع الملحفة على وجهي، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء بأدلة هؤلاء وبالعكس، وأصبح ما ترجح عندي شيء"[٣].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي -يصف حاله وحال إخوانه من المتكلمين-:

فيك يا أغلوطة الفكر ... حار أمري وانقضى عمري

سافرت فيكِ العقول فما ... ربحت إلا أذى السفرِ

فلحى الله الأولى زعموا ... أنك المعروف بالنظرِ

كذبوا إن الذي ذكروا ... خارج عن قوة البشرِ

أين هذه الحيرة والاضطراب في الظلمات ممن التزم المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فهو على نور من ربه، وما أروع ما سطره يراع ابن القيم في شرح قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور:٣٥]، حيث قال: "النور على النور: نور الفطرة الصحيحة، والإدراك الصحيح، ونور الوحي والكتاب، فينضاف أحد النورين إلى الآخر فيزداد العبد نورًا على نور،

---

(١) المصدر السابق (٤/٥٠، ٥١).

(٢) وهو رأس في الكلام والفلسفة.

(٣) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣/٢٦٣، ٢٦٤).

ولهذا يكاد ينطق بالحق والحكمة قبل أن يسمع ما فيه بالأثر، ثم يبلغه الأثر بمثل ما وقع في قلبه ونطق به، فيتفق عنده شاهد العقل والشرع، والفطرة والوحي، فيريه عقله وفطرته وذوقه الذي جاء به الرسول ﷺ هو الحق، لا يتعارض عنده العقل والنقل البتة؛ بل يتصادقان ويتوافقان"(١).

- النجاة من الانحراف عن الصراط المستقيم:

وذلك لأن الاعتقاد الصحيح هو سبيل الله، قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾ [الأنعام:١٥٣]، والانحراف عن سبيل الله هو اتباع السبل والطرق المخالفة لما أمر الله به في الأصول والفروع.

قال أبو العالية الرياحي: "تعلموا الإسلام، فإذا تعلمتموه فلا ترغبوا عنه، وعليكم بالصراط المستقيم فإن الصراط المستقيم الإسلام، ولا تنحرفوا عن الصراط المستقيم يمينًا ولا شمالاً، وعليكم بسنة نبيكم، وإياكم وهذه الأهواء التي تلقي بين أهلها العداوة والبغضاء، فرددها مرارًا"(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز: "سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سننًا، الأخذ بها تصديق لكتاب الله ﷻ، واستكمال لفرائض الله، وقوة على دين الله، من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى"(٣).

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ص١٤.

(٢) الإبانة لابن بطة (١/٣٥٢) رقم (٢٣٠).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥٢) رقم (٢٣٠).

وقال أبو الدرداء: "لن تضل ما أخذت بالأثر"(١).

وقال ابن سيرين: "الرجل ما كان على الأثر فهو على الطريق"(٢).

وهذه الآثار تصديق لقوله جل شأنه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴾ [النساء:٦٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

قال ابن بطه رحمه الله: "فرحم الله عبدًا لزم الحذر، واقتفى الأثر، ولزم الجادة الواضحة، وعدل عن البدعة الفاضحة"(٣).

٣- في قوته العملية:

وهي القوة التي تحمل الإنسان على السير إلى الله تعالى، والاجتهاد في عبادته، والتقرب إليه بما يرضيه، واجتناب ما يسخطه، وتظهر ثمرة علم التوحيد العملية من خلال الأمور التالية:

- تحقيق الإخلاص وأعمال القلوب على الوجه الصحيح:

إن الإخلاص هو حقيقة الدين، ومفتاح دعوة رسل الله أجمعين، وهو روح التوحيد ولب الرسالة، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة:٥]، والإخلاص هو إفراد الحق سبحانه بالقصد، وهو

---

(١) المصدر السابق (٣٥٢/١) رقم (٢٣٢).

(٢) المصدر السابق (٣٥٦/١) رقم (٢٤١، ٢٤٢)

(٣) المصدر السابق (٣٦٥/١).

تصفية العمل من كل شوب، وفي أهمية الإخلاص وأعمـال القلوب يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "أعمال القلوب هي الأصل، وأعمال الجوارح تبع ومكملة، وإن النية بمنـزلة الروح، والعمل بمنـزلة الجسد للأعضاء، الذي إذا فارق الروح فموات... فمعرفة أحكام القلوب أهم من معرفة أحكام الجوارح"(١).

والإخلاص يتوقف في حصوله وكماله على معرفة العبد لربه، وتعظيمه وتأليهه، ومعرفة أسمائه تعالى وصفاته، وإحصائها والتعبد لله بمقتضاها، فمن كان بالله أعرف كان له أخلص، وفيما عند الله تعالى أرغب، ومن عقوبته أرهب.

والإخلاص إذا تمكن من طاعة من الطاعات مهما كانت يسيرة، فإن الله تعالى يغفر بها الذنب ويضاعف الأجر، يقول شيخ الإسلام في هذا الشأن: "والنوع الواحد من العمل قد يفعله الإنسان على وجه يكمل فيه إخلاصه وعبوديته لله، فيغفر الله به كبائر كما في حديث البطاقة(٢)... فهذه حال من قالها بإخلاص وصدق، كما قالها هذا الشخص، وإلا فأهل الكبائر الذين دخلوا النار كلهم يقولون لا إله إلا الله، ولم يترجح قولهم على سيئاتهم، كما ترجح

---

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/٧٠٥).

(٢) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: **"إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله و أشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: احضر وزنك فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: فإنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات و ثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله تعالى شيء"**. أخرجه أحمد في المسند والترمذي، والحاكم في المستدرك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٧٦)، الصحيحة (١٣٥).

قول صاحب البطاقة".. ثم ذكر رحمه الله حديث البغي التي سقت كلبًا فغفر الله لها.. والرجل الذي أماط الأذى عن الطريق فغفر الله له، ثم قال: "فهذه سقت الكلب فغفر لها.. فالأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص"(١).

- اشتغال الجوارح بالطاعات:

إذا عمر الإخلاص قلب العبد، وتحققت أعمال القلوب من محبة الله ورسوله، والتوكل على الله والصبر له، والخوف منه والرجاء فيما عنده، انطلقت الجوارح ولابد في طاعة الله تعالى، ولا يتخلف ذلك أبدًا، وفي الصحيح: "**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**"(٢)، فصلاح الظاهر تابع لصلاح الباطن في الأصل، والارتباط بينهما حاصل.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها، علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح"(٣).

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ [الأنبياء: ٩٤]، "فلا يجحد عمله ولا يخيب سعيه؛ بل يثاب عليه أضعافًا بحسب قوة إيمانه"(٤).

وقال سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢١٨/٦-٢٢٠) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٣) بدائع الفوائد لابن القيم (٧١٠/٣).

(٤) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ عبد الرحمن السعدي ص٧٣.

كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [الإسراء:١٩].

والسعي للآخرة هو العمل بكل ما يقرب إليها ويدني منها، من الأعمال التي شرعها الله على لسان نبيه محمد ﷺ، فإذا تأسست على الإيمان وانبنت عليه، كان السعي مشكورًا مقبولاً مضاعفًا، لا يضيع منه مثقال ذرة، وأما إذا فقد العمل الإيمان، فلو استغرق العامل ليله ونهاره فإنه غير مقبول، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان:٢٣].

- الاجتماع والوحدة والائتلاف:

وهذا هو ما دعى الله إليه عباده بقوله:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[آل عمران:١٠٣]، وقال سبحانه:﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران:١٠٥].

وقال ﷺ: **"من ترك الطاعة وفارق الجماعة ثم مات فقد مات ميتة جاهلية"**(١)، وقال ﷺ: **"الجماعة رحمة والفرقة عذاب"**(٢).

وقد اقتفى السلف نصوص الكتاب والسنة، فكانوا مجتمعين على اعتقاد واحد وهو ما كان عليه رسول الله وأصحابه، ينقله سلفهم إلى خلفهم لا يختلفون فيه أبدًا.

قال الأصفهاني في كتابه الحجة: "ومما يدل على أن أهل الحديث على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم من الديار، وسكون كل واحد فيهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن بطه في الإبانة (٢٨٧/١)، وأشار محققه إلى أنه صحيح.

ونمط واحد، يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجيء على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا"(١).

وقال أبو إسماعيل الصابوني: "وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم، لم يخالف بعضهم بعضًا، بل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يضادها"(٢).

وقال ابن بطة العكبرى: "إلا من كان على طريق الاتباع، واقتفاء الأثر، والانقياد للأحكام الشرعية والطاعة الديانية، فإن أولئك من عين واحدة شربوا، فعليها يردون، وعنها يصدرون، قد وافق الخلف الغابر للسلف الصادر"(٣).

وقال ابن قدامة المقدسي: "وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم يتفقون على الإقرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من غير تعرض لتأويله"(٤).

وإنما سمو جماعة لاجتماعهم على الحق علمًا وعملاً، فكان اشتقاق الجماعة عن اجتماعهم.

٤- في حياته الآخرة:

إن امتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه من الموحِّدين، ودخول الجنة ابتداء لمن اقتصد من أصحاب اليمين، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات، مع

---

(١) الحجة في بيان المحجة لأبي القاسم إسماعيل الأصبهاني (٢/٢٢٤، ٢٢٥).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث لأبي إسماعيل الصابوني ص١١١.

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة (٦/٣٨٦).

(٤) لمعة الاعتقاد لابن قدامة، تحقيق الأرناؤوط ص١٥.

رضوان الله تعالى ورؤية وجهه الكريم في الجنات، هو غاية المطالب، ونهاية الرغائب لجميع المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [فاطر:٣٢، ٣٣].

وفي هذه الآية حرف من الحيف أن يُكتب بالمداد، وإنما ينبغي أن يكتب بماء الذهب فرحًا وطربًا؛ لأنه يشير إلى كرامة من الله لهذه الأمة لا تعدلها كرامة، ألا وهو حرف الواو في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، فالداخلون هنا هم الموحِّدون من أمة محمد ﷺ بأصنافها الثلاثة المذكورة في الآية.

قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسيره: "قال بعض أهل العلم: حق لهذه الواو أن تكتب بماء العينين، فوعده الصادق بجنات عدن لجميع أقسام هذه الأمة، وأولهم الظالم لنفسه، وهو يدل على أن هذه الآية من أرجى آيات القرآن، ولم يبق من المسلمين أحد خارج عن الأقسام الثلاثة، فالوعد الصادق بالجنة في الآية شامل لجميع المسلمين.. وقدَّم الظالم لئلا يقنط، وأخَّر السابق بالخيرات لئلا يعجب بعمله فيحبط"(١).

وعندما خطب عمر رضي الله عنه وتلا الآية السابقة قال: "سابقنا مقرب، ومقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له"(٢)، ولا عجب؛ فالاصطفاء درجات، كما أن

(١) أضواء البيان للشنقيطي (١٦٥/٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٣٤٦/١٤).

الإبعاد دركات، فمن أعظم ثمار التوحيد المباركة على المكلف أن الله تعالى قد ضمن له الجنة فله الحمد والمنة.

والجنة لا يدخلها إلا مؤمن موحد وإن ظلم نفسه بغير الشرك، ولا يخلَّد في النار إلا كافر أو منافق، ففي الحديث: **"لا يدخل الجنة إلا مؤمن"**(١)، فالمؤمن إما أن يعامله ربه بفضله، فيغفر له بلا سابقة عذاب، ويمحق توحيده سيئاته، كما في الحديث القدسي: **"يا ابن آدم، إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة"**(٢).

وإما أن يعامله بعدله، فيأخذه بذنبه، فيطهره منه ثم يؤول أمره إلى الجنة، وإذا دار الأمر بين فضله سبحانه وعدله، غلب فضله عدله، وسبقت رحمته غضبه.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

قال عليٌّ ﷺ: "ما في القرآن آية أحب إليَّ منها"(٣)، وقال علي بن الحسين: "هذه أرجى آية في كتاب الله". فهذه الآية أتت على كل وعيد، فرحمته سبحانه وسعت كل شيء، وحلمه تعالى سبق غضبه، وهو سبحانه ما أطمع عباده إلا ليعطيهم، ما لم يخدشوا صفاء التوحيد بالشرك، فالموحِّد قد

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٤)، ومسلم (١١١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٠)، والضياء في المختارة (١٥٧١)، والطبراني في الأوسط (٤٣٠٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٣١) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وإسناده لا بأس به، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٣٣٨)، وأخرج مسلم نحوه (٢٦٨٧) من حديث أبي ذر ﷺ.

(٣) رواه الترمذي (٣٠٣٧)، وانظر: تفسير القرطبي (٥/٢٤٦)، وتفسير ابن كثير (١/٥٥٦).

وعده ربه مغفرته بتوحيده، ودخول جنته برحمته.

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:٧٢].

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة … فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

إن كان لا يرجـوك إلا محسن … فبمن يلوذ ويستجـير المجرمُ

ما لي إليك وسـيلة إلا الرجـا … وجميـل عفوك ثم أني مسلمُ

ثانيًا: ثمرته بالنسبة للعلم نفسه وعلوم الإسلام:

وثمرة علم التوحيد باعتبار العلم نفسه هي حفظ هذا العلم بحفظ قواعده، وأصوله ومسائله، وفي هذا حفظ للدين نفسه؛ لأن العلم الشرعي دين يدان الله تعالى به، قال الإمام مالك رحمه الله تعالى: "إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه"[(١)].

وإذا كان العلم الشرعي مطلوب الحفظ عامة، فلا شك أن علم الاعتقاد يطلب حفظه على وجه الخصوص؛ لأنه أصل لما عداه، ولأنه أول الواجبات وآخرها وألزمها على المكلف، قال ابن القيم رحمه الله: "إن العبد لو عرف كل شيء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئًا"[(٢)]، والمتعرض لحفظ هذا العلم متعرض لفضل الله ورحمته، ودعاء النبي ﷺ له بنضارة الوجه، ورفع الدرجات وتكفير السيئات، واستغفار الملائكة وسائر المخلوقات، "ولا رتبة فوق رتبة من تشتغل الملائكة وغيرهم بالاستغفار والدعاء له، وتضع له أجنحتها"[(٣)].

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٣/٥).

(٢) إغاثة اللهفان لابن القيم (٦٨/١).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم لابن جماعة ص٨.

وحفظ العلم كما يكون بتعلمه يكون بتعليمه وتوريثه وبذله لطالبيه، وهذا من أفضل القرب وأعلى الرتب، وفي الحديث: "**خير ما يخلف الرجل بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية يبلغه أجرها، وعلم يعمل به من بعده**"(١).

قال أنس بن مالك ﷺ: "بلغني أن العلماء يُسألون يوم القيامة كما تُسأل الأنبياء؛ يعني: عن تبليغه"(٢).

وقال ابن جماعة رحمه الله: "إن تعليم العلم من أهم أمور الدين، وأعلى درجات المؤمنين"(٣).

- كما أن من ثمرات تعلم علم التوحيد وتعليمه تحصيل القدرة على إرشاد المسترشدين، وهداية المنحرفين، والوقوف أمام التيارات الإلحادية، والأهواء البدعية، وفي ذلك ثواب المنافحة عن الإسلام، والمدافعة عن السنة، قال أنس ابن مالك ﷺ: "إن طلب العلم لحسن، وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية".

افتتح الإمام أحمد رحمه الله كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة" بذكر أوصاف أهل العلم، فكان من جملة ما قال: "ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"... ثم عقب ذلك بأوصاف أهل البدع فقال: "الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٤١) من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ. وقد صححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٤٦/١). وله شاهد عند مسلم (١٦٣١)، في الحديث المشهور عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علمٍ يُنْتَفَعُ به، أو ولدٍ صالح يدعو له".

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١٤٩/١).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة ص٤٧.

الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين"(١).

وقال صاحب كتاب مفتاح السعادة في بيان نية العالم في علمه: "وإنما يريد ابتغاء مرضات الله والامتثال لأوامره والاجتناب لنواهيه، ويريد نشر العلم، وتكثير الفقهاء، وتقليل الجهلة، وإرشاد عباد الله إلى الحق، ودلالتهم على ما يصلحهم في النشأتين، وإظهار دين الله، وإقامة سنة رسول الله ﷺ، وتشييد قواعد الإسلام، والتفريق بين الحلال والحرام، ويكون مخلصًا في ذلك، راغبًا في الآخرة، موقنًا بما أعد الله للعلماء العاملين، راجيًا ثوابه، وخائفًا من عقابه"(٢).

- ومن ثمرات هذا العلم: إقامة ما عداه من علوم الشريعة والفروع، فإنها تتعلق بعد ذلك بالعمل، "والعلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع"(٣).

فإقامة علوم الفروع تبنى على إثبات إله عالم، مرسل للرسل، منـــزل للكتب، وبغير هذا العلم لا يتصور علم تفسير أو حديث أو فقه ونحو ذلك.

قال السفاريني في منظومته:

وبعـــد فاعلم أن كل العلم ... كالفرع للتوحيد فاسمع نظمي

وعلى الجملة، فدراسة علم التوحيد تفيد الدارس بإخراجه من حضيض التقليد إلى مرتبة اليقين، وتصحيح النية والعقيدة، وتفيد السائل إن كان

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص٦.

(٢) مفتاح السعادة لطاش كبرى زاده (٣٥/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٥٣/٤).

مسترشدًا بدلالته إلى الحق وبيان الصواب، وإن كان معاندًا بإلزامه الحق بالحجة والبرهان، كما ترجع فوائده إلى تثبيت قواعد الدين بدرء الشبهات والأباطيل، وإقامة ما عداه من العلوم الشرعية، إذ هو أساسها، وإليه يؤول أخذها واقتباسها.

المبحث العاشر
مسائل علم التوحيد

المسائل لغة: جمع مسألة، وهي من السؤال، وهو الطلب.

والمسألة اصطلاحًا: مطلوب خبري يبرهن عنه في العلم بدليل(١).

وقد يقال: "إن مسائل كل علم هي معرفة الأحوال العارضة لذات موضوع العلم"(٢).

فإذا كان موضوع علم الفقه -مثلاً- أفعال المكلفين من حيث تعلق الأحكام الشرعية بها، فإن مسائله هي معرفة أحكام هذه الأفعال، وعلى هذا فإنه إذا كان تعريف علم التوحيد هو "العلم بالأحكام الشرعية العقدية، المكتسب من أدلتها المرضية، ورد الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية"، وكان موضوع علم التوحيد هو الله تعالى، والملائكة، والرسل الكرام، وقضايا اليوم الآخر والغيبيات؛ فإن مسائله هي معرفة أحكام القضايا الاعتقادية المتعلقة بذلك كله من الوجوب والجواز والاستحالة، وما توقفت عليه تلك الأحكام لاستفادتها على منهج أهل السنة والجماعة.

فمسائل علم التوحيد تتضمن معرفة الأحكام الشرعية العقدية كأحكام الألوهية، وعصمة الرسل، وقضايا اليوم الآخر ونحو ذلك، وقد عنيت كتب العقائد به أعظم عناية، وكتبت في تحريره وتقريبه -على منهج السلف الصالح أهل السنة والجماعة- مطولات ومختصرات، ومنظومات ومنثورات من زمن السلف وإلى يوم الناس هذا.

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ٢٥٥.

(٢) شرح الكوكب المنير لابن النجار الحنبلي (١/٣٣).

وملحق في آخر هذا الكتاب مبحثان:

الأول: عرض مفصل لأهم مسائل علم الاعتقاد كما حوتها كتب أهل السنة سلفًا وخلفًا، رتبت على أبواب وفصول ومباحث ومطالب؛ لتكون تبصرة للمبتدي، وتذكرة للمنتهي.

والثاني: نخبة منتقاة من مصنفات أهل السنة سلفًا وخلفًا في علم الاعتقاد.

مع تعريف مختصر لبعضها، ودراسة موجزة للبعض الآخر.

الفصل الثاني

خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة

المبحث الأول: التوقيفية (الربانية).

المبحث الثاني: الغيبية.

المبحث الثالث: الوسطية.

المبحث الرابع: العقلانية.

المبحث الخامس: الفطرية.

المبحث السادس: الشمولية.

تمهيد

امتازت مناهج أهل السنة والجماعة في مسائل الدين أصوله وفروعه بخصائص جعلتها تستولي على ناصية الحق ومعاقد التوفيق.

ويتجلَّى هذا بوضوح في العقيدة، حيث تجمع إلى الاقتباس من مشكاة القرآن والسنة، والوقوف عندهما، والتسليم لهما، الاتساق مع العقل والفطرة، والشمولية في الفهم والتطبيق، مع التوازن والوسطية، وفيما يأتي تفصيل لهذه الخصائص المباركة في عقيدة أهل السنة والجماعة.

المبحث الأول
التوقيفية (الربانية)

وتعني أن أهل السنة لا يقتبسون عقيدهم إلا من مشكاة النبوة، قرآنًا وسنة، لا عقل ولا ذوق ولا كشف، ولا يجعلون شيئًا من ذلك معارضًا للوحي؛ بل هذه إن صحت كانت معضدة لحجة السمع، فالوحي هو الأصل المعتمد في تقرير مسائل الاعتقاد.

قال قوام السنة الأصبهاني: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة أمامهم، وطلبهم الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقًا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفًا لهما تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق وقد يرى الباطل، وهذا معنى قول أبي سليمان الداراني، وهو واحد زمانه في المعرفة: "ما حدثتني نفسي بشيء إلا طلبت منها شاهدين من الكتاب والسنة، فإن أتت بهما، وإلا رددته في نحرها. أو كلام هذا معناه"(١).

وقال شيخ الإسلام: "ولا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به رسول الله ﷺ؛ بل يجعلون ما بُعث به الرسول من الكتاب والحكمة هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه"(٢).

---

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/٢٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٧).

"فالذين يزعمون أنهم يستمدون شيئًا من الدين عن طريق العقل والنظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإلهام والكشف والوجد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص يزعمون لهم العصمة غير الأنبياء، أو الإحاطة بعلم الغيب (من أئمة أو رؤساء أو أولياء أو أقطاب أو أغواث... أو نحوهم)، أو يزعمون أنه يسعهم العمل بأنظمة البشر وقوانينهم؛ من زعم ذلك فقد افترى على الله أعظم الفرية"(١).

أسباب التوفيقية:

وأما الأسباب التي حملت أهل السنة على الوقوف عند النصوص وعدم تجاوزها فيمكن إجمالها فيما يأتي:

أولاً: تواتر النصوص الآمرة باتباع الكتاب والسنة ولزومهما.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر:٧]، وقوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء:٥٩]. قال عطاء: "طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"(٢).

وقال ابن القيم: "روى أبو داود في مراسيله عن النبي ﷺ أنه رأى بيد بعض أصحابه قطعة من التوراة فقال: "**كفى بقوم ضلالة أن يتبعوا كتابًا غير كتابهم الذي أنزل على نبيهم**"(٣)؛ فأنزل الله ﷻ تصديق ذلك: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت:٥١]، فهذا حال من أخذ دينه عن كتاب منـــزل على غير النبي، فكيف بمن أخذه عن عقل فلان وفلان، وقدّمه على كلام الله ورسوله"(٤).

---

(١) بحوث في عقيدة أهل السنة والجماعة لناصر العقل ص٣٣.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٢/١)، وتفسير الطبري (١٤٧/٥).

(٣) المراسيل لأبي داود (٤٥٤) عن يحيى بن جعدة. وراجع أثر ابن عباس في النهي عن سؤال أهل الكتاب، رواه البخاري (٢٦٨٥).

(٤) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.

ثانيًا: ثبوت كمال الدين وتمام تبليغ الرسالة:

فالرسول ﷺ قد أوقف أمته على أصول ومسائل العقيدة بحيث لم يترك من تفاصيلها شيئًا إلا بيَّنه، وهذا المعنى من ضرورات إكمال الدين الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة:٣]؛ إذ العقيدة هي أهم ما في الدين.

نقل شيخ الإسلام رحمه الله عن الخطابي قوله: "وكان الذي أنزل عليه – أي النبي ﷺ- من الوحي وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه، لقوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى ﴾ [المائدة:٣]، فلم يترك شيئًا من أمور الدين؛ قواعده وأصوله، وشرائعه وفصوله، إلا بيّنه وبلّغه، على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه؛ إذ لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال، ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة إليه أبدًا في كل وقت وزمان، ولو أخّر عنه البيان لكان التكليف واقعًا بما لا سبيل للناس إليه، وذلك فاسد غير جائز"(١).

وقال ابن القيم: "فعرَّف – أي النبي ﷺ- الناس ربهم ومعبودهم غاية ما يمكن أن تناله قواهم من المعرفة، وأبدأ وأعاد واختصر وأطنب في ذكر أسمائه وصفاته وأفعاله، حتى تجلت معرفته سبحانه في قلوب عباده المؤمنين، وانجابت سحائب الشك والريب عنها، كما ينجاب السحاب عن القمر ليلة إبداره، ولم يدع لأمته حاجة في هذا التعريف لا إلى من قبله، ولا إلى من بعده؛ بل كفاهم وشفاهم وأغناهم عن كل من تكلم في هذا الباب... وعرَّفهم الطريق الموصل لهم إلى ربهم ورضوانه ودار كرامته، ولم يدع حسنًا إلا أمرهم به، ولا قبيحًا إلا نهاهم عنه، كما قال: **"ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به، ولا**

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٢٩٥/٧، ٢٩٦).

عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه"(١)، قال أبو ذر ﷺ: "لقد تركنا محمد ﷺ، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا وهو أذكرنا منه علمًا"(٢).

وعرّفهم حالهم بعد القدوم على ربهم أتمّ تعريف، فكشف الأمر وأوضحه، ولم يدع بابًا من العلم النافع للعباد المقرّب لهم إلى ربهم إلا فتحه، ولا مشكلاً إلا بيّنه وشرحه، حتى هدى الله به القلوب من ضلالها، وشفاها به من أسقامها، وأغاثها به من جهلها، فأيّ بشر أحقّ بأن يُحمَد منه؟ وجزاه عن أمته أفضل الجزاء"(٣).

ويقول ابن عبد البر رحمه الله: "ليس في الاعتقاد كله، في صفات الله وأسمائه، إلا ما جاء منصوصًا في كتاب الله، أو صح عن رسول الله ﷺ، أو أجمعت عليه الأمة، وما جاء من أخبار الآحاد في ذلك كله أو نحوه يُسلّم له ولا يناظر فيه"(٤).

ثالثًا: حرمة القول على الله بغير علم.

لقد حرَّم الله تعالى الكلام بلا علم مطلقًا، وخصَّ القول عليه بلا علم بالنهي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧٩/٧)، وهناد في الزهد (٢٨/١)، والحاكم في المستدرك (٢١٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٩٩/٧) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ. وفيه انقطاع في إسناده يُعلم من علل الدارقطني (٢٧٣/٥ رقم ٨٧٥)، ومعناه مشهور في الشريعة لا يحتاج مثله لإسناد. ومن ذلك حديث المطلب بن حنطب أن رسول الله ﷺ قال: "ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئًا مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه". رواه الشافعي في الأم (٢٢٩/٧) بإسناد لا بأس به.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٠٨٥٤)، والطبراني في المعجم الكبير (١٦٤٧).

(٣) جلاء الأفهام لابن القيم ص١٧٩-١٨١.

(٤) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١١٧/٢، ١١٨).

كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

قال شيخ الإسلام: "وكل من أثبت لله ما نفاه عن نفسه، أو نفى عنه ما أثبته لنفسه من المعطلة والممثلة؛ فإنه قال على الله غير الحق، وذلك مما زجر الله عنه بقوله للنصارى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء:١٧١]، وبقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [المائدة:٧٧]، وقال عن الشيطان: ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة:١٦٩]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]. فإن من قال غير الحق، فقد قال على الله ما لا يعلم؛ فإن الباطل لا يُعلم إلا إذا عُلم بطلانه، فأما اعتقاد أنه الحق فهو جهل لا علم، فمن قاله فقد قال ما لا يعلم"(١).

مظاهر التوقيفية:

والتوقف عند النصوص ودلالاتها كانت له آثار ومظاهر في منهج أهل السنة والجماعة في تقرير مسائل الاعتقاد، وقطع التراع حولها، فمن ذلك:

١- الرد إلى الوحي عند النـــزاع، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٤، ٤٦٥).

﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]. قال مجاهد: "كتاب الله وسنة نبيه، ولا تردوا إلى أولي الأمر شيئًا"(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "ما تنازع فيه الناس من مسائل الصفات، والقدر، والوعيد، والأسماء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك يردونه إلى الله ورسوله، ويفسرون الألفاظ المجملة التي تنازع فيها أهل التفرق والاختلاف: فما كان من معانيها موافقًا للكتاب والسنة أثبتوه، وما كان فيها مخالفًا للكتاب والسنة أبطلوه، ولا يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، فإن اتباع الظن جهل، واتباع هوى النفس بغير هدى من الله ظلم"(٢).

٢- حبس اللسان عن الكلام في العقيدة إلا بدليل هاد من الكتاب والسنة، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١]. قال ابن عباس: " أي لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة"(٣)، وقال مجاهد: "لا تفتئتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضيه الله على لسانه"(٤).

"فلابد من الالتزام بالكتاب والسنة ومعقولهما لفظًا ومعنى، فلا يستعمل في التعبير عن العقيدة إلا الألفاظ التي جاءت في الكتاب والسنة، ويجب أن تستعمل هذه الألفاظ فيما سيقت فيه من المعاني المرادة بها في الكتاب والسنة،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٣/١)، وتفسير الطبري (١٤٧/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٧/٣).

(٣) انظر: روح المعاني للألوسي (١٣٢/٢٦)، وتفسير ابن كثير (٢٠٦/٤).

(٤) انظر: تفسير البغوي (٢٠٩/٤).

فهو توقيف في مصادر العقيدة، وفي ألفاظها وأساليب التعبير عنها"[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه عن الله من صفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول"[٢].

٣- التسليم لله تعالى وللرسول ﷺ، من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف أو تأويل أو تعطيل أو تكييف أو تمثيل، وترك نَصْب شَرَك التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل، ومجانبة الجدال والمراء في نصوص العقيدة ومعاقدها الكلية، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين العقل والنقل فمرده إلى الوهم في قطعية أحدهما ثبوتًا أو دلالة.

٤- سد باب الابتداع والإحداث في الدين، ورد جميع ما خالف سنة سيد الأنبياء والمرسلين ﷺ، فمستند المشروعية -أبدًا- هو موافقة الشريعة المطهرة.

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"[٣].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وما أحسن ما جاء عن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سلمة أنه قال: عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة، فإن السنة إنما جعلت ليُستنَّ بها، ويُقتصر عليها، وإنما سنَّها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتحمق، فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم فإنهم عن

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لإبراهيم البريكان ص٦٢، ٦٣.
(٢) مجموع الفتاوى (٥/٤٣٢).
(٣) المرجع السابق (١/٨٦).

علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم كانوا على كشفها أقوى، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة، فلئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حدثٌ حدثَ بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم، ورغب بنفسه عنهم، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان"[1].

٥- وأخيرًا فإن هذه التوقيفية والربانية لها أثرها العظيم في عصمة أهل السنة وعلومهم من الخطأ والزلل والانحراف والاضطراب في فهم العقيدة، وترك التخليط في مصادر التلقي والمرجعية، وتصفيتها من كل نفَس كلامي مردود، أو شوب فلسفي مذموم، أو دَخَل مسلكي مبتَدَع؛ فالعقيدة ترجع إلى مصدر موثوق لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو الوحي الذي تكفَّل الله تعالى بحفظه.

قال قوام السنة الأصبهاني: " غير أن الله أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف، وقرنًا عن قرن، إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث"[2].

كما أن من ثمرات التوقيفية أنها ضمانة لتوحيد كلمة الأمة على منهج

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٧).

(٢) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/٢٢٣، ٢٢٤).

واحد، عندما تلتقي على هذا الوحي الإلهي بما فيه من موازين لا تضطرب ولا تتأرجح ولا تتأثر بالهوى والدوافع الذاتية.

قال قوام السنة الأصبهاني: "وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل، فأورثهم الاتفاق والائتلاف"(١).

وقال رحمه الله: "ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد. ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء وإن قلَّ؛ بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟"(٢).

وإذا كان أهل السنة يستقون عقيدتهم من نبع واحد هو الوحي المعصوم، حتى صارت التوقيفية من أخص خصائص العقيدة عندهم؛ فإن أهل الأهواء والبدع قد تعددت مشاربهم، وخلطوا في مصادر عقائدهم، فتراهم يستدلون بالعقليات والأوهام، والظنون، والذوق، وآراء الرجال، والفلسفات، والروايات الضعيفة، وما لا أصل له، وغير ذلك من المصادر المنحرفة، وما كان من النصوص موافقًا لأصولهم البدعية وأهوائهم الردية أثبتوه، وما كان منها مخالفًا لأقوالهم وآراء كبرائهم تأولوه وردوه، فلم يكن اعتمادهم في الحقيقة على الكتاب والسنة؛ بل على أصولهم البدعية.

---

(١) المرجع السابق (٢/٢٢٦).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٢٤، ٢٢٥).

قال ابن القيم رحمه الله: "وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول ما يخالف نحلتها ومذهبها، فالعيار على ما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه، والقواعد التي أصلتها، فما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها فإن أمكنهم دفعه وإلا تأولوه. ولهذا لما أصلت الرافضة عداوة الصحابة ردوا كل ما جاء في فضائلهم والثناء عليهم أو تأولوه، ولما أصلت الجهمية أن الله لا يتكلم ولا يكلم أحدًا، ولا يرى بالأبصار، ولا هو فوق عرشه مبائن لخلقه، ولا له صفة تقوم به، أولوا كل ما خالف ما أصلوه، ولما أصلت القدرية أن الله سبحانه لم يخلق أفعال عباده ولم يقدرها عليهم أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المعتزلة القول بنفوذ الوعيد، وأن من دخل النار لم يخرج منها أبدًا، أولوا كل ما خالف أصولهم، ولما أصلت المرجئة أن الإيمان هو المعرفة، وأنها لا تزيد ولا تنقص، أولوا ما خالف أصولهم، ولما أصلت الكلابية أن الله سبحانه لا يقوم به ما يتعلق بقدرته ومشيئته، وسموا ذلك حلول الحوادث، أولوا كل ما خالف هذا الأصل، ولما أصلت الجبرية أن قدرة العبد لا تأثير لها في الفعل بوجه من الوجوه، وأن حركات العباد بمنزلة هبوب الرياح وحركات الأشجار، أولوا كل ما جاء بخلاف ذلك. فهذا في الحقيقة هو عيار التأويل عند الفرق كلها"[(١)].

ولما سار أهل السنة في طريق الوحي المعصوم، وصلوا إلى جنة الحق، وعصموا من الخطأ والزلل والاضطراب، وكانوا أمة واحدة لا تفرق بينهم ولا اختلاف في مسائل الاعتقاد. ولما تنكب غيرهم الطريق، فخالفوا أمر رب العالمين، باتباع الصراط المستقيم، وعدم اتباع سبل الشياطين، وخالفوا أمر النبي الأمين، فولجوا الأبواب المفتحة، وهتكوا الستور المرخاة، تحقق فيهم وعيده سبحانه لمن خالف أمره وأمر نبيه ﷺ، فتفرقوا عن سبيله واختلفوا، وزلوا

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (١/٢٣٠-٢٣٢).

واضطربوا، ووقعوا في التناقض، وأتوا بالعجائب، فهم في أمر مريج، يبدع بعضهم بعضًا، ويفسق بعضهم بعضًا، ويكفر بعضهم بعضًا، ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد.

قال قوام السنة الأصبهاني رحمه الله: "وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعًا وأحزابًا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد، يبدّع بعضهم بعضًا؛ بل يرتقون إلى التكفير يكفّر الابن أباه، والرجل أخاه، والجار جاره، تراهم أبدًا في تنازع وتباغض واختلاف، تنقضي أعمارهم ولم تتفق كلماتهم ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾[سورة الحشر:١٤]"(١).

❁ ❁ ❁

(١) الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/٢٢٥).

المبحث الثاني

الغيبية

"الغيب في كلام العرب: كل ما غاب عنك"(١).

وقال الراغب الأصفهاني: "الغيب: مصدر غاب الشيء بمعنى استتر عن العيون، يقال: غاب عني كذا، واستُعمِل في كل غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان، بمعنى الغائب.

والغيب: هو ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقول، بحيث لا يدرك بواحد منهما ابتداء بطريق البداهة، وإنما يعلم بخبر الأنبياء، عليهم الصلاة والسلام"(٢).

والغيبية كأحد خصائص العقيدة الإسلامية تعني قيام العقيدة على التسليم بوجود الغيب، كما تعني وجوب الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

قال قتادة في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[البقرة:٣]:"آمنوا بالجنة والنار، والبعث بعد الموت، وبيوم القيامة، وكل هذا غيب"، وقال أنس ﷺ: "الذين يؤمنون بالغيب: آمنوا بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الآخر، وجنته، وناره، وآمنوا بالحياة بعد الموت، فهذا كله غيب"(٣).

---

(١) تفسير القرطبي (١٦٣/١)، وانظر: لسان العرب لابن منظور (١٥١/١٠-١٥٣).

(٢) مفردات القرآن للراغب الأصفهاني ص٣٦٦-٣٦٧، وانظر: تفسير البيضاوي (١٠٤/١)، وتفسير أبي السعود (٥٣/١).

(٣) تفسير الطبري (١٠١/١).

وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة:٣]: "اختلف المفسرون في تأويل الغيب هنا، فقالت فرقة: الغيب في هذه الآية: الله سبحانه، وضعّفه ابن العربي، وقال آخرون: القضاء والقدر، وقال آخرون: القرآن وما فيه من الغيوب، وقال آخرون: الغيب كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة، وعذاب القبر، والحشر، والنشر، والصراط، والميزان، والجنة، والنار، قال ابن عطية: وهذه الأقوال لا تتعارض؛ بل يقع الغيب على جميعها، قلت: وهذا هو الإيمان الشرعي المشار إليه في حديث جبريل عليه السلام، حين قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الإيمان، قال: **"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"**، قال: صدقت[1]... وذكر الحديث"[2].

مظاهر ودلائل الغيبية:

والغيبية واحدة من الركائز الكبرى والخصائص العظمى في العقيدة، حيث إن كثيرًا من مسائل العقيدة وقضاياها يقع في نطاق الغيب، ولذلك شواهد كثيرة في الشرع، فمن ذلك:

١- أن الباري سبحانه وتعالى ابتدأ كتابه العزيز بذكر هذه الركيزة كخاصية من خواص المؤمنين اللازمة، وصفة من صفاتهم البارزة.

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:١-٣].

---

(١) رواه مسلم من حديث عمر، وروى البخاري ومسلم نحوه من حديث أبي هريرة.

(٢) تفسير القرطبي (١/١٦٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن ويقال إنها أول سورة نزلت بالمدينة، افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين، وآيتين في صفة الكافرين، وبضع عشرة آية في صفة المنافقين"(١).

٢- ما ورد في فضل المؤمنين بالغيب وعظم أجرهم، وبيان أن الإيمان بالغيب هو أفضل الإيمان وأعظم مقامات الدين.

فعن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا ثَمَّ عبد الله بن مسعود جلوسًا، فذكرنا أصحاب النبي ﷺ وما سبقونا به، فقال عبد الله: "إن أمر محمد ﷺ كان بيّنًا لمن رآه، والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانًا أفضل من إيمانٍ بغيب"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله في تعليقه على قوله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [آل عمران:١٧٩]: "فحظكم أنتم وسعادتكم في الإيمان بالغيب الذي يطلع عليه رسله، فإن آمنتم به وأيقنتم فلكم أعظم الأجر والكرامة"(٣).

وقال رحمه الله: "الإيمان بالغيب أجل المقامات على الإطلاق"(٤).

وكما أن الإيمان بالغيب يقوم على أساس متين من الشرع، فهو يقوم كذلك على أساس متين من الفطرة والعقل.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٠٠).

(٢) رواه الحاكم (٣٠٣٣)، وصححه، وابن منده في كتاب الإيمان (١/٣٧١)، بإسناد صحيح.

(٣) زاد المعاد لابن القيم (٣/٢٢٠).

(٤) طريق الهجرتين لابن القيم (١/٤٣٧).

فالإيمان بالغيب حاجة فطرية عند الإنسان؛ بل هو من خصائص الإنسان الفطرية التي يتباهى بها؛ إذ يشترك مع سائر الحيوانات في إدراك المحسوسات، ويتميز عنها بالإيمان بالغيب كما جاء به الوحي، دون دخول في الخيالات الباطلة، والأوهام الزائفة، والخرافات والشطحات.

"ولو كانت نزعة الإيمان بالغيب والتطلع إليه من ناحية طرفيه: الماضي والآتي، عنصرًا من عناصر الفكرة الدينية وحدها، لكان الإنكار لما وراء الحس إلحادًا فحسب، ولو كانت هي النتيجة الختامية لتقدم العلوم واتساع أفقها، لكان هذا الإنكار نقصًا في العلم وقصرًا في النظر، وكفى. أما وتلك الترعة بنت الغريزة والجبلة، فإن الأمر أعظم من ذلك وأخطر: إنه نكسة في فطرة الإنسان ترده إلى مستوى الحيوان الأعجم، ولا نقول إلى مستوى الطفولة الغافلة، فإن كثيرًا من الأطفال ذوي الفطر السليمة لا يقنعون بالأمر الواقع المشاهد، ولا يقفون في تعليله عند حلقة من حلقات أسبابه وغاياته القريبة؛ بل يصعدون دائمًا إلى أسبابه الأولى، ويسترسلون في تعريف نتائجه الأخيرة، فهذه صورة مصغرة من تلك الترعة الفكرية الإنسانية التي هي أبدًا في حركة وتقدم يأبيان الوقوف والجمود"(١).

كما أن الأمور الغيبية التي تضمنتها العقيدة لا تناقض العقل – وإن حار فيها - ولا وسيلة له لإنكارها والتكذيب بوجودها، وليس فيها شيء يضطر الإنسان إلى رفضها والتخلي عنها بعد بلوغه أي مرحلة من مراحل الارتقاء الفكري والعلمي.

---

(١) الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. محمد عبد الله دراز ص٩٥.

فهناك أمور لا يستطيع العقل أن يصل إليها، لأنها لا تقع في محيط تجربته وعمله، ولا تستطيع الأدوات التي يحصِّل بها المعرفة، وهي أدوات الحس، أن تصل إليها؛ لأنها خارجة عن نطاق المحسوسات وإن كان في إمكان العقل أن يعقلها حين تُبيَّن له، فهذه تلقَّن للعقل تلقينًا عن طريق الوحي، ويكون دور العقل أن يعلمها، لا بطريق التجربة أو الحس، ولكن عن طريق التيقن من صدق الخبر وصدق المُخْبِر، وهو مدعو إلى القيام بعملية التيقن هذه بكل الوسائل التي يملكها... وهي مُؤدية إلى الغاية الصحيحة حين يستقيم العقل.

وباستقراء استعمالات العرب لكلمة الغيب ومشتقاتها، نجد أنها تقابل الشهادة وليست مقابلة للشيء الموجود أو الشيء المعقول، وقد جمع الله تعالى بين الكلمتين كثيرًا، كما في قوله تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ﴾، فكل منهما تقابل الأخرى كما أنها أيضًا ليست مقابلة للشيء الواقع كما يظن بعض الناس، حيث يكون عندهم الإيمان بالغيب إيمانًا بغير الواقع. فليس الغيب معدومًا، ولا هو الذي يحكم العقل باستحالته، أو يكون غير واقعي.

ومن هنا يتبين خطأ الذين يعتبرون الإيمان بالغيب إيمانًا بشيء غير معقول، أي مخالفًا للعقل، أو مخالفًا للواقع، أو إيمانًا بشيء معدوم؛ وذلك لأن الغيب ليس مقابلاً للموجود في لغة العرب، ولا مقابلاً للمعقول بمعنى ما يقبله العقل، ولا مقابلاً للشيء الواقعي، وإنما هو مقابل للشهادة، أي الشيء الحاضر المشهود(١).

---

(١) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين للشيخ مصطفى صبري (٢/٧٢)، ففيه تفصيل ومناقشات حول هذه الفكرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، ولم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه، لكن المسرفون فيه -أي في العقل- قضوا بوجوب أشياء وجوازها وامتناعها لحجج عقلية بزعمهم اعتقدوها حقًا وهي باطل، وعارضوا بها النبوات وما جاءت به، والمعرضون عنه صدقوا بأشياء باطلة، ودخلوا في أحوال وأعمال فاسدة، وخرجوا عن التمييز الذي فضل الله به بني آدم على غيرهم"(١).

وقال رحمه الله: "والمقصود أنه ليس كل شيء يمكن علمه بالقياس، ولا كل شيء يحتاج فيه إلى القياس، فلهذا قال الأئمة: ليس في المنصوصات النبوية قياس، ولا تعارض بالأمثال، ولا تدرك بالعقول. وأما كونها لا تعارض بالأمثال المضروبة فهذا يعني أن المنصوص لا يعارضه دليل عقلي صحيح، وأما أنها لا تدرك بالعقول فإن نفس الغريزة العقلية التي تكون للشخص قد تعجز عن إدراك كثير من الأمور لا سيما الغائبات، فمن رام بعقل نفسه أن يدرك كل شيء كان جاهلاً، لا سيما إذا طعن في الطرق السمعية النبوية الخبرية، وهذا هو الذي يسلكه من يسلكه من الفلاسفة ومن يشبههم من أهل الكلام"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته؛ بل أخبارهم قسمان: أحدهما ما تشهد به العقول والفطر. الثاني: ما لا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي أخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الآخر، وتفاصيل الثواب والعقاب، ولا يكون خبرهم محالاً في العقول أصلاً، وكل خبر يظن أن العقل يحيله فلا يخلو من أحد أمرين:

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣٩/٣).

(٢) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (٣٢٦/٧).

إما يكون الخبر كذبًا عليهم، أو يكون ذلك العقل فاسدًا، وهو شبهة خيالية يظن صاحبها أنها معقول صريح، قال تعالى:﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾[سبأ:٦]، وقال تعالى:﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ﴾ [الرعد:١٩]"(١).

وإذا كان الإيمان بالغيب من خصائص المؤمنين بصفة عامة، فإن أهل السنة تميزوا في هذا الباب بقبول كل ما ورد على لسان الرسل الكرام من أمور الغيب إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا، وتجنبًا للشبهات والشكوك الناشئة عن إقحام العقول في مجال غير مجالها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والإيمان بالغيب لا يتم إلا بالإيمان بجميع ما أنزله الله تبارك وتعالى"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "الثاني: قبول ما غاب للحق، وهو الإيمان بالغيب الذي أخبر به الحق سبحانه على لسان رسله، من أمور المعاد وتفصيله، والجنة والنار، وما قبل ذلك من الصراط والميزان والحساب، وما قبل ذلك من تشقق السماء وانفطارها، وانتثار الكواكب، ونسف الجبال، وطي العالم، وما قبل ذلك من أمور البرزخ ونعيمه وعذابه، فقبول هذا كله إيمانًا وتصديقًا وإيقانًا هو اليقين، بحيث لا يخالج القلب فيه شبهة ولا شك ولا تناس ولا غفلة عنه، فإنه إن لم يهلك يقينه أفسده وأضعفه"(٣).

وإذا كان موقف أهل السنة هو التسليم الكامل والإيمان التام بكل مسائل

---

(١) الروح لابن القيم ص٦٢.

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية ص١٣٧.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢/٤٠٢).

الغيب كما ورد بها النقل، وذلك من خصائص عقيدتهم؛ فإن أهل البدع لم يقفوا من هذه المسائل ولا من تلك الخصيصة موقف أهل السنة؛ بل عارضت طوائف منهم كثيرًا من أمور الغيب بعقولهم المريضة وآرائهم الفاسدة، فردوا بعضها وأولوا بعضها، وخلطت طوائف أخرى بين أمور الغيب والخرافات والأوهام التي لا يقبلها عقل صحيح ولا فطرة سليمة.

ومن أمثلة ما أنكره أصحاب العقول الفاسدة ما يلي:

١- عذاب القبر ونعيمه:

قال ابن القيم رحمه الله: "وأما أقوال أهل البدع والضلال فقال أبو الهذيل والمرِّيسي من خرج عن سمة الإيمان فإنه يعذب بين النفختين والمسألة في القبر إنما تقع في ذلك الوقت، وأثبت الجبائي وابنه البلخي عذاب القبر ولكنهم نفوه عن المؤمنين وأثبتوه لأصحاب التخليد من الكفار والفساق على أصولهم.

وقال كثير من المعتزلة: لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر، ونكير وإنما المنكر ما يبدو من تلجلجه إذا سئل، والنكير تقريع الملكين له.

وقال بعض المعتزلة: إن الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لا يشعرون، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها، قالوا: وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشي عليه، لو ضربوا لم يجدوا الآلام، فإذا عاد عليهم العقل أحسوا بألم الضرب. وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأسًا، مثل ضرار بن عمرو ويحيى ابن كامل وهو قول المريسي، فهذه أقوال أهل الخزي والضلال"[١].

---

(١) الروح لابن القيم ص٥٧، ٥٨.

٢- رؤية الله تعالى:

وكذا أنكروا رؤية الله تعالى في الآخرة، فذهبت المعتزلة والجهمية وغيرهم إلى وجوب نفي رؤية الله تعالى؛ بل كفروا من لم يعتقد ذلك.

قال القاضي عبد الجبار: "الرؤية بالأبصار على الله مستحيل" "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية"(١).

قال ابن النحاس رحمه الله: "وخالفوا في ذلك المعتزلة والجهمية، ومن تبعهم من الخوارج والإمامية وطوائف من المرجئة، وطوائف من الزيدية، الذين ذهبوا إلى القول بأن الله تعالى لا يرى بالأبصار لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يجوز عليه ذلك"(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "والجهمية والمعتزلة يقولون: من أثبت لله الصفات وقال إن الله يرى في الآخرة، والقرآن كلام الله ليس بمخلوق، فإنه مجسم مشبه والتجسيم باطل"(٣).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون، والفرعونية المعطلون، والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون"(٤).

٣- حوض النبي ﷺ:

وأنكر المعتزلة حوض النبي ﷺ.. الثابت بالقرآن والسنة.

قال الإمام السفاريني رحمه الله: "خالفت المعتزلة فلم تقر بإثبات الحوض

---

(١) المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار (١/٢٢٠).

(٢) رؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس ص٢٥.

(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية (٢/١٠٧).

(٤) حادي الأرواح لابن القيم ص١٩٦.

مع ثبوته بالسنة الصحيحة الصريحة؛ بل وبظاهر القرآن"[١].

٤- الشفاعة:

وأنكر المعتزلة والخوارج الشفاعة لأهل الكبائر.

قال القاضي البيضاوي: "تمسكت المعتزلة بهذه الآية[٢] على نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وأجيب بأنها مخصوصة بالكفار، ويؤيد هذا أن سياق الخطاب معهم، والآية نزلت ردًا لما كانت اليهود تزعم أن آباءهم تشفع لهم"[٣].

ومن أمثلة ما أثبته أصحاب العقول التائهة ما يلي:

أدخل الصوفية في أمور الغيب الخرافات والأوهام مما لم يأت في كتاب الله ولاسنة رسوله ﷺ، ونذكر بعض أقوالهم في الإلهام والإسراءات والمعاريج الصوفية، وهي من مصادر التلقي عندهم، وهذه الأقوال غيض من فيض، ونقطة في بحر الخرافات والأوهام الذي غرقوا فيه، وجعلوا يغرفون منه معتقداتهم وتصوراتهم وآراءهم.

قال ابن عربي: "... فإن المَلَك قد يترل على الولي التابع بالاتباع، وبإفهام ما جاء به النبي مما لم يتحقق هذا الولي بالعلم به، وإن كان متأخرًا عنه بالزمان، أعني متأخرًا عن زمان وجوده، فقد يترل عليه بتعريف صحة ما جاء به النبي وسقمه، مما قد وُضع عليه، أو توهم أنه صحيح عنه، أو ترك لضعف الراوي وهو صحيح في نفس الأمر، وقد يترل عليه الملك بالبُشرى من الله بأنه من أهل السعادة والفوز، وبالأمان..."[٤].

---

(١) لوائح الأنوار السنية للسفاريني (٢/١٧٣).

(٢) وهي قوله تعالى: **{واتقوا يومًا لا تجزي نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها شفاعة}** [البقرة:٤٨].

(٣) تفسير البيضاوي (١/٦٠).

(٤) الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي (٣/٣١٦).

ويقول إبراهيم الدسوقي: "عليكم بتصديق القوم في كل ما يدَّعون، فقد أفلح المصدِّقون، وخاب المستهزئون، فإن الله تعالى يقذف في سر خواص عباده ما لا يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل... فما للعاقل إلا التسليم، وإلا فاتوه وفاهم، وحرم فوائدهم، وخسر الدَّارين"(١).

وقال الشعراني: "قد صرَّح المحققون بأن للأولياء الإسراء الروحاني إلى السماء، بمثابة المنام يراه الإنسان، ولكل منهم مقام معلوم لا يتعداه، وذلك حين يكشف له حجاب المعرفة، فكل مكان كشف له فيه الحجاب حصل المقصود به، فمنهم من يحصل له ذلك بين السماء والأرض، ومنهم من يحصل له ذلك في سماء الدنيا، ومنهم من ترقى روحه إلى سدرة المنتهى، إلى الكرسي، إلى العرش"(٢).

وقال أبو يزيد البسطامي: "عرج بروحي، فخرقت الملكوت، فما مررت بروح نبي إلا سلمت عليه، وأقرأها السلام، غير روح محمد ﷺ، فإنه كان حول روحه ألف حجاب من نور..."(٣).

وقال إبراهيم الدسوقي: "أنا في السماء شاهدت ربي، وعلى الكرسي كلمته..."(٤).

ولا حول ولا قوة إلا بالله....

---

(١) المصدر السابق (٣/٣١٦).

(٢) كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان للشعراني ص٥٢.

(٣) النور من كلمات أبي طيفور للسهلجي ص١١١-١١٢.

(٤) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص٢٠٧.

المبحث الثالث
الوسطية

"الوسَط اسم لما بين طرفي الشيء وهو منه، وأوسط الشيء أفضله وخياره كوسط المرعى خير من طرفيه، وكوسط الدابة للركوب خير من طرفيها لتمكن الراكب؛ ومنه الحديث: "**خيار الأمور أوساطها**"(١)؛ ومنه قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٍ﴾ [الحج:١١]، أي على شك، فهو على طرف من دينه غير متوسط فيه ولا متمكن، فلما كان وسط الشيء أفضله وأعدله جاز أن يقع صفة، وذلك في مثل قوله تعالى وتقدس: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة:١٤٣]، أي عدلاً فهذا تفسير الوسط وحقيقة معناه"(٢).

وعليه فإن الوسطية تعني التوازن بين الأمور المتقابلة، والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية. والوسطية من أظهر خصائص العقيدة الإسلامية، "والصور التي تأتي شاهدًا على ذلك تعزُّ على الحصر، فإن كل ما في العقيدة الإسلامية ناطق بهذا التوازن الدقيق،... ومن ذلك:

التوازن بين ما يتلقاه الإنسان عن طريق الوحي وبين ما يتلقاه عن طريق وسائل الإدراك البشري، والتوازن بين طلاقة المشيئة وثبات السنن الكونية،

---

(١) جاء في كشف الخفاء للعجلوني (١/٤٦٩، ٤٧٠): "خير الأمور أوسطها وفي لفظ: أوساطها. قال ابن الغرس: ضعيف انتهى. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٢٥٢)، والسلسلة الضعيفة (٥/٣٤٩)، وقال في المقاصد: وللعسكري عن الأوزاعي أنه قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين لا يبالي أيهما أصاب؛ الغلو أو التقصير، ولأبي يعلى بسند جيد عن وهب ابن منبه قال: إن لكل شيء طرفين ووسطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، وإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوساط من الأشياء.

(٢) لسان العرب لابن منظور (١٥/٢٩٥، ٢٩٦).

الكونية، والتوازن بين المشيئة الإلهية الطليقة، ومجال المشيئة الإنسانية المحدودة، والتوازن في مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.. وبين الإيمان بالقدر والأخذ بالأسباب.. وبين العمل للدنيا والعمل للآخرة، وبين القيم المادية والقيم المعنوية"[(١)].

وسطية الأمة المحمدية بين الأمم:

وقد وصف الله هذه الأمة بأنها الأمة الوسط فقال سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، أي عدولاً خيارًا، ومن لازم وسطيتهم عدالتهم؛ ولذا صح أن يكونوا شهداء على الناس يوم القيامة؛ لأن الشاهد لابد أن يكون عدلاً حتى تقبل شهادته، ووسطية هذه الأمة هي كونها على الحق بين باطل من غلا وباطل من جفا، إذ الحق وسط بين باطلين؛ باطل الغلو وباطل الجفاء[(٢)].

قال شيخ الإسلام: "إن الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة... فالمسلمون في صفات الله تعالى وسط بين اليهود الذين شبهوا الخالق بالمخلوق، فوصفوا الخالق بالصفات التي تختص بالمخلوق وهي صفات النقص فقالوا: إن الله فقير، وإن الله بخيل، وإن الله تعب لما خلق العالم فاستراح، وبين النصارى الذين شبهوا المخلوق بالخالق، فوصفوه بالصفات المختصة بالخالق فقالوا هو الله، والمسلمون وصفوا الخالق بصفات الكمال ونزهوه عن صفات النقص، ونزهوه أن يكون شيء كفوًا له في شيء من صفات الكمال، فهو منزه عن صفات النقص مطلقًا، ومنزه في صفات الكمال أن يماثله فيها شيء من المخلوقات.

---

(١) مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية للبريكان ص٣٩٢،٣٩٣.

(٢) انظر: الرسالة الصفدية لابن تيمية (٣١٠/٢)، والجواب الصحيح له (٧/١).

وكذلك هم في الأنبياء وسط، فإن اليهود كما قال -تعالى- فيهم: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]. وكذلك كانوا يقتلون الأنبياء، ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس، والنصارى غلوا فأشركوا بهم ومن هو دونهم قال الله فيهم: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، والمسلمون آمنوا بهم كلهم و لم يفرقوا بين أحد منهم، فإن الإيمان بجميع النبيين فرض واجب، ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بهم كلهم، ومن سب نبيًا من الأنبياء فهو كافر يجب قتله باتفاق العلماء، وفي استتابته نزاع، قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة:١٣٦]، وقال تعالى: ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾[البقرة:١٧٧].

وكذلك المسلمون وسط في النَّسخ، فإن اليهود قالوا: ليس لرب العالمين أن يأمر ثانيًا بخلاف ما أمر به أولاً، والنصارى جوزوا لرؤوسهم أن يغيروا شريعة المسيح فيحللوا ما شاءوا ويحرموا ما شاءوا، والمسلمون قالوا رب العالمين يأمر بما يشاء له الخلق والأمر، وليس لأحد من الخلق أن يغير دينه ولا يبدل شرعه، ولكن هو يحدث من أمره ما يشاء فينسخ ما يشاء، ويثبت ما يشاء.

وكذلك في الشرائع كالحلال والحرام، فإن اليهود حرمت عليهم طيبات

أحلت لهم عقوبة لهم، وعليهم تشديد في النجاسات يجتنبون أشياء كثيرة طاهرة مع اجتناب النجاسة، والنصارى لا يحرمون ما حرمه الله ورسوله؛ بل يستحلون الخبائث ويباشرون النجاسات، وكلما كان الراهب أكثر ملابسة للنجاسات والخبائث كان أفضل عندهم، والمسلمون أباح الله لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث، وهم وسط في سائر الأمور"(١).

مظاهر وسطية أهل السنة:

أولى هذه الأمة بالاتصاف بالوسطية من كان مثلها في كمال عقيدتها وصفائها ونقائها وهم أهل السنة والجماعة، فهم أهل التوسط والاعتدال بين الإفراط والتفريط، وبين الغلو والجفاء، وهم وسط في فرق الأمة، كما أن الأمة وسط في الملل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الإسلام وسط في الملل بين الأطراف المتجاذبة، والسنة في الإسلام كالإسلام في الملل"(٢).

وقال رحمه الله: "هم - أي أهل السنة والجماعة - الوسط في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم"(٣).

وباستقراء مواقف الفرق من أبواب العقيدة المختلفة تظهر الطرفية الشديدة لدى أهل الأهواء والبدع، ولا تجد فرقة من الفرق إلا وقد خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل العظيم، فإما أن تغلو في جانب، أو تُفَرِّط في جانب،

(١) الرسالة الصفدية لابن تيمية (٢/٣١٠-٣١٣).

(٢) المصدر السابق (٢/٣١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٤١)، وانظر أيضًا نفس المصدر (٣/٣٧٣-٣٧٥).

وهذا الخلل في التوازن مطَّرد عند جميع أهل البدع في أبواب الاعتقاد، قلَّ ذلك أو كثر.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وقد تقدم أن دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، والله تعالى ما أمر عباده بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين لا يبالي بأيهما ظفر: إما إفراط فيه، وإما تفريط فيه. وإذا كان الإسلام - الذي هو دين الله - لا يقبل من أحد سواه، قد اعترض الشيطان كثيرًا ممن ينتسب إليه؛ حتى أخرجه عن كثير من شرائعه؛ بل أخرج طوائف من أعبد هذه الأمة وأورعها عنه، حتى مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية"(١).

وقد تعددت مظاهر وسطية أهل السنة والجماعة الدالة على كثرة فضائلهم وعلو شأنهم في الدين، ومن أهم هذه المظاهر:

أولاً: وسطيتهم في أسماء الله وصفاته:

فهم وسط في باب الأسماء والصفات بين الجاحد والمعطل المنكر للأسماء والصفات، والمثبت لها على نحو ما عليه صفات المخلوقين وأسمائهم، حيث أثبتوا لله ما أثبته لنفسه من أسمائه وصفاته وأثبته له رسوله ﷺ، ونفوا عنه ما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ﷺ من النقص والعيب المنافي لكماله المقدس.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فهم وسط في باب صفات الله ﷻ بين أهل الجحد والتعطيل وبين أهل التشبيه والتمثيل، يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفته به رسله، من غير تعطيل ولا تمثيل، إثباتًا لصفات الكمال، وتتريهًا له عن أن يكون له فيها أندادًا وأمثالاً، إثباتًا بلا تمثيل، وتتريهًا بلا تعطيل، كما

---

(١) المصدر السابق (٣/٣٨١).

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، وهو رد على الممثلة: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] رد على المعطلة"(١).

ثانيًا: وسطيتهم في أفعال الله ﷻ:

فهم وسط بين القدرية الذين نفوا القدر وقالوا الأمر أُنف، وأنكروا علم الله ومشيئته وخلقه لأفعال العباد، وبين الجبرية الذين أنكروا أن يكون للعبد فعل وإرادة، وقالوا الإرادة إرادة الله والفعل فعله، فأثبت أهل السنة والجماعة إرادة الله التي هي صفته وإرادة العبد التي هي صفته، وليست إرادة الرب عين إرادة العبد، وأثبتوا فعل الرب الذي هو خلق العبد وأثبتوا للعبد فعله الذي هو متعلق الثواب والعقاب، وليس فعل الرب هو عين فعل العبد.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وهم وسط في باب أفعال الله بين المعتزلة المكذبين بالقدرة، والجبرية النافين لحكمة الله ورحمته وعدله، والمعارضين بالقدر أمر الله ونهيه وثوابه وعقابه"(٢)

ثالثًا: وسطيتهم في الوعد والوعيد:

فهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج الذين خلدوا مرتكبي الكبائر في النار، والمرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة، فقال أهل السنة إنهم في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء غفر لهم وأدخلهم الجنة، وإن شاء عذبهم في النار بقدر معاصيهم ثم أدخلهم الجنة فضلاً منه تعالى ورحمة.

---

(١) انظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (٧/١)، والرسالة الصفدية له (٣١٣/٢).

(٢) الجواب الصحيح لابن تيمية (٧/١)، والرسالة الصفدية له (٣١٣/٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار.. [١]، وبين المرجئة الذين لا يجزمون بتعذيب أحد من فساق الأمة، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية"[٢].

رابعًا: وسطيتهم في أسماء الدين والإسلام والإيمان:

أسماء الدين هي الحدود الشرعية التي علق الشارع عليها أحكامه في الدنيا والآخرة، وهم وسط في هذا الباب بين الوعيدية من المعتزلة والخوارج حيث أخرجوا مرتكبي الكبيرة عن مسمى الإيمان، وقالوا إن فساق الأمة المحمدية ليسوا مؤمنين على خلاف بينهم. وبين المرجئة الذين جعلوا مرتكب الكبيرة مؤمنًا كامل الإيمان، إيمانه كإيمان أبي بكر وعمر؛ بل كإيمان الملائكة والأنبياء، فلا تضر معصية مع الإيمان، كما لا تنفع طاعة مع الكفر وتوسط أهل السنة والجماعة فقالوا مرتكب الكبيرة فاسق بكبيرته مؤمن بإيمانه لكنه ناقص الإيمان، وأطلقوا لفظ الإيمان حيث ورد به النص، وأطلقوا ضده حيث ورد.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهم في باب الأسماء والأحكام والوعد والوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلدين في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ، وبين المرجئة الذين يقولون إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء، والأعمال الصالحة ليست من الدين والإيمان، ويكذبون بالوعيد والعقاب بالكلية"[٣].

---

(١) مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٢٧٨)، وانظر: الجواب الصحيح لابن تيمية (١/٨).

(٢) الرسالة الصفدية لابن تيمية (٢/٢١٣)، والجواب الصحيح له (١/٨).

(٣) مجموعة الرسائل الكبرى (١/٢٧٨).

خامسًا: وسطيتهم في أصحاب رسول الله ﷺ:

فهم وسط بين من غلا في بعضهم حتى جعله إلهًا أو معصومًا أو نبيًا، وأضافوا إليه من الصفات ما لا يليق نظيره إلا بالله أو نبي من أنبيائه، ومن جفا فيهم فكفرهم واستحل سبهم ولعنهم ودماءهم، وأما أهل السنة فدانوا الله بحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ، واعتذروا عما جرى بينهم من الخلاف بأنه حصل عن اجتهاد منهم في طلب الحق، فمن أصاب منهم فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد وخطؤه معفو عنه، وسكتوا عما جرى بينهم، وأحسنوا الظن بهم، ولم يجعلوا ولاية بعضهم مناقضة لولاية الآخر؛ بل تولوا جميعهم، ودانوا الله بالترضي عنهم.

قال شيخ الإسلام: "وهم أيضًا في أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم وسط بين الغالية الذين يغالون في علي ﷺ فيفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما، وأن الصحابة فسقوا وكفروا، والأمة بعدهم كذلك، وربما جعلوه نبيًا أو إلهًا، وبين الجافية الذين يعتقدون كفره وكفر عثمان رضي الله عنهما، ويستحلون دماءهما ودماء من تولاهما، ويستحبون سب علي وعثمان ونحوهما، وقدحوا في خلافة علي ﷺ وإمامته"(١).

سادسًا: وسطيتهم في المنقول والمعقول:

فهو وسط بين المعتزلة ومن تبعهم من المتكلمين الذين غلوا في المعقول حيث قدموه على المنقول، وبين الأشعرية الذين جفوا عن المعقول فنفوا العلل والحكم التي جعلها الله مناطًا لأحكامه وشرائع دينه، وقالوا إنما يأمر وينهى

---

(١) المصدر السابق (١/٢٧٨، ٢٧٩).

بمحض الإرادة فقط لا لعلة ولا لحكمة، وتوسط أهل السنة والجماعة فلم يقبلوا من المنقول إلا ما صح سنده وصحت دلالته، ولا من المعقول إلا ما كان صحيح البناء ولم يعارض كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأئمة وأئمتها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وهذا الموضع غلط فيه طائفتان من الناس: غالية غلت في المعقولات حتى جعلت ما ليس معقولاً من المعقول وقدمته على الحس ونصوص الرسول ﷺ، وطائفة جفت عنه فردت المعقولات الصريحة وقدمت عليها ما ظنته من السمعيات والحسيات، وهكذا الناس في السمعيات نوعان، وكذلك هم في الحسيات الباطنة والظاهرة نوعان. فيجب أن يعلم أن الحق لا ينقض بعضه بعضًا بل يصدق بعضه بعضًا، وإن ما علم بمعقول صريح لا يخالفه قط خبر صحيح ولا حس صحيح، وكذلك ما علم بالسمع الصحيح لا يعارضه عقل وحس، وكذلك ما علم بالحس الصحيح لا يناقضه خبر ولا معقول"(١).

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٣/١٣٣).

ويقول: "**استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم، ليليني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**"(١).

قال النووي رحمه الله: "ولا يختص هذا التقديم بالصلاة؛ بل السنة أن يقدم أهل الفضل في كل مجمع إلى الإمام وكبير المجلس، كمجالس العلم والقضاء، والذكر، والمشاورة، ومواقف القتال، وإمامة الصلاة، والتدريس، والإفتاء، وإسماع الحديث، ونحوها.. ويكون الناس فيها على مراتبهم في العلم، والعقل، والشرف، والسن، والكفاءة في ذلك الباب، والأحاديث الصحيحة متعاضدة على ذلك"(٢).

كما يخصهم بالانتفاع عند النظر في ملكوت الله والتدبر في آياته فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران:١٩٠]، ويقول: ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩].

- وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة**"(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "قال النووي: يستفاد منه أن التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السن، وكثرة التجارب، وقوة العقل"(٤).

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥٥/٤).

(٣) رواه البخاري (٣٦١١، ٥٠٥٧، ٦٩٣٠)، ومسلم (١٠٦٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (٢٨٧/١٢).

- وقال عمر رضي الله عنه: "حسب الرجل دينه، ومروءته خلقه، وأصله عقله"(١).

كما أمر سبحانه وتعالى بالنظر في كتابه والتدبُّر في آياته واستخراج الأحكام منها؛ فقال: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [ص:٢٩]، وقال: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣].

وذمَّ سبحانه وتعالى إغلاق العقل وحجبه عن التدبُّر؛ فقال: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴾ [محمد:٢٤]، وقال: ﴿ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ [المؤمنون:٦٨].

وعني الخطاب القرآني والنبوي بسوق الأدلة العقلية النقلية على المسائل العقدية، قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة:١١١]، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴾ [الطور:٣٥]، وقوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

ثانيًا: ذم التقليد الأعمى الذي هو حجاب العقل وغطاء الفهم.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ﴾ [البقرة:١٧٠].

قال القرطبي رحمه الله في معرض تفسيره لهذه الآية الكريمة: "قال ابن عطية: أجمعت الأمة على إبطال التقليد في العقائد، وذكر فيه غيره خلافًا كالقاضي أبي بكر بن العربي، وأبي عمرو عثمان بن عيسى بن درباس الشافعي.

قال ابن درباس في كتاب الانتصار له: وقال بعض الناس يجوز التقليد في أمر التوحيد وهو خطأ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ ﴾ [الزخرف:٢٣]، فذمهم بتقليدهم آبائهم وتركهم اتباع الرسل، كصنيع أهل الأهواء

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢٥٩٤٣).

ثالثًا: توجيه العقل إلى مجالاته النافعة، وكفه عن الخوض فيما لا يطيقه.

والمنهج الذي سار عليه القرآن ـــ وهو المنهج الأقوم ـــ أن يجيب الناس عما هم في حاجة إليه، وما يستطيع إدراكهم البشري بلوغه ومعرفته، فلا يبدد الطاقة العقلية التي وهبها الله لهم فيما لا ينتج ولا يثمر، وليس في هذا حجر على العقل أن يعمل، ولكن فيه توجيهٌ لهذا العقل أن يعمل في حدوده، وفي مجاله الذي يدركه، فلا جدوى من الخبط في التيه، ومن إنفاق الطاقة فيما لا يملك العقل إدراكه؛ لأنه لا يملك وسائل إدراكه.

فمن توجيهات القرآن الكريم للعقل: الأمر بالنظر والتدبُّر في آياته سبحانه، قال ﷻ: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا ﴾ [ق:٦]، وقال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١].

ومن ثَمَّ نصب الله ﷻ العلامات والبراهين لهداية العقل على ما ينفع، كما قال تعالى: ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦].

قال الإمام الشافعي رحمه الله: "فخلق لهم العلامات، ونصب لهم المسجد الحرام، وأمرهم أن يتوجهوا إليه، وإنما توجههم إليه بالعلامات التي خلق لهم، والعقول التي ركَّبها فيهم، التي استدلوا بها على معرفة العلامات، وكلٌّ هذا بيانٌ ونعمةٌ منه جلَّ ثناؤه"(١).

وأمر الله ﷻ أهل العلم برد النظير إلى نظيره، والاجتهاد في استنباط الأحكام من القواعد العامة للشريعة، وترك الباب مفتوحًا أمام العقل لاستنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، ولو شاء لأنزل حكم كلِّ شيء على الخصوص والأعيان، لكنه أنزل قواعد عامة تشتمل على أحكام طائفة من الأفراد؛ فكان هذا توجيهًا منه ﷻ إلى الاستفادة بالعقل فيما يُثْمر ويُنتج.

---

(١) الرسالة للشافعي ص٣٨.

وسارت السنة في ركاب الكتاب في هذا المجال، فوردت النصوص النبوية تحث العقل على العمل، وتحجبه عن الركود والكسل، وتُعلي من شأن الاجتهاد والنظر في النصوص الشرعية لاستخراج الأحكام، وبيان فقه النوازل المستجدَّة في حياة الناس، وجعلت خير الناس من تعلَّمَ العلم وعَلَّمَه، فقد ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال ﷺ: **"فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم"**، ثم قال رسول الله ﷺ: **"إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير"**[(١)]. وفي هذا توجيه العقل إلى مجاله النافع المثمر؛ بل جعلت السنة للمجتهد المخطئ أجرًا على اجتهاده، وللمصيب أجرين على الاجتهاد والإصابة، قال ﷺ: **"إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"**[(٢)].

وحظر الشرع على العقل الخوض فيما يضره الخوض فيه، ليوفر طاقته فيما يطيق ويحسن.

وخوض العقل في أمور الإلهيات باستقلال عن الوحي مظنة الهلاك وسبيل الضلال.

فثبت النهي في الكتاب والسنة عن الخوض في حقيقة الذات، وكنه الصفات، والقدر، وورد ذلك عن الصحابة والتابعين، وأئمة أهل السنة.

فمن ذلك ما ورد عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: **"تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله"**[(٣)].

---

(١) رواه الدارمي (٢٨٩)، والترمذي (٢٦٨٥) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب صحيح.

(٢) رواه البخاري (٧٣٥٢)، ومسلم (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٣) العظمة لابن حيان الأصبهاني (١/٢١٠). وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٧٥).

قال المناوي في فيض القدير: "(تفكروا في آلاء الله) أي أنعمه التي أنعم بها عليكم. قال القاضي: والتفكر فيها أفضل العبادات. (ولا تفكروا في الله) فإن العقول تحير فيه... والنظر إلى ذات الله يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالصواب أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذاته وصفاته؛ لأن أكثر العقول لا يحتمله"(١).

ولعل من أشهر ما ورد في ذلك، ما أثر عن الإمام مالك رحمه الله حين جاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله، (الرحمن على العرش استوى)، كيف استوى؟ قال: فما رأيت مالكًا وجد من شيء كموجدته من مقالته، وعلاه الرحضاء- يعني العرق- قال: وأطرق القوم وجعلوا ينتظرون ما يأتي منه فيه قال: فسري عن مالك فقال: "الكيف غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، فإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمر به فأخرج"(٢).

قال ابن حجر رحمه الله: "قال القرطبي: الشخص الذي يبغضه الله هو الذي يقصد بخصومته مدافعة الحق ورده بالأوجه الفاسدة والشبه الموهمة، وأشد ذلك الخصومة في أصول الدين، كما يقع لأكثر المتكلمين المعرضين عن الطرق التي أرشد إليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسلف أمته إلى طرق مبتدعة، واصطلاحات مخترعة، وقوانين جدلية، وأمور صناعية، مدار أكثرها على آراء سوفسطائية، أو مناقضات لفظية، ينشأ بسببها على الآخذ فيها شبه ربما يعجز عنها، وشكوك يذهب الإيمان معها، وأحسنهم انفصالاً عنها أجدلهم لا أعلمهم، فكم من عالم بفساد

---

(١) فيض القدير للمناوي (٣/٢٦٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٦٦٤)، وذكرها البيهقي في كتاب الأسماء والصفات بسندين آخرين إلى مالك: عن عبد الله بن وهب وعن يحيى بن يحيى (٤٠٨)، وقد جود ابن حجر طريق ابن وهب فقال: "وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب.. فذكره" الفتح (١٣/٤٠٦، ٤٠٧)، وذكره البغوي بدون سند في شرح السنة (١/١٧١).

الشبهة لا يقوى على حلها، وكم من منفصل عنها لا يدرك حقيقة علمها. ثم إن هؤلاء قد ارتكبوا أنواعًا من المحال لا يرتضيها البله ولا الأطفال، لما بحثوا عن تحيز الجواهر والألوان والأحوال، فأخذوا فيما أمسك عنه السلف الصالح من كيفيات تعلقات صفات الله تعالى وتعديدها. واتحادها في نفسها، وهل هي الذات أو غيرها، وفي الكلام هل هو متحد أو منقسم، وعلى الثاني هل ينقسم بالنوع أو الوصف، وكيف تعلق في الأزل بالمأمور مع كونه حادثًا، ثم إذا إنعدم المأمور هل يبقى التعلق، وهل الأمر لزيد بالصلاة مثلاً هو نفس الأمر لعمرو بالزكاة؟ ذلك مما ابتدعوه مما لم يأمر به الشارع وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم؛ بل نهوا عن الخوض فيها لعلمهم بأنه بحث عن كيفية ما لا تعلم كيفيته بالعقل؛ لكون العقول لها حد تقف عنده **ولا فرق بين البحث عن كيفية الذات وكيفية الصفات**، ومن توقف في هذا فليعلم أنه إذا كان حجب عن كيفية نفسه مع وجودها، وعن كيفية إدراك ما يدرك به، فهو عن إدراك غيره أعجز"[١].

ولذا رجع كثير من أئمة أهل البدع -كما ذكر ابن حجر رحمه الله - عن عقيدهم الباطلة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في آخر حياهم، حيث وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، وأجابت لهم على ما يدور في أذهانهم من سؤالات، وما يختلج في صدورهم من حيرة واضطرابات. "كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري (ت٣٢٤هـ) حيث رجع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في "الإبانة عن أصول الديانة" بعد الاعتزال ثم التلفيق، والباقلاني (ت٤٠٣هـ) في "التمهيد"، ومثله أبو محمد الجويني (ت٤٣٨هـ) والد إمام الحرمين في "رسالة في إثبات الاستواء والفوقية"، ومثله إمام الحرمين (ت٤٧٨هـ) في "الرسالة

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٤٩، ٣٥٠).

النظامية"، والشهرستاني (ت٥٤٨هـ) في "نهاية الإقدام"، وفخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) في "أقسام اللذات"، وغيرهم كثيرون"(١).

أما فيما يتعلق بالقدر فمما ورد في ذلك:

- عن أبي هريرة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضب حتى احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان فقال: **"أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"**(٢).

- وعن أبي بكر عبد الرحمن رفع الحديث إلى علي ﷺ أنه سأله فقال: "يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: طريق مظلم فلا تسلكه. فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: بحر عظيم فلا تلجه. فقال: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: سر الله فلا تكلفه"(٣).

- وقال وهب بن منبه: "نظرت في القدر فتحيرت، ثم نظرت فيه فتحيرت، ووجدت أعلم الناس بالقدر أكفهم عنه، وأجهل الناس بالقدر أنطقهم فيه"(٤).

- وعن زياد بن عمر القرشي عن أبيه قال: كنت جالسًا عند ابن عمر، فسئل عن القدر، فقال: "شيء أراد الله أن لا يطلعكم عليه، فلا تريدوا من الله

---

(١) المنهج السلفي د. مفرح بن سليمان ص٤٣٩.

وراجع مصادره: مجموع الفتاوى (٤/٧٢ ـ ٧٣)، ودرء التعارض لابن تيمية (١/١٥٧ ـ ١٧٠)، وشرح الطحاوية لابن أبي العز ص١٥٦ ـ ١٥٩، ومقدمة شعيب الأرناؤوط على كتاب أقاويل الثقات لمرعي بن يوسف الكرمي ص١٣ـ ٢٢.

(٢) رواه الترمذي (٢١٣٣) عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الآجري في الشريعة ص٢٠٢، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٤/٦٢٩).

(٤) شرح الفقه الأكبر لملا علي القاري ص٦٩.

ما أبى عليكم"[١].

ومما ورد النهي عن الخوض في أمره الروح والغيب الذي لا يدركه العقل، ولا يصل إلى حقيقته، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

رابعًا: أهل السنة والجماعة وسط بين: المهملين للعقل، والمقدسين له.

فكثير من جهلة المتصوفة ألغوا عقولهم، وساروا وراء أذواقهم وأوهامهم، وزعموا أنه لا تحصل الأحوال الكاملة إلا مع غياب العقل بالجنون والسكر والوله! وكثير من المتكلمة عظموا عقولهم وآراءهم، وزعموا أن الأنبياء لم يعرفوا الحق الذي عرفوه، وعقيدة أهل السنة أن: "الأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة"[٢].

ومن أبرز الفرق البدعية التي غلت في العقل ورفعته فوق قدره المعتزلة، القائلين بالتحسين والتقبيح العقلي.

فالعقل عندهم يعلم العلم الكامل بحسن الفعل أو قبحه، ومن ثَمَّ فهو الحاكم عليه بالحسن والقبح، والفعل حسن أو قبيح في نفسه: إما لذاته، وإما لصفة حقيقية توجب ذلك، وإما لوجوه واعتبارات هو عليها ـ على خلاف بينهم في ذلك.

قال الغزالي: "ذهبت المعتزلة إلى أن الأفعال تنقسم إلى حسنة وقبيحة، فمنها ما يدرك بضرورة العقل كحسن إنقاذ الغرقى والهلكى، وشكر النعم، ومعرفة حسن الصدق، وكقبح الكفران، وإيلام البريء، والكذب الذي لا غرض فيه، ومنها ما يدرك بنظر العقل كحسن الصدق الذي فيه ضرر، وقبح

---

(١) رواه الآجري في الشريعة ص٢٣٥، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣١٣/١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٩/٣).

الكذب الذي فيه نفع، ومنها ما يدرك بالسمع كحسن الصلاة والحج وسائر العبادات، وزعموا أنها متميزة بصفة ذاتها عن غيرها بما فيها من اللطف المانع من الفحشاء الداعي إلى الطاعة، لكن العقل لا يستقل بدركه"(١).

فجميع الأفعال عند المعتزلة - ما عدا العبادات المحضة- إما إنه قد ثبت قبحها والعقاب عليها عقلاً، أو ثبت حسنها والثواب عليها عقلاً.

وقالوا - بناء على ذلك-: إن الإنسان مكلّف قبل ورود الشرع، حيث قالوا: إنه يجب عليه أن يعرف الله تعالى بالدليل من غير خاطر، وأن يعلم أيضًا حُسن الحسن وقُبح القبيح، ويجب عليه الإقدام على الحسن، والإعراض عن القبيح كل ذلك يجب قبل ورود الشرع به، فإن قَصَّر في ذلك استوجب العقوبة أبدًا(٢).

وكان من آثار غلوّهم -أيضًا- في الاعتماد على العقل أنهم أخذوا يؤولون صفات الله ﷻ بما يوافق عقولهم القاصرة؛ حتى نفوا جميع الصفات.

ومن آثار ذلك أيضًا طعنهم في كبار الصحابة، حتى زعم واصل بن عطاء: أن إحدى الطائفتين من أصحاب الجمل وأصحاب صفّين فاسقة(٣).

وبناء على ما أصّلوه من أصول ومعتقدات فاسدة مبناها على عقول قاصرة وأهواء فاسدة، أخذوا يردّون الأحاديث التي جرت غير موافقة لأغراضهم ومذاهبهم، ويدّعون أنها مخالفة للمعقول، وقد أدّى هذا المنهج العقلاني المنحرف إلى جملة من البدع والمعتقدات الفاسدة: كإنكار عذاب القبر، والصراط، والميزان، ورؤية الله ﷻ في الآخرة... وغير ذلك من البدع التي لا تدخل تحت حصر.

---

(١) المستصفى للغزالي (١/٤٥).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/٤٦،٤٧).

(٣) المصدر السابق (١/٤٣).

وخالفت الأشاعرة أهل السنة في مسألة التحسين والتقبيح العقلي، وكانوا فيه على طرف النقيض من المعتزلة حيث قالوا: إن العقل لا يدل على حسن شيء، ولا على قبحه قبل ورود الشرع، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع، وموجب السمع، ولو عكس الشرع فحَسَّنَ ما قبّحه، وقَبَّحَ ما حسّنه لم يكن ذلك ممتنعًا.

واتفقوا مع أهل السنة في أنه لا يجب على الله شيء من جهة العقل، ولا يجب على العباد شيء قبل ورود الشرع[1].

وعليه فمن انضبط بمنهج أهل السنة في دراسة العقيدة وعلم التوحيد، اهتدى عقله، واستنار رأيه، وسلم ذهنه من الانحراف، وأنجى نفسه من محارات الفلسفة، وخيالات المتصوفة، وجهالات المتكلمة، وشطحات الفرق جميعًا، ووقف على الحجج البينة، والأدلة القاطعة، والبراهين الظاهرة، في مسائل العقيدة، وكثر صوابه، وقل خطؤه، واجتمعت عنده محاسن الفرق خالصة من كل كدر، وأمن من شرور البدع.

خامسًا: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول:

وأخيرًا فإن أئمة أهل السنة والجماعة يرفعون شعار "العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح"، وبلغ من اهتمامهم ببيان هذه القضية وتجليتها، أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله صنف كتابًا مستقلاً في بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول، وهو كتابه الجليل، الفريد في بابه: "درء تعارض العقل والنقل"، وبيّن فيه رحمه الله بطلان دعوى التعارض بين العقل والنقل بيانًا شافيًا كافيًا، وردّ مذهب القائلين بذلك ونقضه من وجوه كثيرة، كما أوضح ضعف

---

(١) انظر: المحصول للرازي (١/١٥٩-١٩٢).

استدلالاتهم ومخالفتها للعقل والنقل معًا.

وإن وقع تعارض ظاهر فإما الخلل في موازين العقل أو لضعف في دليل الشرع، فإن لم يظهر خلل في ميزان العقل أو ضعف في دليل الشرع، فإن الشرع مقدم على العقل لعصمة الشرع دون العقل.

وقد سبق قول شيخ الإسلام رحمه الله: "وليس في الكتاب والسنة وإجماع الأمة شيء يخالف العقل الصريح؛ لأن ما خالف العقل الصريح باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلاً، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة"(١).

وأما أهل الأهواء فيدعون إمكانية حدوث التعارض بين العقل الصريح والنقل الصحيح، ويضيفون إلى هذا الأصل الباطل أصلاً آخر أشد بطلانًا، وهو: وجوب تقديم العقل على النقل عند حدوث هذا التعارض المزعوم.

يقول الرازي في كتابه: "تأسيس التقديس": "الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية، فكيف يكون الحال فيها؟

اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

- إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال.

- وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

- وإما أن يصدّق الظواهر النقلية، ويكذّب الظواهر العقلية، وذلك باطل لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٤٩٠).

الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على يد محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل متهمًا غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معًا وأنه باطل.

- ولما بطلت الأقسام الأربعة(١) لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة(٢) بأن هذه الدلائل النقلية: إما أن يقال: إنها غير صحيحة(٣)، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

ثم إن جوّزنا التأويل: اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم نجوِّز التأويل فوَّضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات"(٤).

وقد اشتهر هذا القانون عند الأشاعرة، وأصبح عندهم من القضايا المسلمة، وأدّى إلى كثير من البدع والانحرافات، مثل: نفي العلو عن الله تعالى، ونفي الصفات الفعلية المتعلقة بمشيئة الله ﷻ: كالاستواء، والنـــزول، والمجيء،

---

(١) هكذا في المطبوعة، ولعل الصواب: الأقسام الثلاثة.

(٢) لا يوجد ضابط ظاهر - عند الأشاعرة- لقطعية الدلائل العقلية، فبعضهم يتوهم ما ليس بقطعي قطعيًا، ويقدمها على الأدلة النقلية عند التعارض، ويُعَدُّ هذا من أبرز مظاهر الخلل في هذا المنهج.

(٣) الأدلة النقلية تشمل نصوص الكتاب والسنة معًا، ولا يجوز إطلاق إمكان عدم الصحة إلا على نصوص السنة غير المتواترة فقط، والحكم على الحديث بالصحة أو الضعف فنّ لا يتقنه إلا أهل العلم المشتغلون بالحديث وعلومه، وفق قواعد وضوابط دقيقة.

(٤) أساس التقديس للرازي ص١٧٢، ١٧٣.

وكلام الله إذا شاء متى شاء، وغيرها..، وكذلك نفي الصفات الخبرية: كالوجه، واليدين، وغيرها..[١].

وقد أدى هذا المنهج المنحرف أيضًا إلى ردِّ الكثير من الأحاديث الصحيحة، والطعن في رواتها وإن كانوا من الصحابة ﷺ، أو التابعين رحمهم الله، أو مَن اتفق أئمة المحدثين على عدالتهم.

❁ ❁ ❁

(١) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة لعبد الرحمن المحمود (٢/٨١٨-٨٢١).

المبحث الخامس

الفطـــرية

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم:٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: "فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره"(١).

- وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **"كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجّسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء"**(٢).

- وعن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: **"ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا؛ كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت، لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا"**(٣).

قال النووي رحمه الله: "قوله تعالى: **"وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم"** أي: مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي، وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية. وقيل: المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر، وقال: ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف:١٧٢]"(٤).

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٣) رواه مسلم (٢٨٦٥).

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٧/١٩٧).

وقال ابن القيم رحمه الله في كلامٍ له عن الفطرة: "بل الطفل يختار مص اللبن بنفسه، فإذا مُكِّنَ من الثدي وجدت الرضاعة لا محالة، فارتضاعه ضروري إذا لم يوجد معارض، وهو مولود على أن يرضع؛ فكذلك هو مولود على أن يعرف الله، والمعرفة ضرورية لا محالة إذا لم يوجد معارض..."[١].

وبناءً على ما تقدم فإن الإيمان فطري عند أهل السنة والجماعة خلافًا لأهل الأهواء، فالمقلدون من العوام الذين ليس لهم أهلية النظر والاستدلال، مسلمون وإن عجزوا عن إقامة الأدلة وإيضاح البراهين.

قال السفاريني في منظومته:

فالجازمون من عوام البشر فمسلمون عند أهل الأثر

قال ابن حامد: "لا يشترط أن يجزم عن دليل، يعني: بل يكفي الجزم ولو عن تقليد"[٢].

وقال النووي رحمه الله في شرحه لحديث: "**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به...**"[٣]: "وفيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف، أن الانسان إذا اعتقد دين الإسلام اعتقادًا جازمًا لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها، خلافًا لمن أوجب ذلك وجعله شرطًا في كونه من أهل القبلة، وزعم أنه لا يكون له حكم المسلمين الا به، وهذا المذهب هو قول كثير من المعتزلة وبعض أصحابنا المتكلمين، وهو خطأ ظاهر فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل؛ ولأن النبي ﷺ اكتفى بالتصديق بما جاء به ﷺ و لم يشترط المعرفة بالدليل، فقد تظاهرت بهذا أحاديث

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن القيم ص٣٠٠-٣٠٢.

(٢) لوامع الأنوار للسفاريني (١/٢٦٩).

(٣) رواه مسلم (٢١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي"[١].

وقال ابن حجر: "وفي كتب النبي ﷺ إلى هرقل وكسرى وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى التوحيد، إلى غير ذلك من الأخبار المتواترة التواتر المعنوي الدال على أنه ﷺ لم يزد في دعائه المشركين على أن يؤمنوا بالله وحده ويصدقوه فيما جاء به عنه، فمن فعل ذلك قبل منه سواء كان إذعانه عن تقدم نظر أم لا، ومن توقف منهم نبهه حينئذ على النظر، أو أقام عليه الحجة إلى أن يذعن أو يستمر على عناده"[٢].

مظاهر الفطرية:

ومن مظاهر فطرية العقيدة عند أهل السنة خاصة أنها جاءت سهلة واضحة، لا عسر فيها ولا تعقيد، ووردت النصوص وأقوال السلف وأهل السنة بالنهي عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولاً وفروعًا، وعن التكلف في طلب علم ما حجب علمه.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**"[٣].

وترجم البخاري رحمه الله: "باب الدين يسر، وقول النبي ﷺ: **أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**"[٤].

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (١/٢١٠، ٢١١).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/٣٥٣، ٣٥٤).

(٣) رواه البخاري (٣٩).

(٤) صحيح البخاري كتاب الإيمان (١/٢٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: باب الدين يسر، أي دين الإسلام ذو يسر، أو سمي الدين يسرًا مبالغة بالنسبة إلى الأديان قبله؛ لأن الله رفع عن هذه الأمة الإصر الذي كان على من قبلهم، ومن أوضح الأمثلة له أن توبتهم كانت بقتل أنفسهم. وتوبة هذه الأمة بالإقلاع والعزم والندم. قوله: **"أحب الدين"** أي خصال الدين؛ لأن خصال الدين كلها محبوبة لكن ما كان منها سمحًا أي سهلاً فهو أحب إلى الله، ويدل عليه ما أخرجه أحمد بسند صحيح من حديث أعرابي لم يسمه أنه سمع رسول ﷺ يقول: **"خير دينكم أيسره"**(١)، أو الدين جنس أي أحب الأديان إلى الله الحنيفية، والمراد بالأديان الشرائع الماضية قبل أن تبدل وتنسخ، والحنيفية ملة إبراهيم... والسمحة السهلة، أي أنها مبنيه على السهولة"(٢).

وترجم الإمام البخاري رحمه الله في كتاب: "باب ما يكره من التعمق والتنازع في العلم والغلو في الدين والبدع لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [النساء:١٧١]"(٣).

قال ابن حجر رحمه الله: "صدر الآية يتعلق بفروع الدين وهي المعبر عنه في الترجمة بالعلم وما بعده يتعلق بأصوله. فأما التعمق فمعناه التشديد في الأمر حتى يتجاوز الحد فيه، وأما الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد وفيه معنى التعمق..."(٤).

وعن أبي العالية عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه أحمد (١٥٥٠٦).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/٩٣، ٩٤).

(٣) صحيح البخاري بتحقيق د. مصطفى البغا (٦/٢٦٦١).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٧٨).

"**إياكم والغلو في الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**"(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثًا(٢).

قال النووي: "المتنطعون أي المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم"(٣).

وقال الخطابي: "المتنطع المتعمق في الشيء، المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام، الداخلين فيما لا يعنيهم، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم"(٤).

وقال ابن حجر: "ومما ذمه السلف وعليه ينطبق حديث بن مسعود رفعه: "**هلك المتنطعون**"، ورأوا أن فيه تضييع الزمان بما لا طائل تحته، الإكثار من التفريع على مسألة لا أصل لها في الكتاب ولا السنة ولا الإجماع، وهي نادرة الوقوع جدًا، فيصرف فيها زمانًا كان صرفه في غيرها أولى... وأشد من ذلك البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع بالإيمان بها مع ترك كيفيتها، ومنها ما لا يكون له شاهد في عالم الحس؛ كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مدة هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يعرف إلا بالنقل الصرف. والكثير منه لم يثبت فيه شيء فيجب الإيمان به من غير بحث، وأشد من ذلك ما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة"(٥).

---

(١) أخرجه أحمد (١٨٥٤)، والنسائي (٣٠٥٩)، وابن ماجه (٣٠٢٩). وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٦/٢٢٠).

(٤) عون المعبود للعظيم آبادي (١٢/٢٣٥، ٢٣٦).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٦٧) بتصرف يسير.

قال ابن مسعود ﷺ: "من عَلِمَ فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص:٨٦] الحديث(١).

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: "نُهينا عن التَّكلُّف"(٢).

- وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"لن يبرح الناس يتساءلون حتى يقولوا: هذا الله خالق كل شيء فمن خلق الله؟!"**(٣).

قال ابن حجر: "قال ابن بطال: في حديث أنس الإشارة إلى ذم كثرة السؤال لأنها تفضي إلى المحذور، كالسؤال المذكور فإنه لا ينشأ إلا عن جهل مفرط"(٤).

وترجم الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الاعتصام من "صحيحه": "باب: ما يُكرهُ من كثرة السؤال، ومَنْ تَكلَّف ما لا يَعْنِيه، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١]"، و"باب: ما يُذْكرُ من ذمِّ الرأي وتَكَلُّفِ القياس﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ لا تقل ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]"(٥).

ومما وردت نصوص الشرع بالنهي عن الخوض فيه، التفكر في ذات الله تعالى وكنه صفاته، وقد سار أهل السنة على هذا النهج، فآمنوا بصفات الله

---

(١) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٢) رواه البخاري (٧٢٩٣).

(٣) رواه البخاري (٧٢٩٦)، ومسلم (١٣٦).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٣/٢٧٣).

(٥) صحيح البخاري (٦/٢٦٥٨).

تعالى كما جاءت في الكتاب والسنة، وكفوا عن الخوض في كنه هذه الصفات وكيفيتها، وكلامهم في هذا الباب كثير معروف.

- قال حافظ المشرق أبو بكر الخطيب البغدادي: "**أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف إثباتها، وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها**، وقد نفاها قوم فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، **فإذا كان معلومًا أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف**، فإذا قلنا لله يد وسمع وبصر فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول إن معنى اليد القدرة، ولا إن البصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول إنما وجب إثباتها لأن التوقيف ورد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى:١١]، ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص:٤]"(١).

- وقال حافظ المغرب ابن عبد البر في التمهيد: "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة والإيمان بها، وحملها على

---

(١) الكلام على الصفات للخطيب البغدادي ص٢٠-٢٣، ورواه الذهبي في السير (١٨/٢٨٣، ٢٨٤) في ترجمة الخطيب البغدادي، وابن قدامة في ذم التأويل (١٥) عن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق الزعفراني عن الخطيب.

الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئًا من ذلك، ولا يحدون فيه صفة محصورة، وأما أهل البدع، والجهمية، والمعتزلة كلها والخوارج، فكلهم ينكرها ولا يحمل شيئًا منها على الحقيقة، ويزعمون أن من أقر بها مشبه، وهم عند من أثبتها نافون للمعبود، والحق فيما قاله القائلون به بما ينطق كتاب الله وسنة رسوله وهم أئمة الجماعة والحمد لله"[١].

- وقال أيضًا: "لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة - وهم أهل الفقه والحديث - في نفي القياس في التوحيد، وإثباته في الأحكام"[٢].

وكل من تعمق وخاض في حقيقة الذات أو الصفات من أهل الأهواء، وتكلف الوقوف على كُنْهها، والوصول إلى حقيقتها لم يجد ما يشفي؛ بل زاده ذلك شكًا وحيرة واضطرابًا.

ومما وردت أقوال أهل السنة بالنهي عن الخوض فيه القدر، ومن ذلك:

ما جاء عن الإمام أحمد رحمه الله قال: "وأصل القدر سر الله تعالى في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل. والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان. فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا أو فكرًا أو وسوسة، فإنه تعالى طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال عز من قائل: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين"[٣].

---

(١) التمهيد لابن عبد البر (١٤٥/٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٧٤.

(٣) الورع للإمام أحمد ص٢٠٠.

وخالفت القدرية والجبرية ومن لفَّ لفهم في هذا الباب، وأطالوا النزاع فيه، وخاضوا فيما ليس لهم الخوض فيه، فوقعوا في التخبط والتناقض، فقال بعضهم: إن الأمر أُنُفٌ يعني أن الله لا يعلم به إلا بعد وقوعه، وهؤلاء تبَرَّأَ منهم ابن عمر[1]، ومنهم من قال: إن أفعال العباد ليست مخلوقة، وأنكر بعضهم إرادة الإنسان ومشيئته، إلى آخر ما خالفوا فيه، مما يُعْلم بطلانه بيقين، ومخالفته للثابت في القرآن والسنة، والمجمع عليه عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) كما في صحيح مسلم (٨).

لكن معرفته تزيد بالنظر في مخلوقات الله".

وسئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن رجل يقول: عرفت الله بالعقل والإلهام فقال: من قال عرفت الله بالعقل والإلهام فهو مبتدع، عرفنا كل شيء بالله.

وسئل ذو النون المصري: بماذا عرفت ربك؟ فقال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي ما عرفت ربي.

وقال عبد الله بن رواحة:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

وكان هذا بين يدي النبي ﷺ فلم ينكره عليه، فدل على صحة قول علمائنا: "إن الله يعرف بالله، والأشياء كلها تعرف بالله"[١].

ولما كان توحيد الربوبية بهذه المثابة كان هو الأساس الذي ابتني عليه توحيد الله عز وجل في الإلهية، فإن الخالق المالك المدبر هو المستحق وحده بأن يُتوجه إليه بالعبادة والخشوع والخضوع والذكر والدعاء والخوف والرجاء والحمد والشكر.

فالعبادة لا يصح أن تكون لغير الرب تعالى؛ إذ كيف يُعبَد من لم يخلق و لم يرزق و لم يدبر أمر الخلق؟.

قال ابن القيم: "فاسم "الرب" له الجمع الجامع لجميع المخلوقات، فهو رب كل شيء وخالقه والقادر عليه، لا يخرج شيء عن ربوبيته، وكل من في السماوات والأرض عبد له في قبضته وتحت قهره، فاجتمعوا بصفة الربوبية وافترقوا بصفة الإلهية، فألهه وحده السعداء وأقروا له طوعًا بأنه الله الذي لا إله إلا هو، الذي لا تنبغي العبادة والتوكل والرجاء والخوف والحب والإنابة

---

(١) مجموع الفتاوى (٢/٢) هامش.

الصديق ﷺ: "لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ"[١].

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله: "لأن أرى في المسجد نارًا لا أستطيع إطفاءها أحب إلي من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها".

وما نقل عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين في ذم البدع والتحذير من أهلها كثير جدًا.

الاهتمام بتوحيد الأسماء والصفات بجانبيه النظري والعملي:

إن لتوحيد الأسماء والصفات شأن عظيم وأثر كبير في القلوب، والعلم بأسماء الله وصفاته أشرف العلوم؛ فإن شرف العلم بشرف المعلوم، ولما كان ربنا تبارك وتعالى أشرف معلوم كان العلم الذي يعرف بالله هو أشرف العلوم، وكانت النصوص المعرفة بالله وأسمائه وصفاته أفضل النصوص، ولذا كانت سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، وكانت آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله عز وجل.

هذه القواعد صاغها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في ثلاث نقاط فقال: "إنا نوصيكم وأنفسنا بتقوى الله، وأن تلتزموا بثلاث جمل من كتاب الله:

الأولى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾، فنزهوا رب السماوات والأرض عن مشابهة الخلق.

الثانية: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، فتؤمنوا بصفات الجلال والكمال الثابتة في الكتاب والسنة على أساس التنزيه كما جاء: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، بعد قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١].

الثالثة: أن تقطعوا أطماعكم عن إدراك حقيقة الكيفية؛ لأن إدراك حقيقة

---

(١) مسلم (١٧٥٩).

الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٠]"(١).

ومع هذا المنهج الصحيح لفهم الأسماء والصفات فلابد أن ينضم إليه العناية بآثارها القلبية والتعبد لله عز وجل ودعائه بها، حتى يتم الإيمان بالأسماء والصفات كما آمن بها سلف الأمة الذين جمعوا بين الفهم والعمل، ونظروا إلى كل اسم من أسماء الله عز وجل بأن فيه حقًا من العبودية لله عز وجل على العباد يتعبدون لله سبحانه وتعالى به.

وهذه الآثار التي يورثها الإيمان بأسماء الله وصفاته يبينها ابن القيم فيقول: "والأسماء الحسنى والصفات العُلى مقتضية لآثارها من العبودية والأمر اقتضاءها لآثارها من الخلق والتكوين، فلكل صفة عبودية خاصة هي من موجباتها ومقتضياتها، أعني من موجبات العلم بها والتحقق بمعرفتها، وهذا مطرد في جميع أنواع العبودية التي على القلب والجوارح. فعلم العبد بتفرد الرب تعالى بالضرر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطنًا ولوازم التوكل وثمراته ظاهرًا. وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه، فيثمر له ذلك الحياء باطنًا ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح.

ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه، وكذلك معرفته بجلال الله وعظمته وعزه تثمر له الخضوع والاستكانة والمحبة، وتثمر له تلك الأحوال الباطنة أنواعًا من العبودية الظاهرة هي من موجباتها، وكذلك علمه

---

(١) منهج دراسة لآيات الأسماء والصفات، ص٥٣.

بكماله وجماله وصفاته العُلى يوجب له محبة خاصة بمترلة أنواع العبودية فرجعت العبودية، كلها إلى مقتضى الأسماء والصفات"(١).

ويقول رحمه الله: "وجماع ذلك: أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلاهيته تارة وبصفات ربوبيته تارة، فيوجب له شهود صفات الإلهية المحبة الخاصة والشوق إلى لقائه الأنس والفرح به والسرور بخدمته والمنافسة في قربه والتودد إليه بطاعته واللهج بذكره والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما سواه. ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه والافتقار إليه والإستعانة به والذل والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في ألوهيته وألوهيته في ربوبيته، وحمده في ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدل في انتقامه، وجوده وكرمه في مغفرته وستره وتجاوزه، ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه، وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في إعراضه، وأنت إذا تدبرت القرآن وأجرته من التحريف وأن تقضي عليه بآراء المتكلمين وأفكار المتكلفين، أشهدك مَلكًا قيومًا فوق سماواته على عرشه يدبرُ أمر عباده، يأمر وينهى، ويرسل الرسل، ويترل الكتب، ويرضى ويغضب، ويثيب ويعاقب، ويعطي ويمنع، ويُعز ويُذل، ويخفض ويرفع، يرى من فوق سبع ويسمع ويعلم السر والعلانية، فعال لما يريد، موصوف بكل كمال، متره عن كل عيب، لا تتحرك ذرة فما فوقها إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ليس لعباده من دونه ولي ولا شفيع"(٢).

فتبين مما سبق أن الإيمان بأسماء الله عز وجل وصفاته ليس هو المعرفة

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم (٢/١٠٥).

(٢) الفوائد لابن القيم ص٦٧، ٦٨.

النظرية والتسليم المجرد بها، ونفي التحريف الكلامي والشبهات البدعية التي اكتنفتها وفقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى تدبر مدلولاتها وآثارها ومقتضياتها والتعبد لله عز وجل بها.

الاهتمام ببيان حقيقة الكفر وشعبه، كالاهتمام ببيان الإيمان وشعبه:

يقول ابن رجب: "وهذه المسائل: أعني مسائل الإيمان والكفر والنفاق مسائل عظيمة جدًا، فإن الله عز وجل علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، وهو خلاف الخوارج للصحابة حيث أخرجوا عصاة الموحدين من الإسلام بالكلية وأدخلوهم في دائرة الكفر، وعاملوهم معاملة الكفار واستحلوا بذلك دماء المسلمين وأموالهم، ثم حدث بعدهم خلاف المعتزلة وقولهم بالمترلة بين المترلتين، ثم خلاف المرجئة وقولهم: إن الفاسق مؤمن كامل الإيمان. وقد صنف العلماء قديمًا وحديثًا في هذه المسائل تصانيف متعددة"[١].

سد الطرق الموصلة إلى الشرك كافة.

ولقد عني أهل السنة في كتبهم ومؤلفاتهم وفتاواهم بهذا الأمر أعظم عناية، وأولوه كل رعاية.

يقول الشيخ محمد خليل هراس: "ولما كان هذا النوع من التوحيد[٢] هو أخطر أنواع التوحيد وأشرفها، فقد احتاط له الشرع أعظم الحيطة، ونفى عنه كل شائبة شرك، وحرم كل وسيلة مفضية إلى الإخلال بقواعده؛ حتى يبقى مصون الحمى بعيدًا عن عوامل الزيغ والانحراف، فنهى عن الألفاظ التي توهم الندية والمساواة بين الله وبين أحد من خلقه كقولك مثلاً: أنا في حمى الله

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص٢٩.

(٢) يعني: توحيد الإلوهية.

وفلان، أو: أنا متوكل على الله وعلى فلان، أو: ما شاء الله وفلان، وبيَّن أن المخرج من ذلك هو أن يعطف بثم لا بالواو، وكذلك نهى عن الألفاظ التي فيها تعظيم لغير الله أو نسبة تأثير إليه كقولك: وحياتك أو وحياة أبيك أو لولا فلان لكان كذا ولولا صياح الديك لسرقنا اللصوص، ونهى أيضًا عن اتخاذ المساجد على القبور؛ لأن ذلك قد يكون ذريعة إلى تعظيمها وعبادتها وقد استفاض عنه ﷺ أنه قال: **"لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**(١).

ونهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها لما في ذلك من التشبه بعبادها حيث يتحرون السجود لها في هذه الأوقات.

ونهى عن شد الرحال إلى مكان من الأمكنة بقصد التقرب إلى الله بالعبادة فيه إلا المساجد الثلاثة التي هي المسجد الحرام ومسجد المدينة والمسجد الأقصى.

ونهى أن يقوم الناس بعضهم لبعض على جهة التعظيم، فقال ﷺ لأصحابه لما رآهم قاموا له: **"لا تقوموا كما يقوم الأعاجم يعظم بعضهم بعضًا"**(٢).

ونهى ﷺ أصحابه عن الغلو فيه والمبالغة في مدحه، فقال ﷺ: **"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله"**(٣).

وقال للوفد - الذين قالوا: "أنت سيدنا وابن سيدنا" -: **"إنما السيد الله"**(٤).

وقال للرجل - الذي قال له: "ما شاء الله وشئت"-: **"أجعلتني لله ندًا بل ما شاء الله وحده"**(٥).

---

(١) رواه البخاري (١٣٣٠)، ومسلم (٥٢٩).

(٢) رواه أحمد (٢١٦٧٧)، وأبو داود (٥٢٣٠).

(٣) رواه البخاري (٣٤٤٥).

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠٦)، وأحمد (١٥٨٧٢)، وهو في صحيح الجامع (٣٧٠٠).

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وأحمد (١٨٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد وذكره في الصحيح برقم ١٣٩.

وقال للرجل الذي دخل عليه فأخذته رعدة من هيبته: **"هون عليك فإنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة"**[(١)].

ونهى عن إشراف القبور وتجصيصها، وبناء القباب عليها، وإيقادها بالسرج، والعكوف عليها؛ خشية الافتتان بها والوقوع في تعظيمها.

وأنكر ﷺ على معاذ بن جبل رضي الله عنه حين دخل عليه فسجد له.

ونهى عن الوفاء بالنذر في مكان يُعبَد فيه صنم أو يُقام فيه عيد من أعياد الجاهلية.

ولقد نهج الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم سنة نبيهم ﷺ في الحيطة للتوحيد والمحافظة على حماه المقدس، حتى إن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر بقطع الشجرة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ تحتها على الموت عام الحديبية لما علم أن بعض الناس يذهبون إليها ويتعمدون الصلاة عندها.

وقال مرة وهو يستلم الحجر الأسود: "اللهم إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك"[(٢)].

وعزل خالدًا رضي الله عنه عن القيادة في وقت كانت الآمال كلها معلقة به ليتمم ما بدأه من الانتصارات على الروم؛ ولكنه خشي أن يفتتن به الناس فعزله وولى مكانه أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

وهذا علي رضي الله عنه يقول لأبي الهياج الأسدي: "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ، أن لا تدع قبرًا مشرفًا إلا سويته ولا صورة إلا طمستها"[(٣)].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٣١٢)، والحاكم في المستدرك (٣٧٣٣) وصححه، وذكره الألباني في الصحيحة (١٨٧٦) "لعن الله اليهود...".

(٢) رواه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).

(٣) رواه مسلم (٩٦٩).

وعلى هذا النهج الواضح من المحافظة على التوحيد سار السلف الصالح وأئمة الهدى من بعدهم، لم يسمحوا لأحد أن يخرق سياج التوحيد أو يستبيح بيضته"(١).

وقضية الحكم والتشريع وثيقة الصلة بقضية التوحيد؛ بل هي من صلب قضية التوحيد.

إنها تنشأ عن الرضا بالله تعالى ربًا، وبمحمد ﷺ نبيًا، وبالإسلام دينًا.

إن قضية التحاكم إلى دين الله عز وجل والالتزام بشرعه هي جزء من توحيد الله عز وجل في ربوبيته وألوهيته؛ فتوحيد الله عز وجل يقتضي إفراده سبحانه وتعالى بالأمر كما يفرد سبحانه بالخلق، لذا قرن الله بينهما فقال: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف:٥٤].

فكما أنه سبحانه هو الذي خلق، فهو الحقيق سبحانه بأن يأمر شرعًا وقدرًا.

يقول الشيخ بكر أبو زيد: "إن تحكيم شرع الله من أعظم الواجبات، قال سبحانه: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]"(٢).

ويقول الشيخ عمر الأشقر: "إن دعوة التوحيد تقتضي الالتزام بالمنهج الحق، وأما الاعتراف بالله ربًا ومعبودًا والتوجه إليه في الصلاة والصوم والدعاء، والاستكبار عن الالتزام بشرعه في أمور السياسة والاقتصاد والحكم والتربية فهذا من جنس ضلال المشركين الذين عبدوا مع الله آلهة آخرى"(٣).

---

(١) دعوة التوحيد لمحمد خليل هراس ص٥٩-٦٢ باختصار.

(٢) درء الفتنة عن أهل السنة للشيخ بكر أبو زيد ص٨٠-٨١.

(٣) التوحيد محور الحياة للأشقر ص٣٤.

الاعتناء بعقيدة الولاء والبراء:

وذلك بالتوجيه إلى تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، وتحقيق البراء من كل ما يخالف هذه العقيدة، وكل من يخالفها، كلٌّ بحسبه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة:٥١، ٥٢].

وقال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ۝١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا ﴾، إلى قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١٣٨ – ١٤٤].

يقول الشيخ صالح الفوزان: "من أصول العقيدة الإسلامية أنه يجب على كل مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم"(١).

والمتأمل لكتاب الله عز وجل يدرك دون عناء مقدار ما أولى القرآن هذه القضية من عناية واهتمام.

يقول الشيخ حمد بن عتيق: "فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أوجب ذلك وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"(٢).

---

(١) الولاء والبراء ص٣.

(٢) سبيل النجاة والفكاك ص٣١.

مواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة:

ومن ذلك مواجهة صور الشرك الواقع، والبدع القائمة، والانحرافات الماثلة في واقع مجتمعات المسلمين.

وهذا الاهتمام بمواجهة الانحرافات العقدية المعاصرة كما هو نهج سلف هذه الأمة فهو نهج أنبياء الله عز وجل، فهم يبدأون أولاً بترسيخ قاعدة العبودية لله عز وجل والدعوة إلى توحيد الإلهية، ثم ينطلقون من قاعدة التوحيد إلى إبطال ومحاربة الانحرافات التي يواجهونها في أممهم، لذا تتنوع اتجاهات دعوتهم بعد تأصيل الأصل المشترك لكل النبوات، وهو توحيد الله عز وجل.

كما ذكر الله عز وجل عن شعيب عليه السلام في قوله: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ﴾ [هود:٨٤].

وكذا في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴾ [الشعراء:١٧٦-١٨١].

وذكر سبحانه عن لوط عليه السلام: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ [الشعراء:١٦٠-١٦٦].

فهذا هدي أنبياء الله عز وجل، وقد قال الله تعالى فيهم: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠].

فلا يصلح أن تنحصر المواجهة في بعض القضايا وبعض القواعد التي واجه

بها السلف الصالح الانحرافات التي عاصروها وكانت فريضة الوقت حينئذ مع إغفال الانحرافات التي تواجهنا في هذا العصر، والحرب التي تستهدف أصل الإسلام وتسعى لتنحيته من الوجود.

فليس من الشمولية الوقوف عند بعض المعارك التاريخية التي طُويت صفحاتها واندثرت فتنتها، مع التخلي عن محاربة الانحرافات المعاصرة، والتي أجلب العدو فيها بخيله ورجله، وذلك لمجرد أن السلف الصالح بسطوا القول في هذه ولم يبسطوه في الأخرى، وما ذاك إلا لعدم قيام الداعي إلى ذلك.

وليس المراد الإهمال المطلق لهذه القضايا وإنما تناولها تناولاً مجملاً يكفل بيان الحق من ناحية، وتجنب إحياء الفتن القديمة وتجديد المعارك المندثرة من ناحية أخرى، ثم الانشغال بمواجهة فتن العصر المستجدة ومشاكله الراهنة.

على أنه يلزم وجود طائفة من أهل الاختصاص الشرعي تتوسع في فهم ودراسة هذه الانحرافات وتفاصيلها، وأقوال الفرق فيها وشبهاتها والردود على تلك الشبهات، فهذا يدخل في فروض الكفايات، والله أعلم.

الفصل الثالث

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد

المبحث الأول : الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين.

المبحث الثاني: جمع النصوص في الباب الواحد ورد المتشابه إلى المحكم.

المبحث الثالث: اشتمال الوحي على مسائل التوحيد بأدلتها.

المبحث الرابع: حجية فهم السلف الصالح لنصوص الوحي.

المبحث الخامس: الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودرء التأويل.

المبحث السادس: درء التعارض بين العقل والنقل.

المبحث السابع: موافقة النصوص لفظا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ.

المبحث الثامن: الكف عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف

تمهيد

لم يفرد السلف الأوائل مؤلفات خاصة في قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد؛ بل اكتفوا بما ورد في ثنايا كتب العقائد من تقعيدات وتأصيل، ومناظرات ورد للشبه والأباطيل، يظهر ذلك في كتب أهل السنة والجماعة المتقدمين عامة، ويظهر بوضوح في مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله، إلا أن الدراسات المعاصرة عنيت بتحرير تلك القواعد، وبيان الضوابط، والكشف عن مناهج السلف والأئمة في الاستدلال على مسائل الاعتقاد، وفي الرد على أهل البدع والإلحاد(١).

وفيما يلي تنبيه على أهم تلك القواعد والضوابط المنهجية في تقرير مسائل الاعتقاد، كما أشارت إليها كتب المتقدمين، وجمعتها ورتبتها كتب المتأخرين.

---

(١) من تلك الدراسات رسالة الماجستير للدكتور عثمان علي حسن بعنوان "منهج الاستدلال على الاعتقاد".

المبحث الأول

الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين

لقد تقدم أن أدلة مسائل التوحيد من أقوى الأدلة ثبوتًا وأصرحها دلالة، وعامة مسائل الاعتقاد -لأجل هذا- متفق عليها بين سلف الأمة.

والله تعالى أمر بالدخول في شرائع الإيمان كافة، ونهى عن الإيمان ببعض والتكذيب ببعض، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة:٢٠٨] وأمر المؤمنين أن يقولوا: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾[آل عمران:٧].

وفي الحديث: **"إن القرآن لم ينـزل يكذب بعضه بعضًا؛ بل يصدِّق بعضه بعضًا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه"**(١).

"فينبغي للمسلم أن يقدر قدر كلام الله ورسوله، فجميع ما قاله الله ورسوله يجب الإيمان به، فليس لنا أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض، وليس الاعتناء بمراده في أحد النصين دون الآخر بأولى من العكس"(٢).

فكل ما أمر به الشارع أو نهى عنه، أو دلَّ عليه وأخبر به، فحقه، التصديق والتسليم مع الإجلال والتعظيم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾ [الحج:٣٠]، وقال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾ [الحج:٣٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٦٦٦٣)، وابن ماجه (٨٥) من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٦٧٠٢): "إسناده صحيح". اهـ. وأصل الحديث في صحيح مسلم (٢٦٦٦)، عن عبد الله بن عمرو قال: هَجَّرْتُ إلى رسول الله ﷺ يومًا، قال: فسمعَ أصواتَ رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله ﷺ يُعرفُ في وجههِ الغضبُ، فقال: **"إنما هلكَ مَنْ كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"**.

(٢) الإيمان لابن تيمية ص٣٣ باختصار.

وما كان -من أمر الله- متعلقًا بعمل فحقه الامتثال بلا تردد، والاتباع بلا هوى.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠].

والسنة صنو الكتاب في وجوب التسليم والتعظيم، قال الأوزاعي[(١)] للزهري: يا أبا بكر، حديث رسول الله ﷺ: **"ليس منا من لطم الخدود"**[(٢)]، و**"ليس منا من لم يوقر كبيرنا"**[(٣)] وما أشبه من الحديث ما معناه؟ فأطرق الزهري ساعة، ثم رفع رأسه فقال: "من الله ﷻ العلم، وعلى الرسول البلاغ، وعلينا التسليم"[(٤)].

---

(١) في أهل الرواية قال رجل للزهرى، قال ابن حجر: " وهذا الرجل هو الوزاعى" أنظر تغليق التعليق (٣٦٦/٥)، وسيأتي ما يؤكد ذلك بعد قليل.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٤)، ومسلم (١٠٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد (٢٧٨٢٣)، وهناد في الزهد (١٣٢١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٥)، والترمذي (١٩٢٠)، وأبو داود (٤٩٤٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقد صححه النووي في الرياض، والألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٥)، وحسنه العراقي والسيوطي. انظر: الجامع الصغير (٥٤٤٥).

(٤) السنة للخلال (٥٧٩/٣)، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب (١١١/٢)، وأدب الإملاء والاستملاء للسمعاني (ص/٢٦)، وتغليق التعليق لابن حجر (٣٦٥/٥ - ٣٦٦)، وانظر: كتاب خلق أفعال العباد للبخاري (ص/٧٦)، والصحيح له (قبل رقم /٧٥٣٠) في كتاب التوحيد، والتمهيد لابن عبد البر (١٤/٦)، والاعتقاد للبيهقي ص٢٥١، والصواعق المرسلة =

وورد ذلك عن الزهري عقب روايته لحديث : "**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن** ..." ، والحديث رواه الأوزاعي عن الزهري ، ثم قال : فقلت للزهري : ما هذا؟ فقال : "على رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم"(١) . وفي رواية : "من الله العلم وعلى رسوله البلاغ وعلينا التسليم ، أَمِرُّوا أحاديث رسول الله ﷺ كما جاءت"(٢) . زاد في لفظ : "من الله القول ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التسليم ، أَمِرُّوا حديثَ رسول الله ﷺ كما جاء بلا كيف"(٣) . وقال مرة : "وكانوا يجرون الأحاديث عن رسول الله ﷺ كما جاءت تعظيمًا لحرمات الله"(٤) .

وورد نحو ذلك عن الإمام ربيعة بن أبي عبد الرحمن شيخ الإمام مالك لما سُئل عن الاستواء ، فقال : "مجهول معقول ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ ، وعلينا التصديق"(٥) .

وقال ابن تيمية: "هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك"(٦).

ومثل هذا قول الإمام مالك رحمه الله حين سئل عن الاستواء، فقال:

=(٧٣٧/٢) (١٤٣٢/٤)، وشرح الطحاوية ص٢١٩، والرد على القائلين بوحدة الوجود لعلي بن سلطان الهروي الحنفي ص٤٨، فتح الباري لابن حجر (٥٠٤/١٣).

(١) صحيح ابن حبان (٤١٤/١ رقم ١٨٦)، وتعظيم قدر الصلاة للمروزي (٥٢٠).

(٢) حلية الأولياء (٣٦٩/٣).

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (٣٤٦/٥).

(٤) الاعتقاد للبيهقي ص٢٥١.

(٥) رواه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٦٦٥)(٩٢٨)، وانظر: تذكرة الحفاظ للذهبي (١٥٨/١)، وفتح الباري لابن حجر (٤٠٦/١٣) والمجهول هو الكيفية، والمعقول هو المعنى.

(٦) مجموع الفتاوى (٣٦٥/٥).

"الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة..."[١].

"والإنسان إذا علم أن الله تعالى أصدق قيلاً، وأحسن حديثًا، وأن رسوله هو رسول الله بالنقل والعقل والبراهين اليقينية، ثم وجد في عقله ما ينازعه في خبر الرسول، كان عقله يوجب عليه أن يسلم موارد النــزاع إلى من هو أعلم به منه، فإن العامّي يصدق لأهل الاختصاص ما يقولونه دون اعتراض، وإن لم يتضح له وجهه، وإذا اتضح ازداد نورًا على نور.. فكيف حال الناس مع الرسل وهم الصادقون المصدَّقون؛ بل لا يجوز أن يخبر الواحد منهم خلاف ما هو الحق في نفس الأمر"[٢].

قال الإمام الطحاوي رحمه الله: "فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًّا زائغًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذِّبًا"[٣].

وبضدها تتميز الأشياء، فأين هذا المنهج السديد، والتقعيد الرشيد، الذي سار عليه أهل السنة، من مثل قول عمرو بن عبيد -إمام المعتزلة-: "لو كانت ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ ﴾ [المسد ١] في اللوح المحفوظ، لم يكن لله على العباد حجة!"[٤].

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٣/٣٩٨)، والبيهقي في الاعتقاد (١/١١٦)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦/٣٢٦)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١/٣٦٥).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/١٤١).

(٣) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٣٣، ٢٤٢).

(٤) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/١٨٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/١٠٤).

أو قوله في حديث الصادق المصدوق: "**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا نطفة**.. الحديث"[١]، قال -قبح الله قوله-: "لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدَّقته، ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا"[٢].

وأخيرًا فإن في التزام هذه القاعدة إثبات عصمة المرسلين، وتحقيق متابعة الرسول فيما أخبر وأمر، ومجانبة مسالك المغضوب عليهم والضالين الذين ردوا على أنبيائهم، وحصول رتبة الراسخين، والنجاة من مذاهب المبتدعين، ودفع توهم التعارض بين النقل والعقل.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/١٧٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٦/١٠٤، ١٠٥).

المبحث الثاني

جمع النصوص في الباب الواحد وإعمالها

إن معقد السلامة من الانحراف عند بيان قضية عقدية وتفصيل أحكامها هو جمع ما ورد بشأنها من نصوص الكتاب والسنة على درجة الاستقصاء، مع تحرير دلالات كلٍ، وتصحيح النقل عن النبي ﷺ، واعتماد فهم الصحابة والثقات من علماء السلف الصالح ﵃، فإن بدا ما ظاهره التعارض بين نصوص الوحيين عند المجتهد -لا في الواقع ونفس الأمر-، فينبغي الجمع بين هذه الأدلة برد ما غمض منها واشتبه إلى ما ظهر منها واتضح، وتقييد مطلقها بمقيدها، وتخصيص عامها بخاصها، فإن كان التعارض في الواقع ونفس الأمر فبنسخ منسوخها بناسخها -وذلك في الأحكام دون الأخبار فلا يدخلها نسخ-، وإن لم يكن إلى علم ذلك من سبيل، فبرده إلى عالمه تبارك وتعالى.

قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧].

وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: **"نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف، زاجرًا وآمرًا، وحلالاً وحرامًا، ومحكمًا ومتشابهًا، وأمثالاً، فأحلُّوا حلاله، وحرِّموا حرامه، وافعلوا ما أمرتم به، وانتهوا عما نهيتم عنه، واعتبروا بأمثاله، واعملوا بمحكمه، وآمنوا بمتشابهه، وقولوا آمنا به كل من عند ربنا"**[1].

---

(١) أخرجه ابن حبان (٧٤٥)، والطبراني في المعجم الكبير (٩/٢٦)، والحاكم في المستدرك (٢٠٣١)، من حديث عبد الله بن مسعود ﵁، وصححه الحاكم، والألباني في الصحيحة برقم: ٥٨٧

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يؤمن بالمحكم ويدين به، ويؤمن بالمتشابه ولا يدين به، وهو من عند الله كله"(١).

وقال الربيع بن خثيم رحمه الله: "يا عبد الله، ما علمك الله في كتابه من علم فاحمد الله، وما استأثر عليك به من علم فكله إلى عالمه، لا تتكلف فإن الله يقول لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]"(٢).

وإذا اتضح هذا؛ فإنه لا يجوز أن يؤخذ نص وأن يطرح نظيره في نفس الباب، أو أن تعمل مجموعة من النصوص وتهمل الأخرى؛ لأن هذا مظنة الضلال في الفهم، والغلط في التأويل(٣)، قال الإمام أحمد رحمه الله: "الحديث إذا لم تجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا"(٤).

وقال الشاطبي رحمه الله: "ومدار الغلط في هذا الفصل إنما هو على حرف واحد، وهو الجهل بمقاصد الشرع، وعدم ضم أطرافه بعضها لبعض، فإن مأخذ الأدلة عند الأئمة الراسخين، إنما هو على أن تؤخذ الشريعة كالصورة الواحدة، بحسب ما ثبت من كلياتها وجزئياتها المرتبة عليها.."(٥).

ومما يلتحق بهذا المعنى جمع روايات الحديث الواحد والنظر في أسانيده وألفاظه معًا وقبول ما ثبت، وطرح مالم يثبت، وكما قيل: والحديث اذا لم تجمع طرقه لم تتبين علله، ثم النظر في الحديث بطوله وفي الروايات مجتمعة.

---

(١) تفسير الطبري (١٨٦/٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٣٣٦/٢).

(٣) انظر: مفاتيح للفقه في الدين للشيخ مصطفى العدوي، ص١٠ فما بعدها.

(٤) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢١٢/٢).

(٥) الموافقات للشاطبي (٢٤٥/١، ٢٤٦).

وقد كانت لأهل البدع مواقف خالفوا بها إجماع أهل السنة بسبب مخالفتهم لهذا الأصل العظيم، فكانوا يجتزئون من النصوص بطرف، مع إغضاء الطرف عن بقية الأطراف، فصارت كل فرقة منهم من الدين بطرف، وبقي أهل السنة في كل قضية عقدية وسطًا بين طرفين، فهم -مثلاً- وسط في باب الوعيد بين غلاة المرجئة القائلين بأنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وبين الوعيدية من الخوارج والمعتزلة القائلين بتخليد عصاة الموحدين في النار، كما أنهم وسط في باب أسماء الإيمان والدين بين المرجئة القائلين بأن مرتكب الكبيرة كامل الإيمان، وبين الوعيدية القائلين بتكفيره -كما هو عند الخوارج- أو بجعله بمنـزلة بين المنـزلتين -كما هو عند المعتزلة-، وهم وسط في باب القدر بين القدرية النفاة لمشيئته تعالى وخلقه أفعال العباد، وبين الجبرية النفاة لقدرة العبد واختياره ومشيئته ونسبة فعله إليه حقيقة، والقاعدة الهادية عند اشتباه الأدلة: "أن من رد ما اشتبه إلى الواضح منها، وحكَّم محكمها على متشابهها عنده، فقد اهتدى، ومن عكس انعكس"[(١)].

واتفق لأهل السنة والجماعة "موافقة طريقة السلف من الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث والفقه في الدين، كالإمام أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، وإسحاق، وغيرهم، وهي رد المتشابه إلى المحكم، وأنهم يأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضًا، ويصدق بعضها بعضًا، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره"[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير بتصرف يسير (٣٤٥/١).

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٢٩٤/٢).

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١، ٤٢].

وقد حكى الباقلاني الإجماع على منع التعارض بين الأدلة الشرعية في نفس الأمر مطلقًا، كما روى الخطيب البغدادي عنه ذلك فقال: "يقول الباقلاني: وكل خبرين علم أن النبي ﷺ تكلم بهما، فلا يصح دخول التعارض فيهما على وجه، وإن كان ظاهرهما متعارضين؛ لأن معنى التعارض بين الخبرين والقرآن من أمر ونهي وغير ذلك، أن يكون موجب أحدهما منافيًا لموجب الآخر، وذلك يبطل التكليف إن كانا أمرًا ونهيًا، وإباحة وحظرًا، أو يوجب كون أحدهما صدقًا والآخر كذبًا إن كانا خبرين، والنبي ﷺ منــزه عن ذلك أجمع، ومعصوم منه باتفاق الأمة، وكل مثبت للنبوة"[(١)].

- ولما خالف أهل البدع هذه القاعدة كفَّر بعضهم بعضًا، حيث آمن بعضهم بنصوص وكفروا بأخرى، فقد آمن -مثلاً- الوعيدية: من الخوارج والمعتزلة بنصوص الوعيد[(٢)]، وكفروا بنصوص الوعد، وقابلهم المرجئة فآمنوا

---

(١) الكفاية للخطيب البغدادي ص٤٣٣.

(٢) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٨١] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] وقوله ﷺ: "لا يدخل الجنة قتات" يعني نمام، متفق عليه، وقوله "لايدخل الجنة قاطع، يعني قاطع رحم" متفق عليه.

بنصوص الوعد[١] وكفروا بنصوص الوعيد، وأهل السنة والجماعة آمنوا بكل وجمعوا بين النصوص، واعتمدوا على قول الله تعالى: ﴿ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾ [الأعراف:١٥٦].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء:٤٨].

وكذا الجبرية آمنوا بما كفر به القدرية، وكفروا بما آمن به القدرية، والحق الإيمان بجميع النصوص، واعتقاد نفي التعارض بينها، قال تعالى: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير: ٢٨، ٢٩]، فأثبت مشيئة للإنسان مقيدة بمشيئة الرحمن.

فأتلفت -بحمد الله- النصوص واجتمعت، وزالت الشبه وارتفعت الحجب وانقلعت.

"وقد استعمل هذه القاعدة كثير من أئمة العلم والدين في كسر المبتدعة وتفنيد شبهاتهم، كصنيع الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب الرسالة، وفي كتاب مختلف الحديث، وكذلك الإمام أحمد رحمه الله في الرد على الجهمية، والإمام ابن قتيبة رحمه الله في كتاب مختلف الحديث، والطحاوي رحمه الله في مشكل الآثار، وغير هؤلاء كثير من أئمة السنة"[٢].

---

(١) ومن ذلك قوله ﷺ:"من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة" مسلم وقوله: "من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله حرمه الله على النار" مسلم.

(٢) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (٣٤٨/١).

المبحث الثالث

اشتمال الوحي على مسائل التوحيد بأدلتها

إن المصدر الذي تؤخذ منه مسائل أصول الدين هو الوحي، فكل ما يلزم الناس اعتقاده أو العمل به، قد بينه الله تعالى بالوحي الصادق عن طريق كتابه العزيز، أو بالواسطة من كلام المصطفى ﷺ، أو ما يرجع إليهما من إجماع صحيح، أو عقل صريح دل عليه النقل وأرشد إليه.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل:٨٩].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء:٩].

وفي الحديث قوله عليه الصلاة والسلام: "..**وأيم الله، لقد تركتكم على البيضاء، ليلها ونهارها سواء**"، قال أبو الدرداء: صدق رسول الله ﷺ، تركنا والله على مثل البيضاء، ليلها ونهارها سواء"(١)، وفي رواية أخرى: "**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**"(٢).

وفي صحيح مسلم لما قيل لسلمان الفارسي رضي الله عنه: "قد علَّمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة! فقال: أجل.."(٣).

ودخول مسائل التوحيد وقضاياه في هذا العموم من باب الأولى؛ بل "من المحال أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم في ربهم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٩) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقد حسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٦٨٨).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٩٢)، والدارمي (٩٥)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٤). وصححه الشيخ الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٩٣٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٢).

ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب"(١).

والرسول ﷺ بيَّن مسائل التوحيد تارة بأدلتها النقلية مباشرة كأحوال البرزخ، ومسائل اليوم الآخر، وتارة يجمع إلى الأدلة النقلية الأدلة العقلية ويرشد إليها، فإما أن تكون أدلة مسائل علم التوحيد أدلة نقلية، أو أدلة نقلية عقلية.

وبهذا الأصل المبارك اعتصم أهل السنة والجماعة، فصدروا عن الوحي في تعلم التوحيد في مسائله وأدلته، "ولم ينصبوا مقالة ويجعلوها من أصول دينهم وجمل كلامهم، إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول؛ بل يجعلون ما بعث به الرسول من الكتاب والحكمة، هو الأصل يعتقدونه ويعتمدونه"(٢).

وردوا عند التنازع في مسألة ما إلى نصوص الوحي، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء:٥٩]، ومعنى الرد إلى الله سبحانه: الرد إلى كتابه، ومعنى الرد إلى رسوله ﷺ: الرد إلى سنته بعد وفاته، وهذا مما لا خلاف فيه بين جميع المسلمين"(٣).

وفي إعمال هذه القاعدة نظر إلى الوحي بعين الكمال، واستغناء به عن غيره، واعتماد عليه، وتجنب اللوازم الباطلة لمذهب من يعوِّل على العقل أو الذوق دون الشرع، وتحقيق للإيمان بالله واتباع رسوله ﷺ، ونجاة من مسالك أهل الأهواء الذين يتقدمون بين يدي الله ورسوله بعلومهم وعقولهم وأذواقهم، وحسم لمادة التقليد الباطلة، مع تحقيق الاجتماع والألفة ونبذ الاختلاف والفرقة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٧، ٨).

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٤٧).

(٣) شرح الصدور بتحريم رفع القبور للشوكاني ص٥٩٢.

المبحث الرابع
حجية فهم الصحابة والسلف الصالح

إذا اختلف أهل القبلة وتنازعوا الحق والنجاة والفلاح في الدنيا والآخرة، فإن أجدر الفرق بالصواب وأولاها بالحق وأقربها إلى التوفيق من كان في جانب أصحاب محمد ﷺ، وإذا كان الكتاب الكريم حمال أوجه في الفهم مختلفة؛ فإن بيان أصحاب نبينا ﷺ له حجة وأمارة على الفهم الصحيح. أبر الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأصحها فطرة، وأحسنها سريرة، وأصرحها برهانًا، حضروا التنـــزيل وعلموا أسبابه، وفهموا مقاصد الرسول ﷺ وأدركوا مراده، اختارهم الله تعالى -على علم- على العالمين سوى الأنبياء والمرسلين، "فكل من له لسان صدق من مشهور بعلم أو دين، معترف بأن خير هذه الأمة هم الصحابة رضي الله عنهم"(١).

"فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم، فرضي عنهم، وأنزل السكينة عليهم، فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم، أو الشك فيهم البتة"(٢).

قال قتادة رحمه الله -في قوله تعالى: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ:٦]: "أصحاب محمد ﷺ"(٣).

وقال سفيان رحمه الله -في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النحل:٥٩]-: "هم أصحاب محمد ﷺ"(٤).

---

(١) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص١٦٥.

(٢) الفصل في الملل والنحل لابن حزم (١١٦/٤).

(٣) تفسير الطبري (٤٤/٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٧٠/٣).

وفي منـــزلة علمهم واجتهادهم وفتاواهم قال الشافعي رحمه الله: "..فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عامًّا وخاصًّا، وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من رأينا عند أنفسنا، ومن أدركنا ممن يرضى أو حكي لنا عنه ببلدنا صاروا فيما لم يعلموا لرسول الله ﷺ فيه سنة إلى قولهم إن اجتمعوا، أو قول بعضهم إن تفرقوا، وهكذا نقول، ولم نخرج عن أقاويلهم، وإن قال أحدهم ولم يخالفه غيره أخذنا بقوله"(١).

وأفضل علم السلف ما كانوا مقتدين فيه بالصحابة.

يقول ابن تيمية رحمه الله: "ولا تجد إمامًا في العلم والدين، كمالك، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، ومثل الفضيل وأبي سليمان، ومعروف الكرخي، وأمثالهم، إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة، وأفضل عملهم ما كانوا فيه مقتدين بعمل الصحابة، وهم يرون الصحابة فوقهم في جميع أبواب الفضائل والمناقب"(٢).

ثم إن التابعين وتابعيهم قد حصل لهم من العلم بمراد الله ورسوله ما هو أقرب إلى منـــزلة الصحابة ممن هم دونهم؛ وذلك لملازمتهم لهم، واشتغالهم بالقرآن حفظًا وتفسيرًا، وبالحديث رواية ودراية، ورحلاتهم في طلب الصحابة وطلب حديثهم وعلومهم مشهورة معروفة، "ومن المعلوم أن كل من كان بكلام المتبوع وأحواله وبواطن أموره وظواهرها أعلم، وهو بذلك أقوم كان

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (١/٨٠)، ونسبه إلى الشافعي في الرسالة البغدادية القديمة.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية لابن تيمية ص١٦٥

أحق بالاختصاص به، ولا ريب أن أهل الحديث أعلم الأمة وأخصها بعلم الرسول ﷺ"[١].

والمسلمون في شأن العقيدة يحتاجون إلى "معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة، بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نــزل، وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ، فإن الرسول لما خاطبهم بالكتاب والسنة، عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ، وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه، وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه، فإن المعاني العامة التي يحتاج إليها عموم المسلمين، مثل معنى التوحيد، ومعنى الواحد والأحد والإيمان والإسلام، ونحو ذلك... فلابد أن يكون الصحابة يعرفون ذلك، فإن معرفته أصل الدين"[٢].

فمذهب السلف أسلم وأعلم وأحكم، لا كما يدعيه المخالفون، باختلاف نحلهم ومذاهبهم، فتارة يقول أهل السياسة والملك: إنهم لم يمهدوا قواعد الحكم والسياسة والتدبير لانشغالهم بالعلم والعبادة، وتارة يدعي أهل التصوف أنهم ما حققوا المقامات والأحوال لانشغالهم بالجهاد والقتال وهكذا....

والحق أن "كل هؤلاء محجوبون عن معرفة مقادير السلف، وعمق علومهم، وقلّة تكلفهم، وكمال بصائرهم، وتالله ما امتاز عنهم المتأخرون إلا بالتكلف والاشتغال بالأطراف التي كانت همة القوم مراعاة أصولها، وضبط قواعدها، وشد معاقدها، وهممهم مشمرة إلى المطالب العالية في كل شيء، فالمتأخرون في شأن، والقوم في شأن آخر، وقد جعل الله لكل شيء قدرًا"[٣].

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣٥٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٩، ٢٠).

وقال ابن رجب رحمه الله: "فمن عرف قدر السلف، عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام، وكثرة الجدل والخصام، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة؛ لم يكن عيًّا، ولا جهلاً، ولا قصورًا، وإنما كان ورعًا وخشية لله، واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع"(١).

وفي تحديد مفهوم السلف، قال سبحانه: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة:١٠٠]، فالسلف اسم يجمع الصحابة فمن بعدهم ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وفي الصحيح: "**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..**"(٢).

وهذه الخيرية خيرية علم وإيمان وعمل، ولقد حكى ابن تيمية رحمه الله الإجماع على خيرية القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.. وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة(٣).

ولقد اعتصم أهل السنة والجماعة بحجية فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين فعصمهم هذا من التفرق والضلال، فقالوا بما قال به السلف، وسكتوا عما سكتوا عنه، ووسعهم ما وسع السلف.

أما أهل الضلال والابتداع، فمذهبهم الطعن في الصحابة وتنكب طريق السلف، قال الإمام أحمد رحمه الله: "إذا رأيت الرجل يذكر أحدًا من الصحابة

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ص٥٨.

(٢) صحيح البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٧/٤، ١٥٨).

بسوء، فاتهمه على الإسلام"[١].

فالصحابة يكفرهم الرافضة تارة، والخوارج أخرى، والمعتزلة يقول قائلهم وهو عمرو بن عبيد -عليه من الله ما يستحق- : "لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان، على شراك نعل ما أجزت شهادتهم!"[٢].

وصدق أبو حاتم الرازي رحمه الله حين قال: "علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر"[٣].

ورضي الله عنه أبي زرعة الرازي حيث قال : "إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديقٌ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقٌ، والقرآن حقٌ، وإنما أدَّى إلينا هذا القرآن والسُّنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليُبْطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"[٤] .

❁ ❁ ❁

(١) الصارم المسلول لابن تيمية (١٠٥٨/٣).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١١٩/١).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (١٧٩/١).

(٤) الكفاية للخطيب ص٩٧.

المبحث الخامس

الإيمان بالنصوص على ظاهرها ورد التأويل

ويقصد بظاهر النصوص مدلولها المفهوم بمقتضى الخطاب العربي، لا ما يقابل النص عند متأخري الأصوليين، والظاهر عندهم ما احتمل معنى راجحًا وآخر مرجوحًا، والنص هو ما لا يحتمل إلا معنى واحدًا، "فلفظة الظاهر قد صارت مشتركة، فإن الظاهر في الفطر السليمة، واللسان العربي، والدين القيم، ولسان السلف، غير الظاهر في عرف كثير من المتأخرين"(١)، فالواجب في نصوص الوحي إجراؤها على ظاهرها المتبادر من كلام المتكلم، واعتقاد أن هذا المعنى هو مراد المتكلم، ونفيه يكون تكذيبًا للمتكلم، أو اتهامًا له بالعيّ وعدم القدرة على البيان عما في نفسه، أو اتهامًا له بالغبن والتدليس وعدم النصح للمكلف، وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى وحق رسوله الأمين ﷺ.

ومراد المتكلم يُعلم إما باستعماله اللفظ الذي يدل بوضعه على المعنى المراد مع تخلية السياق عن أية قرينة تصرفه عن دلالته الظاهرة، أو بأن يصرِّح بإرادة المعنى المطلوب بيانه، أو أن يحتف بكلامه من القرائن التي تدل على مراده، وعلى هذا فصرف الكلام عن ظاهره المتبادر -من غير دليل يوجبه أو يبين مراد المتكلم- تحكم غير مقبول سببه الجهل أو الهوى، وهذا وإن سماه المتأخرون تأويلاً إلا أنه أقرب إلى التحريف منه إلى التأويل(٢)، ولا يسلم لهذا المتأول تأويله حتى يجيب على أمور أربعة:

أحدها: أن يبين احتمال اللفظ لذلك المعنى الذي أورده من جهة اللغة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٣/١٧٥).

(٢) التأويل: هو نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ. لسان العرب لابن منظور (١/٢٦٤).

الثاني: أن يبيِّن وجه تعيينه لهذا المعنى أنه المراد.

الثالث: أن يقيم الدليل الصارف للفظ عن حقيقته وظاهره؛ لأن الأصل عدمه، قال ابن الوزير رحمه الله: "من النقص في الدين رد النصوص والظواهر، ورد حقائقها إلى المجاز من غير طريق قاطعة تدل على ثبوت الموجب للتأويل.."(١).

الرابع: أن يبيِّن سلامة الدليل الصارف عن المعارض، إذ دليل إرادة الحقيقة والظاهر قائم، وهو إما قطعي، وإما ظاهر، فإن كان قطعيًّا لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهرًا فلابد من الترجيح(٢).

ومما يدل على إعمال الظواهر أنه لا يتم بلاغ ولا يكمل إنذار، ولا تقوم الحجة ولا تنقطع المعذرة بكلام لا تفيد ألفاظه اليقين، ولا تدل على مراد المتكلم بها؛ بل على خلاف ذلك، فينتفي عن القرآن -والعياذ بالله- معنى الهداية، وشفاء الصدور، والرحمة، التي وصف الله تعالى بها كتابه الكريم، ومعاني الرأفة والرحمة والحرص على رفع العنت والمشقة عن الأمة، التي وصف الله تعالى بها نبيه ﷺ في كتابه العزيز، وهو الذي ترك الأمة على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فلا التباس في أمره ونهيه، ولا إلغاز في إرشاده وخبره، باطنه وظاهره سواء،كيف لا، وهو القائل: "**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم..**"(٣).

ودلالته ﷺ للأمة في شأن اعتقادها أهم أعماله، وأولاها بالإيضاح والإفهام بلسان عربي مبين، والجزم واقع بأن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم فهموها على وجهها الذي يفهمه العربي، بغير تكلف ولا تمحل في صرف

---

(١) إيثار الحق لابن الوزير ص١٢٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٦٠/٦-٣٦٢)، والصواعق المرسلة لابن القيم (٢٨٨/١-٢٩٠)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١٠٠٩/٤).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

ظواهرها، ومن كان باللسان العربي أعرف ففهمه لنصوص الوحي أرسخ، وقد قال عمر ﷺ: "يا أيها الناس، عليكم بديوان شعركم في الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم"(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: "لم يكن في الصحابة من تأول شيئًا من نصوصه -أي نصوص الوحي- على خلاف ما دل عليه، لا فيما أخبر به الله عن أسمائه وصفاته، ولا فيما أخبر به عما بعد الموت.."(٢).

وفي إنكار التأويل الكلامي ومناهج الفلاسفة ومن تأثر بهم من المتكلمين، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وقد توسع من تأخر عن القرون الثلاثة الفاضلة في غالب الأمور التي أنكرها أئمة التابعين وأتباعهم، ولم يقتنعوا بذلك حتى مزجوا مسائل الديانة بكلام اليونان، وجعلوا كلام الفلاسفة أصلاً يردون إليه ما خالفه من الآثار بالتأويل ــ ولو كان مستكرهًا ــ ثم لم يكتفوا بذلك حتى زعموا أن الذي رتبوه هو أشرف العلوم، وأولاها بالتحصيل، وأن من لم يستعمل ما اصطلحوا عليه فهو عامي جاهل، فالسعيد من تمسك بما كان عليه السلف، واجتنب ما أحدثه الخلف"(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله مبينًا خطورة التأويل "فأصل خراب الدين والدنيا، إنما هو من التأويل الذي لم يرده الله ورسوله بكلامه، ولا دل عليه أنه مراده، وهل اختلفت الأمم على أنبيائهم إلا بالتأويل وهل وقعت في الأمة فتنة كبيرة أو صغيرة إلا بالتأويل، وهل أريقت دماء المسلمين في الفتن إلا بالتأويل، وليس هذا مختصًا بدين الإسلام فقط؛ بل سائر أديان الرسل لم تزل على الاستقامة والسداد حتى دخلها التأويل، فدخل عليها من الفساد ما لا يعلمه إلا

---

(١) الموافقات للشاطبي (٢/٨٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٥٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٦٧).

رب العباد"[١].

ففي لزوم الإيمان بالنصوص على ظاهرها ودفع التأويل المتعسف بغير دليل موافقة لنصوص الكتاب والسنة لفظًا ومعنى، مع بعد عن التكلف في الدين، والقول على الله بغير علم، والافتراء على رسوله الأمين، فضلاً عن ما في ذلك من مصلحة سد باب الخروج على العقيدة ببدعة محدثة، وسد باب الخروج على الشريعة، والاجتراء على الحرمات، والتهاون بالطاعات والوقوع في المنكرات، بصرف ألفاظ الوعد والوعيد عن حقيقتها وظاهرها، ودعوى أن كل ذلك غير مراد.

"وهذه القاعدة تفيد بطلان مذهب المفوضة في الصفات، الذين يفوضون معاني النصوص إلى الله، مدعين أن هذا هو مذهب السلف، وقد علم براءة مذهب السلف من هذا المذهب بتواتر الأخبار عنهم بإثبات معاني هذه النصوص على الإجمال والتفصيل، وإنما فوضوا العلم بكيفيتها لا العلم بمعانيها"[٢].

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الصحابة والتابعين لم يمتنع أحد منهم عن تفسير آية من كتاب الله، ولا قال هذه من المتشابه الذي لا يعلم معناه، ولا قال قط أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة المتبوعين: إن في القرآن آيات لا يعلم معناها، ولا يفهمها رسول الله ﷺ، ولا أهل العلم والإيمان جميعهم، وإنما قد ينفون علم بعض ذلك عن بعض الناس، وهذا لا ريب فيه"[٣].

بل كان قول أهل العلم: من الله البيان، وعلى رسوله البلاغ، وعلينا التسليم.

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٤/ ٢١٦).

(٢) القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين ص٣٥.

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٥).

ومما يشهد للصحابة في فهمهم مراد الله ومراد نبيه ﷺ، والأخذ بظواهر النصوص، وتفسيرها بما يظهر منها: قول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه"(١).

وقال مسروق رحمه الله: "كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها ويفسرها عامة النهار"(٢)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "نعم ترجمان القرآن ابن عباس"(٣).

وقال مجاهد رحمه الله: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات، من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"(٤).

فلم يتوقف الصحابة عن تفسير النصوص والأخذ بظواهرها؛ ويستثنى من ذلك النصوص الخاصة بصفات الله تعالى، فقد أخذوا بظواهرها فأثبتوها دون تفسير أو تكييف لمعناها.

قال الذهبي: "قال سفيان(٥) وغيره: قراءتها -أي آيات الصفات- تفسيرها، يعني أنها بينة واضحة في اللغة، لا يبتغى بها مضايق التأويل والتحريف"(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٠٢)، ومسلم (٢٤٦٣ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) تفسير الطبري (١/٣٦).

(٣) المرجع السابق (١/٤٠).

(٤) المرجع السابق (١/٣٦).

(٥) وهو الإمام سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى، روى ذلك عنه اللالكائي في اعتقاد أهل السنة (٣/٤٣١)، والدارقطني في الصفات ص٤١، ٤٢، وانظر: الاعتقاد للبيهقي ص١١٨، واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم (١/١١٤، ١١٥).

(٦) العلو للذهبي ص٢٥١

المبحث السادس

درء التعارض بين صحيح النقل وصريح العقل

مما ينبغي اعتقاده أن نصوص الكتاب والسنة الصحيحة والصريحة في دلالتها، لا يعارضها شيء من المعقولات الصريحة، ذلك أن العقل شاهد بصحة الشريعة إجمالا وتفصيلا، فأما الإجمال، فمن جهة شهادة العقل بصحة النبوة وصدق الرسول ﷺ، فيلزم من ذلك تصديقه في كل ما يخبر به من الكتاب والحكمة.

وأما التفصيل، فمسائل الشريعة ليس فيها ما يرده العقل؛ بل كل ما أدركه العقل من مسائلها فهو يشهد له بالصحة تصديقًا وتعضيدًا، وما قصر العقل عن إدراكه من مسائلها، فهذا لعظم الشريعة، وتفوقها، ومع ذلك فليس في العقل ما يمنع وقوع تلك المسائل التي عجز العقل عن إدراكها، فالشريعة قد تأتي بما يحير العقول لا بما تحيله العقول.

فإن وجد ما يوهم التعارض بين العقل والنقل، فإما أن يكون النقل غير صحيح أو يكون صحيحًا ليس فيه دلالة صحيحة على المدعى، وإما أن يكون العقل فاسدًا بفساد مقدماته.

فمن احتج -مثلاً- في إنكار الصفات الإلهية بأن لازم ذلك إثبات آلهة مع الله، فقد احتج بعقل غير صحيح؛ بل لا يجوز تسمية ذلك عقلاً أصلاً؛ إذ لا يجوز في العقل وجود موجود مجرد عن الصفات؛ بل هو من أعظم الممتنعات العقلية؛ لأنه يستلزم رفع النقيضين، حيث يقال: هو موجود ولا موجود، ولا يقال هذا في حق المخلوق، فلا يستلزم إثبات المخلوق متصفًا بصفات السمع والبصر والكلام والحياة أن يتعدد المخلوق، بحيث تكون كل صفة منها إنسانًا قائمًا بنفسه، وهذا معلوم البطلان في حق المخلوق، وبطلانه في حق الخالق أظهر

وأولي فهذا عقل فاسد لا يقاوم النقل الصحيح الصريح من آيات الصفات وأحاديثها.

وقد يكون النقل مكذوبًا والعقل صحيحًا، كما في حديث يروى عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: "قيل يا رسول الله: مم ربنا؟ قال: من ماء مرور، لا من أرض، ولا من سماء، خلق خيلاً فأجراها فعرقت، فخلق نفسه من ذلك العرق..."[(١)].

ففي هذا الكذب وأمثاله لا يقال إنه يعارض دليل العقل، فلا يصلح أن يكون دليلا فضلا عن أن ينسب إلى الشرع ليعارض به العقل، علاوة على أن الأدلة الشرعية تنقضه وتبطله.

وقد يكون النقل صحيحًا، إلا أنه لا يدل على المعنى المدعى، فيتوهم التعارض بين المنقول والمعقول، كما في حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: "**إن الله ﷻ يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني**... الحديث"[(٢)].

فمن فهم من الحديث أن الله تعالى يمرض أو يجوع ويعطش لم يفهم معنى الحديث لأن الحديث فسره المتكلم به، وبين المراد منه، وهو أن العبد هو الذي جاع وعطش ومرض، وأن الله تعالى منـــزه عن ذلك.

"والمقصود هو بيان أنه إذا ظهر تعارض بين الدليلين النقلي والعقلي، فلابد من أحد ثلاثة احتمالات:

الأول: أن يكون أحد الدليلين قطعيًا والآخر ظنيًا، فيجب تقديم القطعي نقليًا كان أم عقليًا، وإن كانا ظنيين فالواجب تقديم الراجح، عقليًا كان أم نقليًا.

---

(١) تنـــزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة لأبي حسن الكناني (١/ ١٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٦٩).

الثاني: أن يكون أحد الدليلين فاسدًا، فالواجب تقديم الدليل الصحيح على الفاسد سواء أكان نقليًا أم عقليًا.

الثالث: أن يكون أحد الدليلين صريحًا والآخر ليس بذاك، فهنا يجب تقديم الدلالة الصريحة على الدلالة الخفية، لكن قد يخفي من وجوه الدلالات عند بعض الناس ما قد يكون بينًا وواضحًا عند البعض الآخر، فلا تعارض في نفس الأمر عندئذٍ.

أما أن يكون الدليلان قطعيين -سندًا ومتنًا- ثم يتعارضان، فهذا لا يكون أبدًا، لا بين نقليين، ولا بين عقليين، ولا بين نقلي وعقلي"(١).

وخلاصة اعتقاد أهل السنة في هذا الباب "أن الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل، وأن صريح المعقول لا يناقض صحيح المنقول، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه، وما يدخل في العقل وليس منه"(٢).

وقد أعمل الصحابة رضي الله عنهم هذا الأصل، وتلقاه عنهم التابعون، وتواترت عبارات أهل العلم بهذا المعنى.

قال ابن تيمية رحمه الله: "فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات، والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم"(٣).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: "كل شيء خالف أمر رسول الله ﷺ سقط،

---

(١) منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن (١/٣٦٦).

(٢) درء التعارض لابن تيمية (١/٢٣١، ٢٣٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨).

ولا يقوم معه رأي ولا قياس، فإن الله تعالى قطع العذر بقول رسول الله ﷺ، فليس لأحد معه أمر ولا نهي غير ما أمر هو به"(١).

وقال الإمام مالك رحمه الله: "أوكلما جاء رجل أجدل من الآخر، رد ما أنزل جبريل على محمد ﷺ"(٢).

ومن ثمرات الالتزام بهذه القاعدة، إثبات عصمة الشرع الحكيم إذ ليس فيه ما يخالف العقل الصحيح، وسد باب التأويل والتفويض، واستقامة الحياة على الوجه الأتم الأكمل عند نفي التعارض بين وحي الله تعالى وخلقه، فتنعم البشرية بهدي الله وشرعه وتنتفع بما أنعم على خلقه.

---

(١) الأم للشافعي (٢/١٩٣).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنه للالكائي (١/ ١٤٤).

المبحث السابع
موافقة النصوص لفظًا ومعنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللفظ

لاشك أن متابعة الكتاب والسنة في اللفظ والمعنى أكمل وأتم من متابعتهما في المعنى دون اللفظ، ويكون ذلك باعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "الأحسن في هذا الباب مراعاة ألفاظ النصوص، فيثبت ما أثبته الله ورسوله باللفظ الذي أثبته، وينفي ما نفاه الله ورسوله كما نفاه"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله: "إن النبي ﷺ كان يحافظ على ألفاظ القرآن تقديمًا وتأخيرًا، وتعريفًا وتنكيرًا كما يحافظ على معانيه، ومنه قوله وقد بدأ بالصفا: "**أبدأ بما بدأ الله به**"(٢)، ومنه بداءته في الوضوء بالوجه ثم اليدين اتباعًا للفظ القرآن(٣) ومنه قوله في حديث البراء ابن عازب:"آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت"(٤) موافقة لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ ﴾ [الأحزاب:٤٥](٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٦/٤٢٣).

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) قال تعالي ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾ [المائدة:٦]

(٤) عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ: علمه ما يقول إذا أوى إلى فراشه، فكان مما علمه أن يقول: "**اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت**" قال البراء: فردَّدها على النبي ﷺ فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت، قلت: ورسولك، قال:"**لا، ونبيك الذي أرسلت**". رواه البخاري (٢٤٧، ٦٣١١)، ومسلم (٢٧١٠).

(٥) بدائع الفوائد لابن القيم (٤/٩١٢-٩١٣)

ولهذا منع جمع من العلماء نقل حديث الرسول ﷺ بالمعنى، ومن أجازه اشترط أن يكون الناقل عالمًا بما يحيل المعنى من اللفظ، مدركًا لأساليب العرب حتى يستبين الفروق، وأما شأن العقيدة خاصة فهو أعظم وأخطر؛ لذا كان هدي أهل السنة والسلف مراعاة الألفاظ ومعانيها معًا.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "إن السلف كانوا يراعون لفظ القرآن والحديث فيما يثبتونه وينفونه في الله وصفاته وأفعاله، فلا يأتون بلفظ محدث مبتدع في النفي والإثبات؛ بل كل معنى صحيح فإنه داخل فيما أخبر به الرسول"(١)

وقال رحمه الله: "والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من التعبير عنها بغيرها، فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها، وهي تنـــزيل من حكيم حميد، والأمة متفقة عليها، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه.

والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع، ثم قد يجعل اللفظ حجة بمجرده وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق وقد يضطرب في معناه، وهذا أمر يعرفه من جربه من كلام الناس، فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]. ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث وبين معناه بيانًا شافيًا فإنها تنتظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل كما قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر:٩] وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]

---

(١) مجموع الفتاوى (٤٣٢/٥).

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١] وقال: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يونس:١]، وفيه من دلائل الربوبية والنبوة والمعاد ما لا يوجد في كلام أحد من العباد، ففيه أصول الدين المفيدة لليقين، وهي أصول دين الله ورسوله لا أصول دين محدث ورأي مبتدع"[١].

والألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة إما أن تكون اصطلاحات متعينة للدلالة على الحق ولا تستعمل في غير هذا، فليزم استعمالها فيما اصطلح عليه من المعاني الصحيحة، وهكذا الأمر فيما استعمله السلف الصالح من الألفاظ الشرعية.

وإما ألا تتعين للدلالة على الحق، بل تكون مجملة تحتمل حقًا وباطلاً، فإذا عرف مراد صاحبها وكان موافقًا للمعنى الصحيح، قُبل منه المعنى، ومنع من التكلم باللفظ المجمل، وعُلِّم الألفاظ الشرعية في ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "وما تنازع فيه المتأخرون نفيًا وإثباتًا، فليس على أحد؛ بل ولا له أن يوافق أحدًا على إثبات لفظ أو نفيه حتى يعرف مراده، فإن أراد به حقًا قبل، وإن أراد به باطلًا رد، وإن اشتمل كلامه على حق وباطل لم يقبل مطلقًا ولم يُرد جميع معناه؛ بل يوقف اللفظ ويفسر المعنى، كما تنازع الناس في الجهة والتحيز وغير ذلك"[٢].

وقال رحمه الله في موضع آخر: "وأما الألفاظ التي ليست في الكتاب والسنة ولا اتفق السلف على نفيها أو إثباتها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول أنكره، ثم التعبير عن تلك المعاني إن

---

(١) النبوات لابن تيمية ص٢٣٥، ٢٣٦.

(٢) التدمرية لابن تيمية بتحقيق محمد السعوي ص٦٥، ٦٦.

كان في ألفاظه اشتباه أو إجمال عبر بغيرها، أو بين مراده بها بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرع"[١].

وقال ابن أبي العز رحمه الله: "والألفاظ التي ورد بها النص يعتصم بها في الإثبات والنفي، فنثبت ما أثبته الله ورسوله من الألفاظ والمعاني، وننفي ما نفته نصوصهما من الألفاظ والمعاني. وأما الألفاظ التي لم يرد نفيها ولا إثباتها فلا تطلق حتى ينظر في مقصود قائلها، فإن كان معنى صحيحًا قبل، لكن ينبغي التعبير عنه بألفاظ النصوص دون الألفاظ المجملة إلا عند الحاجة مع قرائن تبين المراد، والحاجة مثل أن يكون الخطاب مع من لا يتم المقصود معه إن لم يخاطب بها[٢] ونحو ذلك"[٣].

وإنما توجه القول بمنع استعمال هذه الألفاظ المحتملة سدًا لباب التلبيس الذي قد يدخل منه أهل البدع على عامة الناس، فيروجوا بضاعتهم الفاسدة.

قال الإمام أحمد رحمه الله في مقدمة كتاب في الرد على الجهمية: "يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من الفتن"[٤].

قال شيخ الإسلام رحمه الله معلقًا على كلام الإمام أحمد: "والمقصود هنا قوله: يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم. وهذا الكلام المتشابه الذي يخدعون به جهال الناس هو الذي يتضمن الألفاظ المتشابهة المجملة التي يعارضون بها نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ تكون

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١١٤).

(٢) وذلك مثل مخاطبة أهل الكلام والفلسفة في أبواب البحث والمناظرة لإقامة الحجة عليهم بما التزموه من أصول.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٣٩).

(٤) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٦.

موجودة مستعملة في الكتاب والسنة وكلام الناس لكن بمعان أخر غير المعاني التي قصدوها هم بها، فيقصدون هم بها معان أخر فيحصل الاشتباه والإجمال، كلفظ العقل والعاقل والمعقول، فإن لفظ العقل في لغة المسلمين إنما يدل على عرض إما مسمى مصدر عقل يعقل عقلاً، وإما قوة يكون بها العقل وهي الغريزة، وهم يريدون بذلك جوهرًا مجردًا قائمًا بنفسه، وكذلك لفظ المادة والصورة، بل وكذلك لفظ الجوهر، والعرض، والجسم، والتحيز، والجهة، والتركيب، والجزء، والافتقار، والعلة، والمعلول، والعاشق، والعشق، والمعشوق، بل ولفظ الواحد في التوحيد، بل ولفظ الحدوث والقدم، بل ولفظ الواجب والممكن، بل ولفظ الوجود والموجود والذات، وغير ذلك من الألفاظ "(١).

وقال رحمه الله: "هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفًا طويلاً بنوا بعضه على بعض، وعظموا قولهم وهولوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضًا لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وخاطبوه بما تنفر عنه فطرته فأخذ يعترض عليهم، قالوا له: أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل"(٢).

وقال رحمه الله: "فعامة ما يلبس به هؤلاء النفاة -أي نفاة الصفات- ألفاظ مجملة متشابهة، إذا فسرت معانيها وفصل بين ما هو حق منها وبين ما هو

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (١/٢٢٢).

(٢) المصدر السابق (١/٢٩٥).

باطل زالت الشبهة، وتبين أن الحق الذي لا محيد عنه هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات"(١).

وكذا فإن منع استعمال هذه الألفاظ المحتملة قطع لما تفضي إليه من التنازع والاختلاف في الأمة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فإن كثيرًا من نزاع الناس سببه ألفاظ مجملة مبتدعة ومعان مشتبهة، حتى تجد الرجلين يتخاصمان ويتعاديان على إطلاق ألفاظ ونفيها، ولو سئل كل منهما عن معنى ما قاله لم يتصوره فضلاً عن أن يعرف دليله، ولو عرف دليله لم يلزم أن من خالفه يكون مخطئًا؛ بل يكون في قوله نوع من الصواب، وقد يكون هذا مصيبًا من وجه وهذا مصيبًا من وجه، وقد يكون الصواب في قول ثالث. وكثير من الكتب المصنفة في أصول علوم الدين وغيرها، تجد الرجل المصنف فيها في المسألة العظيمة كمسألة القرآن والرؤية والصفات والمعاد وحدوث العالم وغير ذلك، يذكر أقوالاً متعددة، والقول الذي جاء به الرسول وكان عليه سلف الأمة ليس في تلك الكتب؛ بل ولا عرفه مصنفوها ولا شعروا به، وهذا من أسباب توكيد التفريق والاختلاف بين الأمة، وهو مما نهيت الأمة عنه كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥، ١٠٦]، قال ابن عباس: "تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة"(٢).

---

(١) المصدر السابق (٤/٢٢٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/١١٤، ١١٥).

المبحث الثامن

الكف عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف

كل مسألة من المسائل الشرعية -ولا سيما مسائل الاعتقاد- لا يحكم فيها، نفيا أو إثباتا إلا بدليل، فما ورد الدليل بإثباته أثبت، وما ورد بنفيه نُفي، وما لم يرد بإثباته ولا بنفيه دليل توقفنا، و لم نحكم فيه بشيء؛ لا إثباتا ولا نفيا، ولا يعني هذا أن المسألة خلية عن الدليل، بل قد يكون عليها دليل، لكن لا نعلمه، فالواجب التوقف: إما مطلقا أو لحين وجدان الدليل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ما لم يرد به الخبر إن علم انتفاؤه نفيناه وإلا سكتنا عنه فلا نثبت إلا بعلم ولا ننفي إلا بعلم...فالأقسام ثلاثة: ما علم ثبوته أثبت، وما علم انتفاؤه نفي، وما لم يعلم نفيه ولا إثباته سكت عنه، هذا هو الواجب، والسكوت عن الشيء غير الجزم بنفيه أو ثبوته"(١).

وقد وردت كثير من نصوص الكتاب والسنة، وأقوال الصحابة والتابعين وأئمة السلف وأهل السنة بالأمر بالكف عما لم يرد في الشرع، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف، وترك الخوض فيما لا علم للإنسان به من دليل أو أثر.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء:٣٦] قال قتادة: "لا تقل رأيت و لم تر، وسمعت و لم تسمع، وعلمت و لم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله"(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) المصدر السابق (١٦/٤٣١، ٤٣٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/٢٧).

قال: **"ذروني ما تركتكم؛ فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"**(١).

وقال ﷺ: **"إن الله ﷻ فرض فرائض فلا تضيعوها، وحرم حرمات فلا تنتهكوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وسكت عن أشياء من غير نسيان، فلا تبحثوا عنها"**(٢).

وقال ابن مسعود ﷺ: "من عَلِمَ فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم؛ فإن الله قال لنبيه ﷺ: ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص:٨٦] الحديث(٣).

وترجم الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الاعتصام من "صحيحه": "باب: ما يُكرهُ من كثرة السؤال، ومنْ تَكلَّف ما لا يَعْنِيه، وقوله تعالى: ﴿ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة:١٠١]"، و"باب: ما يُذْكرُ من ذمِّ الرأي وتَكلُّفِ القياس ﴿ وَلَا تَقْفُ ﴾ لا تقل ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦]"(٤).

وسأل رجل أبا حنيفة رحمه الله: ما تقول فيما أحدثه الناس في الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: "مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريق السلف، وإياك وكل محدثة فإنها بدعة"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

(٢) رواه الدارقطني في سننه (٤٢)، والحاكم في المستدرك (٧١١٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/١٢)، وذكره ابن كثير في تفسيره (١/٢٧٨) وصححه.

(٣) رواه البخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٤) صحيح البخاري (٦/٢٦٥٨).

(٥) دم الكلام للهروي (١٣/٣٣٣).

وروى اللالكائي بسنده عن أبي إسحاق قال: سألت الأوزاعي فقال: "اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكف عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح؛ فإنه يسعك ما وسعهم"(١).

وقال إبراهيم النخعي: "بلغنى عنهم -يعنى الصحابة- أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرا ما جاوزته به، وكفى على قوم وزرا أن تخالف أعمالهم أعمال أصحاب نبيهم صلى الله عليه وسلم"(٢).

وقال الشعبي: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها لك بالقول". وقال أيضا: "ما حدثوك به عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فخذه وما حدثوك به عن رأيهم فانبذه في الحش"(٣).

وقال ابن عبد الهادي رحمه الله: "ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف، ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا، وضلوا عنه، واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر"(٤).

وقال ابن رجب رحمه الله: "فالعلم النافع من هذه العلوم كلها: ضبط نصوص الكتاب والسنة، وفهم معانيها، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام، والزهد والرقائق، والمعارف، وغير ذلك، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً، ثم الاجتهاد على الوقوف على معانيه وتفهّمه ثانيًا، وفي ذلك كفاية لمن عقل، وشغل لمن بالعلم النافع عُني واشتغل"(٥).

---

(١) المصدر السابق (٣١٥).

(٢) إعلام الموقعين (١٥١/٤).

(٣) المصدر السابق (١٥٢/٤).

(٤) الصارم المنكي، لابن عبد الهادي ص٤٢٧.

(٥) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب ص١٥٠.

الملاحق

١- فهرس تفصيلي لمسائل العقيدة.

٢- تعريف ببعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة.

الملحق الأول

فهرس تفصيلي لمسائل العقيدة عند أهل السنة والجماعة

المبادئ والمقدمات

تنتظم فهرسة المبادئ والمقدمات في خمسة أبواب، كالتالي:

الباب الأول : مبادئ علم التوحيد.

الباب الثاني: قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد.

الباب الثالث: موقف أهل السنة من المناهج المختلفة.

الباب الرابع: قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم.

الباب الخامس: نتائج الالتزام بمنهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث وقد حذفت المطالب في بعض المواطن طلبًا للاختصار.

الباب الأول

مبادئ علم التوحيد

الفصل الرابع: حكم علم التوحيد:

المبحث الأول : فرض العين.

المبحث الثاني: فرض الكفاية.

الفصل الخامس: فضل علم التوحيد:

المبحث الأول : فضله من جهة موضوعه.

المبحث الثاني: فضله من جهة معلومه.

المبحث الثالث: فضله من جهة الحاجة إليه في الدنيا والآخرة.

الفصل السادس: استمداد علم التوحيد:

المبحث الأول : القرآن الكريم.

المبحث الثاني: السنة.

المبحث الثالث: الإجماع.

المبحث الرابع: العقل الصريح.

المبحث الخامس: الفطرة السوية.

الفصل السابع: نسبة علم التوحيد:

الفصل الثامن: واضع علم التوحيد:

المبحث الأول : طور الرواية قبل التدوين.

المبحث الثاني: طور التدوين والاستقرار.

الفصل التاسع: غاية علم التوحيد وفائدته وثمرته:

المبحث الأول : بالنسبة للمكلَّف

المبحث الثاني: بالنسبة للعلم نفسه، وعلوم الإسلام.

الفصل العاشر: مسائل علم التوحيد:

الباب الثاني

قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد

الباب الثالث

موقف أهل السنة من المناهج المخالفة

الباب الرابع

قواعد في الرد على المخالفين ودحض شبهاتهم

الكتاب الأول

حقيقة الإيمان عند أهل السنة ومخالفيهم

تنتظم فهرسة حقيقة الإيمان ومسائله في سبعة أبواب كالتالي:

الباب الأول : حقيقة الإيمان وبيان الخلاف في مسماه.

الباب الثاني: زيادة الإيمان ونقصانه.

الباب الثالث: درجات الإيمان ومراتبه.

الباب الرابع: نفي الإيمان وأثر المعصية فيه.

الباب الخامس: العلاقة بين الإيمان والإسلام.

الباب السادس: الاستثناء في الإيمان.

الباب السابع: مسائل متفرقة.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:

الباب الأول

حقيقة الإيمان وبيان الخلاف في مسماه

الباب الثالث

درجات الإيمان ومراتبه

المطلب الثاني: الكبائر

- تعريفها، الفرق بينها وبين الصغائر.

المطلب الثالث: حكم أهل الكبائر (الفاسق الملّي):

أولاً: عند أهل السنة:

- لا يكفر المؤمن بفعل الكبائر إلا إذا استحلها.
- أصحاب الكبائر لا يخلدون في النار، وهم تحت المشيئة.
- أهل الكبائر يستحقون الشفاعة.
- أسباب تخلف الوعيد، وتكفير السيئات.

ثانيًا: عند الفرق المخالفة:

- الوعيدية من الخوارج والمعتزلة، والرد عليهم.
- المرجئة والرد عليهم.

الفصل الثاني: حال من يجتمع فيه أصل الإيمان وشعب كفر، أو أصل الإيمان وشعب نفاق:

المبحث الأول : الأدلة على اجتماع كفر وإيمان في قلب العبد.

المبحث الثاني: لا يجتمع في قلب العبد أصل الإيمان وأصل الكفر، وإنما أصل أحدهما وشعب من الآخر.

المبحث الثالث: حكم من يجتمع فيه إيمان وكفر.

المبحث الرابع: إنكار الطوائف المخالفة لاجتماع إيمان وكفر في قلب العبد.

الباب الخامس

العلاقة بين الإيمان والإسلام

الفصل الأول : أصل الإيمان والإسلام في لغة العرب وفي الاصطلاح الشرعي

المبحث الثالث: ما بينها من علاقة عموم وخصوص:

المطلب الأول: من جهة أهلها.

المطلب الثاني: من جهة ذاهّا.

الباب السادس

الاستثناء في الإيمان

الفصل الأول : المقصود من الاستثناء في الإيمان.

الفصل الثاني: الأقوال في هذه المسألة:

المبحث الأول : الموجبون للاستثناء:

مأخذ الفرق التي توجبه:

المطلب الأول: باعتبار الموافاة.

المطلب الثاني: امتناع فعل كل المأمورات وترك كل المنهيات.

المبحث الثاني: المحرمون للاستثناء:

مأخذ الفرق التي تحرمه:

- قولهم: الاستثناء يقتضي الشك في الإيمان

المبحث الثالث: المفصلون:

المطلب الأول : كراهة السلف لهذه المسألة.

المطلب الثاني: اعتبارات جواز الاستثناء:

- الخوف من عدم القيام بواجبات الإيمان كلها
- عدم العلم بالعاقبة
- تعليق الأمور كلها -حتى المتيقن منها- بمشيئة الله تعالى

المطلب الثالث: اعتبار ترك الاستثناء:

الباب السابع

مسائل متفرقة

الكتاب الثاني

أركان الإيمان

تنتظم فهرسة أركان الإيمان ومسائله في ستة أبواب كالتالي:

تمهيد.

الباب الأول : الإيمان بالله وتوحيده.

الباب الثاني: الإيمان بالملائكة.

الباب الثالث: الإيمان بكتب الله المنــزلة.

الباب الرابع: الإيمان بالرسل.

الباب الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

الباب السادس: الإيمان بالقضاء والقدر.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:

- مظاهر الولاء للكفار.
- أحكام إقامة المسلم ببلاد الكفار.
- صور من المعاملات المباحة بين المسلم والكافر.
- الفرق بين الموالاة وبين البر والقسط والإحسان.
- معنى الموالاة على الدين في كلام العلماء.
- عوامل ضعف الموالاة في الله والمعاداة فيه:
  - دعوى الإكراه في عدم الموالاة في الله والمعاداة فيه.
  - دعوى الخوف على النفس والمال والأهل.
  - دعوى الاستضعاف.
  - صلة المداهنة والمداراة بالموالاة والمعاداة.
  - ما يقبل من الأعذار وما لا يقبل في هذه الصور.

الباب الثاني

الإيمان بالملائكة

الفصل الأول : معنى الإيمان بالملائكة وأهميته:

المبحث الأول : تعريف الملائكة لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: عقيدة الناس في الملائكة قبل الإسلام.

المبحث الثالث: منـــزلة الإيمان بالملائكة.

المبحث الرابع: معنى الإيمان بالملائكة وأقسامه.

المبحث الخامس: حكم الإيمان بالملائكة وأدلته، وحكم من أنكر بعضهم.

المبحث السادس: الحكمة من الإخبار بوجودهم.

المبحث السابع: طريق الإيمان بالملائكة وهم من الغيب.

المطلب الرابع: عظم خلق الملائكة

المطلب الخامس: عظم سرعتهم.

المطلب السادس: قدرتهم على التشكل في الأشكال الحسنة.

المطلب الثامن: تفاوت الملائكة في الخلق والمقدار.

المطلب التاسع: الملائكة لا يوصفون بالذكورة والأنوثة.

المطلب العاشر: لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يملون، ولا يتعبون.

المطلب الحادي عشر: أعداد الملائكة وأسمائهم.

المبحث الثاني: صفات الملائكة الخُلُقية:

المطلب الأول : الملائكة كرام بررة.

المطلب الثاني: استحياء الملائكة.

المبحث الثالث: عبادة الملائكة:

المطلب الأول : عصمتهم.

المطلب الثاني: نماذج من عبادتهم.

الفصل الرابع: الملائكة والإنسان:

المبحث الأول : الملائكة وأنبياء الله ورسله:

المطلب الأول : توجيه الملائكة لآدم.

المطلب الثاني: غسل الملائكة آدم عند موته.

المطلب الثالث: تبليغ الملائكة وحي الله إلى رسله وأنبيائه.

المطلب الرابع: كيف كان يأتي الملك الرسول ﷺ.

المطلب الخامس: إمامة جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، ورقيته له.

المبحث الثاني: الملائكة والمؤمنون:

المطلب الأول : علاقة الملائكة بالمؤمنين:

الباب الثالث

الإيمان بكتب الله المنـزلة

الفصل الأول : معنى الإيمان بالكتب وأهميته:

المبحث الأول : معنى الكتاب لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: منـــزلة وحقيقة الإيمان بالكتب وأقسامه.

المبحث الثالث: حاجة الناس إلى الكتب السماوية.

المبحث الرابع: حكم الإيمان بالكتب وأدلته، وحكم من أنكر بعضها.

المبحث الخامس: كيفية الإيمان بهذه الكتب.

الفصل الثاني: بين القرآن الكريم وسائر الكتب:

المبحث الأول : الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها تفصيلاً:

المطلب الأول : القرآن الكريم.

- تعريف القرآن لغة وشرعًا.
- أوصاف القرآن.
- عقيدة أهل السنة في القرآن.
- منـــزلة القرآن بين كتب الله تعالى.
- خصائص القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التوراة.

المطلب الثالث: الإنجيل.

المطلب الرابع: الزبور.

المطلب الخامس: صحف إبراهيم.

الفصل الثالث: تحريف الكتب السابقة وبعض مظاهره:

المبحث الأول : الأدلة القاطعة على وقوع التحريف في الكتب السابقة.

المبحث الثاني: كتب أهل الكتاب الموجودة بين أيديهم الآن.

الباب الرابع

الإيمان بالرسل

المبحث السادس: سياسة الأمة وقيادتها.

الفصل الرابع: الوحي:

المبحث الأول : تعريف الوحي لغةً واصطلاحًا، وبيان الفرق بينه وبين الإلهام.

المبحث الثاني: النبوة منحة إلهية.

المبحث الثالث: رؤيا الأنبياء.

المبحث الرابع: طرق الوحي.

المبحث الخامس: عقيدة ختم النبوة.

المبحث السادس: حكم ادعاء النبوة.

الفصل الخامس: صفات الرسل:

المبحث الأول : البشرية .

المبحث الثاني: الذكورة.

المبحث الثالث: الحرية.

المبحث الرابع: العصمة.

المبحث الخامس: تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.

المبحث السادس: تخيير الأنبياء عند الموت بين الدنيا والآخرة.

المبحث السابع: الأنبياء يقبرون حيث ماتوا.

المبحث الثامن: الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء.

المبحث التاسع: الأنبياء أحياء في قبورهم.

الفصل السادس: عصمة الرسل.

المبحث الأول : العصمة في التحمل والتبليغ.

المبحث الثاني: الأعراض البشرية لا تنافي العصمة.

المبحث الثالث: نطاق العصمة من الذنوب.

- ولادة الأمة ربتها.
- تطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان.
- إسناد الأمر إلى غير أهله.
- تداعي الأمم على المسلمين.

المطلب الثالث: العلامات التي لم تقع بعد:

- عودة جزيرة العرب جنات وأنهارًا.
- تكليم السباع والجماد الإنس.
- انحسار الفرات عن جبل من ذهب.
- انحياز المسلمين إلى المدينة.
- خروج المهدي.
- جفاف بحيرة طبرية.

المبحث الثالث: علامات الساعة الكبرى:

المطلب الأول : الدخان.

المطلب الثاني: طلوع الشمس من مغربها.

المطلب الثالث: خروج الدابة.

المطلب الرابع: فتنة الدجال.

المطلب الخامس: نزول عيسى بن مريم عليه السلام وقضائه على الدجال.

المطلب السادس: خروج يأجوج ومأجوج.

المطلب السابع: اندراس الإسلام ورفع القرآن وفناء الأخيار.

المطلب الثامن: عودة البشرية إلى الجاهلية وعبادة الأوثان.

المبحث التاسع: هدم الكعبة على يد ذي السويقتين.

المطلب الخامس: أول من تنشق عنه الأرض.

المطلب السادس: حشر الخلائق.

المطلب السابع: صفة الحشر.

المطلب الثامن: أرض المحشر.

المبحث الرابع: أهوال يوم القيامة.

المطلب الأول : قبض الأرض وطي السماء.

المطلب الثاني: دك الأرض ونسف الجبال.

المطلب الثالث: تفجير البحار وتسجيرها.

المطلب الرابع: موران السماء وانفطارها.

المطلب الخامس: تكوير الشمس وخسوف القمر وتناثر النجوم.

المبحث الخامس: أحوال الناس يوم القيامة:

المطلب الأول : حال الكفار.

المطلب الثاني: حال عصاة المؤمنين.

المطلب الثالث: حال الأتقياء.

المبحث السادس: الشفاعة:

المطلب الأول : الآيات والأحاديث في الشفاعة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالشفاعة.

المطلب الثالث: شروط الشفاعة.

المطلب الرابع: الشفاعة المثبتة والشفاعة المنفية.

المطلب الخامس: شفاعة الأنبياء.

المطلب السادس: شفاعة المؤمنين.

المطلب السابع: شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر.

المطلب الرابع: الميزان عند أهل البدع.

المطلب الخامس: الأقوال في الموزون.

المبحث التاسع: الحوض:

المطلب الأول : الحوض في القرآن والسنة.

المطلب الثاني: حكم الإيمان بالحوض وأدلته.

المطلب الثالث: وصف الحوض.

المطلب الرابع: من يذادون عن الحوض.

المبحث العاشر: الجنة.

المطلب الأول : خلود الجنة:

المطلب الثاني: دخول الجنة.

- الشفاعة في دخول الجنة.
- أول من يدخل الجنة.
- دخول عصاة المؤمنين الجنة بعد إخراجهم من النار.
- آخر من يدخل الجنة.

المطلب الثالث: صفة الجنة.

- أبواب الجنة.
- درجات الجنة.
- تربة الجنة.
- أنهار الجنة.
- عيون الجنة.
- قصور الجنة وخيامها.
- أشجار الجنة وثمارها.
- دواب الجنة وطيورها.

المطلب الرابع: أهل الجنة.

- سادة أهل الجنة.
- العشرة المبشرون بالجنة.

- تسويد الوجوه.
- إحاطة النار بالكفار.
- اطلاع النار على الأفئدة.
- اندلاق الأمعاء في النار.

الباب السادس

الإيمان بالقضاء والقدر

الفصل الأول : منـــزلة الإيمان بالقضاء والقدر وحكمه:

المبحث الأول: حكم الإيمان بالقضاء والقدر، وأدلته.

المبحث الثاني: نظرة في تاريخ القدر.

الفصل الثاني: التعريف بالقضاء والقدر.

المبحث الأول : القضاء لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: القدر لغة وشرعًا.

المبحث الثالث: مراتب الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم.

المرتبة الثانية: الكتابة.

المرتبة الثالثة: المشيئة.

المرتبة الرابعة: الخلق.

الفصل الثالث: قواعد في باب القضاء والقدر:

المبحث الأول : أفعال الله عز وجل كلها عدل ورحمة وحكمة.

المبحث الثاني: تقسيم القدر إلى خير وشر.

المبحث الثالث: بيان عدم جواز نسبة الشر إلى الله عز وجل.

المبحث الرابع: قدره سبحانه ليس فيه ظلم لأحد.

المبحث الثاني: كيف يخلق الله الشر ويقدره.

المبحث الثالث: الزعم بأن الإيمان بالقدر يقتضي ترك العمل وإهمال الأسباب.

المبحث الرابع: الزعم بأن كل شيء خلقه الله فقد رضيه وأحبه.

الكتاب الثالث

نواقض الإيمان

تنتظم فهرسة نواقض الإيمان في خمسة أبواب كالتالي:

الباب الأول : حقيقة الكفر وضوابط إجراء الأحكام.

الباب الثاني: نواقض الإيمان في باب التوحيد.

الباب الثالث: نواقض الإيمان في باب النبوات.

الباب الرابع: نواقض الإيمان في سائر الغيبيات.

الباب الخامس: نواقض الإيمان الأخرى.

وفيما يأتي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:

الباب الأول

تعريف الكفر وضوابط إجراء الأحكام

الفصل الأول : حقيقة الكفر عند أهل السنة:

المبحث الأول : تعريف الكفر والشرك ونواقض الإيمان.

المبحث الثاني: انقسام الكفر والشرك إلى أكبر وأصغر وحكم كل منهما.

المبحث الثالث: الكفر اعتقاد وقول وعمل.

المبحث الرابع: الكفر شعب ومراتب متعددة.

الفصل الثاني: ضوابط إجراء الأحكام وموانعه عند أهل السنة:

المبحث الأول : ضوابط إجراء الأحكام:

المطلب الأول : اعتبار المقاصد

المطلب الثاني: قيام الحجة

المبحث الثاني: موانع إجراء الأحكام:

المطلب الأول : الجهل

المطلب الثاني: الخطأ

المطلب الثالث: التأويل

المطلب الرابع: الإكراه

الباب الثاني

نواقض الإيمان في باب التوحيد

الفصل الأول : النواقض الاعتقادية في باب التوحيد.

المبحث الأول : ما يناقض قول (اعتقاد) القلب.

الباب الثالث

نواقض الإيمان في باب النبوات

الفصل الأول : النواقض الاعتقادية في باب النبوات

المبحث الأول : ما يناقض قول (اعتقاد) القلب

المطلب الأول : اعتقاد أن بعض الناس لا يجب عليهم اتباع النبي ﷺ

المطلب الثاني: إدعاء النبوة

المطلب الثالث: إنكار الكتب المنــزلة أو شيء منها.

المبحث الثاني: ما يناقض عمل القلب

الفصل الثاني: النواقض القولية في باب النبوات

مبحث: سب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الفصل الثالث: النواقض العملية في باب النبوات

مبحث: الاستهانة بالمصحف.

الباب الرابع

نواقض الإيمان في سائر الغيبيات

الفصل الأول : النواقض الاعتقادية في سائر الغيبيات

المبحث الأول : إنكار الملائكة والجن

المبحث الثاني : نواقض متعلقة باليوم الآخر

الفصل الثاني : النواقض القولية في سائر الغيبيات

المبحث الأول : سب الملائكة والاستهزاء بهم

المبحث الثاني: الاستهزاء بالوعد والوعيد

الباب الخامس

نواقض الإيمان الأخرى

الكتاب الرابع
متفرقات في باب الاعتقاد

الباب الأول : عقيدة أهل السنة في الصحابة وأهل بيت النبي ﷺ، والعلماء.

الباب الثاني: الإمامة.

الباب الثالث: جواز الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة.

الباب الرابع: موقف أهل السنة من كرامات الأولياء.

الباب الخامس: تواتر المسح على الخفين.

الباب السادس: وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الافتراق والبدعة.

وفيما يلي تفصيل هذه الأبواب، وما يندرج تحتها من فصول ومباحث ومطالب:

الباب الأول

عقيدة أهل السنة في الصحابة وأهل بيت النبي ﷺ، والعلماء

الباب الثاني

الإمامة

المطلب الثاني: البلوغ.

المطلب الثالث: العقل.

المطلب الرابع: الذكورة.

المطلب الخامس: القدرة وسلامة الحواس.

المطلب السادس: العدالة.

المطلب السابع: الحرية.

المطلب الثامن: القرشية.

المطلب التاسع: العلم المؤدي إلى الاجتهاد.

المطلب العاشر: الحنكة في أمور الحرب والسلم.

الفصل الثاني: حقوق وواجبات الإمام الأعظم:

المبحث الأول: حقوق الأمة على الإمام:

المطلب الأول: العمل على المحافظة على سلامة عقيدتها.

المطلب الثاني: الحكم والتحاكم إلى شريعة الله عز وجل.

المطلب الثالث: بذل الأسباب المؤدية إلى وحدة الأمة.

المطلب الرابع: إقامة واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المطلب الخامس: إقامة الجهاد.

المطلب السادس: جمع الزكاة والصدقات والخراج.

المطلب السابع: تحري الأمانة في اختيار أرباب المناصب.

المبحث الثاني: حقوق الإمام على الأمة:

المطلب الأول: السمع والطاعة.

المطلب الثاني: النصرة.

المطلب الثالث: النصح والتقويم.

المبحث الأول : الخوارق المحمودة مع الدين (كرامات الأولياء).

المبحث الثاني: الخوارق المذمومة في الدين.

المبحث الثالث: المباح في هذا الباب.

الباب الخامس
تواتر المسح على الخفين

الفصل الأول : سبب إدراج هذه المسألة الفقهية ضمن مسائل الاعتقاد.

الفصل الثاني: مخالفة الرافضة لأهل السنة في هذه المسألة.

الباب السادس
وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة ونبذ الافتراق والبدعة

الفصل الأول: وجوب اتباع الكتاب والسنة وإجماع الأمة:

المبحث الأول: وجوب الاحتكام للكتاب والسنة والرجوع إليهما عند الاختلاف.

المبحث الثاني: وجوب طاعة الله ورسوله.

المبحث الثالث: الهوى والبغي والجهل جماع أسباب مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ.

الفصل الثاني: وجوب لزوم جماعة المسلمين وحرمة الفرقة:

المبحث الأول: افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة.

المبحث الثاني: الجماعة هي الاجتماع على منهج الحق من الاتباع وترك الابتداع.

المبحث الثالث: حرص أهل السنة على الاجتماع على السنة ومجانبة الابتداع والفرقة.

المبحث الرابع: حرمة الخروج على جماعة المسلمين.

الملحق الثاني

تعريف ببعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة

تمهيد

بدأ علم الاعتقاد في التميز بالتدوين مع ظهور البدع واشتداد وطأة الفرق المبتدعة، فأخذ أئمة المسلمين في تصنيف كتب تتضمن المسائل التي اختلف فيها المنتسبون إلى الإسلام، والتي يترتب على الاختلاف فيها تبديع المخالف أو تكفيره، وبينوا فيها عقيدة السلف أهل السنة والجماعة، وردوا على المخالفين أهل البدع والأهواء.

لذلك فقد نشأت الكتابة في هذا العلم في صورة ردود على الفرق الضالة، فكتب الإمام أحمد بن حنبل [٢٤١هـ] كتابه "الرد على الزنادقة والجهمية"، وكتب الإمام البخاري [٢٥٦هـ] كتابه "الرد على الجهمية"، وكتب الإمام عثمان بن سعيد الدارمي [٢٨٠هـ] كتابه "الرد على بشر المريسي". وفي الرد على الوعيدية -وهم الخوارج والمعتزلة- وعلى المرجئة كتب أبو عبيد القاسم بن سلام [٢٢٤هـ] كتابه "الإيمان"، وكذلك صنع أبو بكر بن أبي شيبة [٢٣٥هـ]. وكُتب الردود هذه تتناول بعض مسائل الاعتقاد.

ثم دُوِّنت الكتب التي تجمع معظم مسائل الاعتقاد المعروفة اليوم، ولكنها عرفت باسم كتب السنة، وذلك في مقابل مقالات المبتدعة، فمنها كتاب "السنة" لأبي بكر بن أبي عاصم [٢٨٧هـ]، و"السنة" لعبد الله ابن أحمد بن حنبل [ت:٢٩٠هـ]، و"السنة" لمحمد بن نصر المروزي [٢٩٤هـ]، و"السنة" لأبي بكر الخلاّل [٣١١هـ]، وفي هذا التوقيت أيضًا ظهرت كتب تحمل اسم التوحيد ككتاب "التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل" لأبي بكر محمد بن خزيمة [٣١١هـ]، وكتاب "التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد" لأبي عبد الله محمد بن إسحق بن منده [٣٩٥هـ].

كما سُميت كتب الاعتقاد أيضًا باسم كتب الشريعة، ككتاب

"الشريعة" لأبي بكر الآجري [٣٦٠هـ]، وكتاب "الإبانة عن شريعة الفرق الناجية" لابن بطة [٣٨٧هـ]. وسمي الاعتقاد أيضًا بأصول الدين كما سمّاه أبو الحسن الأشعري [٣٢٤هـ] في كتابه "الإبانة عن أصول الديانة".

ثم ظهر مصطلح الاعتقاد في أوائل القرن الخامس الهجري، فكتب أبو القاسم اللالكائي [٤١٨هـ] كتابه "شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة".

وفي كل الكتب السابقة يسوق المؤلفون ما يَرْوونه - في الأبواب المختلفة - عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين بأسانيدهم الخاصة، وعلى ذلك فهذه الكتب تعتبر من كتب السنة الأصلية، وذلك باستثناء "الإبانة" لأبي الحسن الأشعري، حيث ذكر اعتقاده في صورة متن بدون أسانيد.

وانتهت الطبقات التي كان رجالها يكتبون العقائد بطريقة الآثار المسندة، وتلا ذلك كتابة العقائد مجردة من الأسانيد في صورة متون؛ كلمعة الاعتقاد لابن قدامة، والعقيدة الواسطية لابن تيمية، أو في صورة شروح ككتابات ابن تيمية وابن القيم في الاعتقاد، أو في صورة قصائد منظومة؛ كالقصيدة النونية لابن القيم وقصيدة "الدُّرة المُضيّة" للسفاريني والتي شرحها بنفسه في "لوامع الأنوار البهية"، وقصيدة "سُلّم الوصول" لحافظ حكمي والتي شرحها بنفسه في "معارج القبول".

وتعتبر رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية في اعتقاد أهل السنة ونقد مقالات الفرق الضالة - والتي استغرقت الاثني عشر مجلدًا الأولى من مجموع فتاويه - حلقة وصل هامة في تدوين اعتقاد أهل السنة، إذ إنه قد جمع خلاصة كتابات مَن سبقه مِن السلف في ذلك، وعنه أخذ عامة مَن كتب في اعتقاد أهل السنة مِن بعده.

واتبع أهل السنة منهجًا ثابتًا في تدوين مسائل الاعتقاد، ألا وهو إثبات هذه المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأصبح اتباع هذا المنهج من خصائص أهل السنة. وذلك في مقابل منهج الفرق المبتدعة في اتباع

قواعد الجدل والمنطق لإثبات مسائل الاعتقاد بدعوى أنه يمكن إثبات صحة العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية.

وفي هذا المبحث نعرض لجملة من مصنفات أهل السنة في باب الاعتقاد، منذ أن بدأ تدوينها من لدن "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة [١٥٠هـ]، وحتى المتأخرين من الأئمة. وكي يتحدد نطاق الرصد الزمني فقد توقف الرصد عند مصنفات من وافته المنية قبل عام ١٤٢٢هـ، وذلك باعتبارها سنة الشروع في جمع مادة البحث.

وانتهجنا في عرض هذه المصفات طريقة موحدة وهي عرضها بالتسلسل الزمني لوفاة المصنفين، استفتاحًا بالسلف المتقدمين وانتهاءً بالمتأخرين؛ ليتضح بذلك أنه لم يخل عصر من العصور من مصنَّفات لأهل السنة ترفع راية الحق وتعلي مناره، في مقابل مقالات أهل البدع.

وقد قسمنا هذا الملحق إلى قسمين:

الأول: ويتضمن دراسة تفصيلية لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وعرضت فيه بعض المصفات العقدية المهمة عند أهل السنة والجماعة بشيء من التفصيل، وذلك من خلال الحديث عن مؤلف كل مصنف، وأهميته ومنهجه، ومباحثه، وطبعاته المختلفة، وذلك بناءً على الشرط المتقدم، وهو أن يكون المصنف قد توفي قبل عام ١٤٢٢هـ.

الثاني: ويتضمن دراسة مجملة لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وعرضت فيه بعض المصنفات العقدية المهمة عند أهل السنة والجماعة بشيء من الإيجاز، وذلك من خلال استيفاء البيانات الخاصة بكل مصنف، وهي: اسم المؤلف، وتاريخ وفاته، ودار النشر التي قامت بطبع الكتاب، وسنة النشر، ورقم الطبعة، واسم المحقق الذي اعتنى بالكتاب -إن وجد-، وأخيرًا نبذة

عن محتويات الكتاب.

وقد أعرض هذا الرصد عن ذكر بعض المصنفات التي تبنت منهج أهل السنة على العموم إلا أن مصنفيها جنحوا في مسألة أو أكثر إلى رأي مخالف؛ مثل مصنفات ابن حزم، وابن الجوزي، وابن حجر..، وإن كانت نسبتهم إلى أهل السنة لا تزال باقية فيما أصابوا فيه الحق.

وفي المقابل أثبت المصنفات المنضبطة على منهج أهل السنة والتي يثبت من خلالها رجعة مصنفيها إلى الصواب بعدما كانوا مجانبين للحق فيما كتبوا من قبل؛ وذلك مثل أبي الحسن الأشعري والشوكاني في أواخر مصنفاتهم، فوقع التنبيه على ذلك في موضعه.

وأخيرًا فإنه يجب أن يُعلم أن هذه المصنفات في موضوع الاعتقاد ليست على سبيل الحصر، وإنما هي منتقاة من التراث السلفي الزاخر لبيان وفرة كتب أهل السنة في باب العقيدة، واستقامتها - على اختلاف عصورها وأمصارها ومؤلفيها- على صراط الحق المستقيم.. منهج أهل السنة والجماعة.

القسم الأول

عرض تفصيلي لبعض مصنفات العقيدة عند أهل السنة والجماعة

١ـ كتاب القدر وما ورد في ذلك من الآثار لابن وهب رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام عبد الله بن وهب بن مسلم، القرشي، الفهري، المصري، ولد سنة ١٢٥هـ. طلب العلم وهو ابن سبع عشرة سنة، كما أخبر عن نفسه، كان عالمًا، صالحًا، فقيهًا كثير العلم، تتلمذ عليه أئمة كبار، صنف مائة وعشرين ألف حديث، في كتب كثيرة، جليلة القدر. توفي رحمه الله سنة ١٩٧هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر كتاب الإمام ابن وهب من أوائل كتب العقيدة الأثرية، وقد دار موضوع الكتاب كما يدل عليه عنوانه على القدر وما ورد فيه من آثار، وقد سار المصنف رحمه الله على طريقة السلف في تصانيفهم، فساق الأحاديث النبوية والآثار السلفية بأسانيدها المثبتة للقضاء والقدر الإلهي من غير تعليق أو تبويب، وإن كان سياقه للأحاديث والآثار يشعر أنها مرتبة وفق تسلسل موضوعي عام، إلا أنه لم يبوب قط.

ثم إن أبا بكر الوراق وهو راوي الكتاب – أضاف على أصل الكتاب

أحاديث عن شيوخه، هي في جملتها استخراج ومتابعة لأحاديث الكتاب.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

كما سبق فإن الكتاب يدور حول موضوع واحد وهو القدر وما يتعلق به من مسائل، وما ورد في ذلك من أحاديث وآثار، ولعل الداعي إلى هذا التصنيف هو تثبيت أهل السنة بذكر المرويات في هذا الباب، الذي خالفت فيه المعتزلة والقدرية.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- طبع في مكة المكرمة بتحقيق د. عبد العزيز بن عبد الرحمن العُثيم، عام ١٤٠٦هـ.

- ثم طبع في دار العطاء بالرياض طبعة أكمل وأفضل تحقيقًا في مجلد، بتحقيق عمر بن سليمان الحفيان، عام ١٤٢٢هـ.

٢ـ كتاب السنة

للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلم أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي، ولد سنة ١٦٤هـ ببغداد، كان من أوعية السنة وحفاظها، رحل في طلب العلم إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة، كان رحمه الله إمامًا في الزهد والورع والصدع بالحق، صبر في المحنة، فصار إمام أهل السنة، وأعظم مصنفاته المسند. توفي رحمه الله سنة ٢٤١هـ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

لكتاب السنة للإمام أحمد أهمية خاصة، وذلك لأسباب منها:

أنه يعتبر أحد الأصول الأولى للعقيدة الصحيحة في القرون الفاضلة. كما أنه تضمن الأصول العقدية الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف.

وهو كتاب موثوق به لجلالة الناقل وسعة علمه بالرواية والدراية، وقد أجمعت الأمة على جلالة قدره في العلم والزهد والقدوة.

كما يتميز الكتاب بسهولة الأسلوب مع نصاعته وحسن عبارته، وجمعه لأصول العقيدة السلفية، واختصاره مع إفادته، وخلوه عن الألفاظ الكلامية والمصطلحات المنطقية والفلسفية.

ويدور موضوع الكتاب حول اعتقاد السلف الصالح أهل السنة والجماعة ممن عرفوا بالإمامة في الدين والسلامة من البدع والأهواء. وقد قرر الإمام اعتقادهم مجردًا عن الأدلة من الكتاب والسنة، فهو سرد ميسر خال من التعقيد اللفظي والمعنوي، فهو أشبه ما يكون بفهرسة تفصيلية لما يتضمنه اعتقاد السلف الصالح.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث كتاب السنة في الموضوعات التالية:

١- الإيمان وما يتعلق به من مباحث وآراء الناس فيه من مرجئة وجهمية.

٢- القدر وما يتعلق به من مسائل.

٣- موقف السلف من أهل القبلة ومن أحاديث الوعيد.

٤- تقرير أن الخلافة في قريش، ووجوب طاعة الأئمة في المعروف وحرمة الخروج عليهم، وحكم الجهاد وأداء الجمعة والحج معهم، ودفع الصدقات والأعشار لهم.

٥- حكم الصلاة خلف أهل البدع والصلاة على موتاهم.

٦- الإيمان بالبرزخ والقبر وفتنته وما يتعلق به من عذاب ونعيم.

٧- الإيمان بالقيامة والبعث والعرض والحساب والجنة والنار وبقائهما.

٨- الإيمان بجميع صفات الله من السمع والبصر والضحك والحب والفرح والكلام والعلو والاستواء على العرش، ورؤية المؤمنين له سبحانه يوم القيامة.

٩- بيان عقيدة السلف في القرآن.

١٠- بيان اعتقاد السلف وموقفهم من الصحابة رضي الله عنهم.

١١- ذكر بعض فرق المبتدعة وبعض اعتقاداتهم، والحكم على هذه الاعتقادات بالفساد، وبيان أن بعضها أشد من بعض.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب مرات عديدة ومن أفضلها طبعتان:

١- طبعة بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية.

٢- كما حقق في رسالة علمية مع آثار الإمام أحمد، بعنوان المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة للباحث عبد الإله الأحمدي في مجلدين، طبعة دار طيبة بالرياض، سنة ١٤٢٠هـ.

٣ـ كتاب الرد على الزنادقة والجهمية

للإمام أحمد رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

مع كون هذا الكتاب من المصادر الرئيسة في عقيدة السلف الصالح التي تمثل الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ؛ فإنه يمثل نوعًا من التأليف الخاص وهو التأليف على شكل المناظرات العلمية.

والكتاب في جملته يعالج موضوعين:

١- الجواب عن بعض الآيات القرآنية التي اشتبه معناها على أهل البدع حيث فسروها بغير تفسيرها، فأجروها على ما يوافق أهواءهم وبدعهم الفاسدة المخالفة لدلالة الكتاب والسنة.

وذلك مثل قوله عز وجل: ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾ [النساء:٥٦]. قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت وأبدلهم جلودًا غيرها، فلا نرى إلا أن الله يعذب جلودًا لم تذنب... قال الإمام أحمد: إن قول الله: ﴿ بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ليس يعني جلودًا غير جلودهم، وإنما يعني بدلناهم جلودًا غيرها تبديلها تجديدها؛ لأن جلودهم إذا نضجت جددها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام، ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء.

ومثل قوله عز وجل: ﴿ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾

[المرسلات:٣٥، ٣٦]، ثم قال في آية أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ [الزمر:٣١] فقالوا: كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟!..قال الإمام أحمد: ﴿ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴾، فهذا أول ما تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون، ثم يؤذن لهم في الكلام فيتكلمون فذلك قوله: ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَـٰلِحًا ﴾ [السجدة:١٢]، فإذا أذن لهم في الكلام فتكلموا واختصموا فذلك قوله: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴾ عند الحساب وإعطاء المظالم، ثم يقال لهم بعد ذلك: ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ ﴾ أي عندي ﴿ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴾ [ق:٢٨][(١)].

٢- نقد وتقويم ومناقشة لآراء الجهم بن صفوان ومن سلك مسلكه من المعتزلة وغيرهم، وبيان بطلان آرائهم حول الرب وصفاته بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تنوعت مباحث الكتاب مما جعله ثريًا بالمعلومات النافعة المفيدة لطالب العلم، وهي –باختصار– على النحو التالي:

١- مقدمة أشار فيها إلى فضل أهل السنة والجماعة وأهم ما اتصف به أهل البدع.

٢- الجواب عن بعض الآيات التي ادعى بعض أهل البدع التناقض في دلالتها. وقد سبق بيان طرف من هذه الآيات.

(١) انظر كتاب الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ص٧، ٨ .

٣- الكلام على عقيدة الجهم ومصادر آرائه التي خرج بها على إجماع الأمة، وبيان بطلانها بالقرآن والسنة والعقل الصحيح وإجماع السلف.

رابعًا: طبعات الكتاب:

حقق الكتاب عدة مرات لمحققين مختلفين ومنها:

١- طبعة بتحقيق الشيخ محمد أحمد حامد الفقي في مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

٢- طبعة بتحقيق الشيخ محمد فهر شقفة من منشورات مكتبة ابن الهيثم، بحماة بسوريا.

٣- طبعة بتحقيق الدكتور علي سامي النشار والدكتور عمار الطالبي، في منشأة المعارف بالأسكندرية سنة ١٩٧١م.

٤- طبعة بتقديم وتحقيق د.عبد الرحمن عميرة في دار اللواء بالرياض سنة ١٣٩٧هـ.

٥- طبعة بتصحيح وتعليق الشيخ إسماعيل الأنصاري نشر وتوزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض.

٦- وقد طبع الكتاب ضمن كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل من روايته كجزء من كتاب السنة بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني وهي رسالته لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، طبعة دار ابن القيم، سنة١٤٠٦هـ.

٤ـ كتاب خلق أفعال العباد

للإمام البخاري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بردزبة الجعفي المعروف بالبخاري، ولد رحمه الله سنة ١٩٤هـ ببخارى قرب سمرقند. اعتنى بالحديث حتى برع فيه وتلقاه على أكثر من ألف شيخ، حتى صار من أئمته ونقاده وجهابذ العلماء فيه، وقد ترك بعده عددًا من المؤلفات النافعة منها كتابه الجامع الصحيح، وكتاب الأدب المفرد، والتاريخ الكبير، والتاريخ الأوسط، والتاريخ الصغير، وغير ذلك كثير. توفي رحمه الله سنة ٢٥٦هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى الأمور التالية:

١- أنه مرجع لمن جاء بعده من السلف لما لمؤلفه من منـزلة عظيمة عندهم.

٢- اعتماده على أعلى المصادر قوة، وأقواها دلالة، وأكثرها هداية إلى الحق، كما أنه استعمل طريقة الاستقراء للنصوص، ثم استنباط الحكم العقدي منها.

٣- قطعه للنـزاع في مسألة التلفظ والتلاوة، وذلك عن طريق تفصيل ما أجمل في كل منهما من معنى؛ لأن الإجمال سبب الخلاف.

ويدور موضوع الكتاب حول الكلام على أن القرآن كلام الله منـزل غير مخلوق والرد على الجهمية القائلين بأن القرآن مخلوق. والكلام حول أفعال

العباد وبيان أنها مخلوقة، وإظهار القول الفصل في تلفظ العبد وتلاوته للقرآن الكريم هل هي مخلوقة أم لا.

ولقد سار البخاري رحمه الله في كتابه هذا على المنهج التالي:

١- سوق الأحاديث والآثار بأسانيدها مع بيان وجه دلالة الحديث أو الآية على ما يستنبطه من عقائد.

٢- ذكر أقوال الفرق الضالة ورد عليها بأدلة الكتاب والسنة.

٣- الجواب عما تشابه على أهل البدع، وذلك بعرض الآية على نظيرها، أو الاستدلال باللغة، أو النقل عن السلف.

٤- بيان تاريخ الفرق ورأي السلف في أساطينها وكبرائها.

ثالثا: محتويات الكتاب:

يمكن التعرف على محتويات الكتاب من خلال عرض مختصر لأهم مباحثه وهي على النحو التالي:

١- عقيدة السلف في القرآن، والكلام على عقيدة الجهمية، وحكم من قال إن القرآن مخلوق.

٢- ذكر بعض معتقدات الجهمية والمعتزلة ونقل ما يدل على إنكار السلف عليهم.

٣- الكلام على خلق أفعال العباد.

٤- الحديث عن القراءة والتلاوة وهل هما مخلوقتان أم لا، والإجابة عن بعض الشبهات الواردة حول ما تقرر فيهما.

٥- بيان مذهب أهل السنة من أن الفعل شيء، والمفعول شيء آخر،

خلافًا للمتكلمين.

٦- ذكر الأدلة على خلق أصوات العباد.

٧- تقرير أن المداد والرَّق وخط العبد ونحوه مخلوق، وأن المكتوب في المداد والرق وبخط العبد وهو القرآن وليس بمخلوق.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب عدة طبعات، منها:

١- طبعة مؤسسة البخاري ببيروت سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٢- طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت وسوريا سنة ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

٣- طبعة دار المعارف بالرياض عام ١٣٩٨هـ، بتحقيق د.عبد الرحمن عميرة.

٤- طبعة بتحقيق الدكتور علي سامي النشار، والدكتور عمار الطالبي وهي ضمن مجموع عقائد السلف بتحقيقهما والناشر دار منشأة المعارف، بالأسكندرية بمصر.

٥- كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة.

للإمام ابن قتيبة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام المحدث عبد الله بن مسلم بن قتيبة ولد سنة ٢١٣هـ بمرو ونشأ في بغداد، أخذ عن عدد من جهابذة العلماء. كان معظمًا عند أهل المغرب ويتهمون من وقع فيه بالزندقة وهو خطيب أهل السنة وكاتبهم المقدم.

وأهم مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، غريب القرآن، غريب الحديث، مشكل القرآن، وغيرها كثير وتوفي رحمه الله سنة ٢٧٦هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تظهر أهمية الكتاب من عدة وجوه:

١- تعرض الكتاب لمسألة من أهم مسائل الاعتقاد وهي مسألة اللفظ بالقرآن وبيانه للحق فيها.

٢- فيه رد لمنهج التأويل الذي يعتبر عمدة المتكلمين، فيما اعتقدوه في الله وصفاته، كما أنه يمثل منهج الرد بالمناظرة.

٣- عنايته بالرد عن طريق اللغة العربية وهو من الطرق النادرة في الاستدلال.

وهذا الكتاب كغيره من كتب هذا الشأن في البعد عن المصطلحات الكلامية والألفاظ البدعية، مع سهولة اللفظ ووفاء المعنى، ورصانة الأسلوب وقوة العبارة.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في النقاط التالية:

١- المقدمة وقد بين من خلالها حال كثير من العلماء سواء في تلقي العلم أو في مناظراتهم التي خالفوا فيها ما عليه السلف، مع بيان سبب تأليف الكتاب.

٢- تقسيم الناس بالنسبة لقبول الحق إلى ثلاثة أقسام: المقلد والمنكر والمسترشد الطالب للحق.

٣- الجواب عن بعض ما اشتبه على أهل البدع من منظور لغوي.

٤- مناقشة لجملة من آراء القدرية والجهمية والمعتزلة وردها.

٥- التعرض لبعض شبه الرافضة الحديثية وردها بما يدل على بطلانها.

٦- تحرير الحق في مسألة اللفظ بالقرآن.

٧- تحقيق القول في هل الإيمان مخلوق أو غير مخلوق؟ وما في ذلك من تفاصيل.

٨- الرد على من ادعى كون الروح غير مخلوق.

٩- الكلام على حروف القرآن هل هي مخلوقة أو غير مخلوقة.

١٠- مناقشة ما نقل عن الإمام أحمد من قوله: "من زعم أن القراءة مخلوقة فهو جهمي، والجهمي كافر ومن زعم أنها غير مخلوقة فهو مبتدع وكل بدعة ضلالة"، والرد على الواقفة.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب طبعة غير محققة في دار الكتب العلمية ببيروت، سنة ١٤٠٥هـ.

٢- طبع محققًا في دار الراية بالرياض، بتحقيق عمر محمود أبي عمر، سنة ١٤١٢هـ.

٦- السنة

للإمام ابن أبي عاصم رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو بكر بن أبي عاصم أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني، من أهل البصرة، ولد في شوال سنة ٢٠٦هـ. حافظ كبير، وإمام بارع متبع للآثار، من أهل السنة والحديث والنسك والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كان مذهبه القول بالظاهر ونفي القياس، له تصانيف كثيرة تزيد على ثلاثمائة مصنف. توفي رحمه الله سنة ٢٨٧هـ، وشهد جنازته مائتا ألف بين راكب وراجل.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب يعد من أوائل كتب أهل السنة، حيث سلك المصنف رحمه الله في تأليفه للكتاب مسلك المحدثين في سوق الأحاديث بأسانيدها تحت تراجم دالة على المعنى المراد من إيراد تلك الآثار.

ثالثا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في الموضوعات التالية:

١- الأمر بلزوم السنة والجماعة وسنة الخلفاء الراشدين، وذم الفرقة والإخبار بافتراق الأمة، والتحذير من البدع والأهواء.

٢- القدر وما يتعلق به من مسائل.

٣- إثبات صفات الله تعالى، ككلامه تعالى، ورؤيته في الآخرة، ونزوله إلى السماء الدنيا، والقدم، واليد، والضحك، والتعجب، والسمع، والاستواء على العرش، وأنه سبحانه وتعالى في السماء.

٤- اليوم الآخر وما ورد فيه من حوض النبي ﷺ، والميزان، والشفاعة، والورود على النار، والحساب اليسير ومناقشة الحساب، والإيمان بالبعث دخول سبعين ألفًا الجنة بغير حساب وزيارة المؤمنين لربهم في الجنة وكلامه لهم.

٥- زيادة الإيمان ونقصانه.

٦- وجوب السمع والطاعة لولي الأمر، وكيفية النصيحة للولاة، والأمر بالصبر عليهم.

٧- خلافة الراشدين المهديين وفضل كل منهم، وفضل بقية العشرة.

رابعًا: نسخ الكتاب:

- طبع الكتاب في المكتب الإسلامي ببيروت بتحقيق الشيخ الألباني رحمه الله، عام ١٤٠٠هـ، بتحقيق باسم الجوابرة ط. دار الصميعي،

٧- كتاب السنة

للإمام أبي عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل رحمه الله

أولًا: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ أبو عبد الرحمن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي، ولد في جمادى الآخرة سنة ٢١٣هـ.

كان عالمًا بالرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى، مواظبًا على طلب الحديث، وكان لا يكتب عن أحد إلا بأمر أبيه. توفي رحمه الله في يوم الأحد ودفن في آخر النهار لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة ٢٩٠هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر كتاب السنة من المصادر العقدية الأولى ذلك أنه مبني على طريقة المحدثين التي لا تقبل أي قول أو فكر إلا بسند مقبول؛ فهو من هذا الجانب له مكانة كبيرة حيث اعتمدت عليه كثير من الكتب التي صنفت في عقيدة السلف، ككتاب الشريعة للآجري، وكتاب السنة للخلال، وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي، ثم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته من بعد.

ويعتمد الكتاب في إثبات القضايا العقدية على النقل من كتاب الله وسنة

رسوله ﷺ وما قرره علماء السلف، ويبرز طريقة من طرق الدفاع عن العقيدة وهي الجواب على ما اشتبه على المخالفين لأهل السنة من الآيات والأحاديث، كما رتب العقائد السلفية مسندة تحت عناوين توضح المراد بسياق هذه الأسانيد.

وقد يؤخذ على الكتاب أمور منها:

١- المبالغة في ذم الإمام أبي حنيفة رحمه الله.

والتحقيق أن نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة غير صحيحة؛ بل هي مكذوبة، والإرجاء الذي نسب إليه ليس هو عين الإرجاء المنسوب للفرقة المبتدعة المرجئة، وإن كان قول أبي حنيفة في الإيمان مرجوح لمخالفته الكتاب والسنة، وما عليه عامة السلف.

الثاني: التكرار، فإنه قد يورد الأثر بسنده في موضع ثم يكرره بعد ذلك بنفس السند والمتن.

الثالث: أن المصنف رحمه الله قد أورد أشياء واهية لم تثبت من ناحية سندها، ومتنها ومغناها يخالف ما عليه السلف، ولذا يجب التنبه إلى نقد هذه الآثار من حيث السند والمتن أيضًا..

ثالثا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب على جملة محاور منها:

١- إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق وكفر من قال خلافه.

٢- نقد الإمام أبي حنيفة في الاعتقاد.

٣- بيان مسائل الإيمان والرد على المرجئة.

٤- القدرية وحكم الصلاة خلفهم.

٥- ما ورد في ذكر الدجال وصفته.

٦- آراء العلماء حول رؤية الرسول ﷺ لربه ليلة الإسراء والمعراج.

٧- ذكر الآيات التي اشتبهت على الجهمية، والرد عليهم في إنكارهم للكلام والرؤية واليد والخلق وغير ذلك.

٨- مسألة الخلافة وما يتعلق بها.

٩- عذاب القبر وفتنته وما يتعلق بذلك.

١٠- الرد على الخوارج وبيان أخطر ضلالاتهم.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع كتاب السنة في مجلدين من القطع الكبير بتحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني، وأصل الكتاب بحث أعده محققه لنيل درجة الدكتوراه في العقيدة، وقد قدمه بدراسة مختصرة عن الكتاب وقام بتخريج أحاديثه وآثاره والترجمة لرجاله، ونقل أقوال أهل الصنعة الحديثية، ثم وضع له فهارس علمية تخدمه وتفيد الباحث،هذا وقد ذكر المحقق أن الكتاب اشتهر باسم (الرد على الجهمية والزنادقة).

٨ـ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي، النيسابوري، الحافظ الحجة الفقيه، الشافعي، إمام الأئمة ولد سنة ٢٢٣هـ بنيسابور ونشأ بها، وطلب الحديث منذ حداثة سنة، وكان رحمه الله تقيًا زاهدًا، سخيًا كريمًا، شجاعًا جريئًا لا يخاف الأمراء والولاة ولا يهابهم، وجمع بين الحديث والفقه، إلا أن شهرته بالحديث أكثر، ولهذا لقب بالحافظ لكثرة حفظه وإتقانه، وقد زادت مصنفاته رحمه الله على مائة وأربعين كتابًا سوى المسائل، والمسائل المصنفة أكثر من مائة جزء. توفي رحمه الله سنة ٣١١هـ وعمره تسع وثمانون سنة.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فمؤلفه من متقدمي علماء السنة، فقد عاش في القرن الثالث، وهو يروي كتبه بالسند المتصل إلى النبي ﷺ، ومنها هذا الكتاب، وقد عاصر كثيرًا من شيوخ البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، وتلقى عنهما والتقى بالبخاري ومسلم وأخرجا له في غير الصحيح.

والكتاب يشتمل على ما يزيد على سبعمائة وخمسين حديثًا بالإضافة إلى عشرات الأسانيد، الأمر الذي جعل كثيرًا من علماء السلف يعتمدون على هذا الكتاب، وينقلون منه كثيرًا في كتبهم التي تقرر عقيدة السلف كما أن المؤلف

يورد كثيرًا من الأحاديث من غير طرق الكتب الستة، فهو بهذا يعتبر كالمستخرج عليها.

ثم إن مؤلفه يعتبر من أكبر علماء السنة الذين انتهت إليهم الرئاسة في العلم والفقه بلا منازع، كما كان مشهورًا بمناظرته ومجادلته لأهل الأهواء وإفحامهم، فاستحق بذلك لقب إمام الأئمة في عصره.

وقد سلك المؤلف رحمه الله في تأليفه الكتاب مسلك المحدثين في سوق الآيات والأحاديث والآثار تحت تراجم دالة على المعنى المراد، مقتديًا في ذلك بعلماء السلف الذين سبقوه.

ويلاحظ في الكتاب الإكثار من الأبواب للموضوع الواحد، وقد يؤخذ على المؤلف روايته عن بعض الضعفاء والمتروكين رغم أنه اشترط في عدة مواضع من الكتاب أن لا يروي إلا عن الثقات العدول بالسند المتصل، وبتحقيق الكتاب أخيرًا يتنبه الباحث إلى تلك الآثار.

ثالثًا: أهم مباحث الكتاب:

بدأ الكتاب بمقدمة ذكر فيها المؤلف رحمه الله السبب الذي دفعه لتأليف هذا الكتاب، ثم تطرق بعد ذلك في مباحث الكتاب إلى الحديث عن عدد من القضايا من أهمها:

١- سياق ما ورد من النصوص في الكتاب والسنة في إثبات عدد من الصفات الذاتية والفعلية لله عز وجل وجعلها قاعدة لإثبات ما ورد مشابهًا لها، واعتبار أن القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر.

٢- إثبات إمكان رؤية الله يوم القيامة للمؤمنين دون الكافرين، في موقف

القيامة وفي الجنة.

٣- إثبات رؤية النبي ﷺ لربه في الدنيا، وقد أطال في الاستدلال لها وتكلف في تأويل بعض الأدلة لإثباتها رغم أن المترجح عند أكثر العلماء أن المراد برؤية النبي ﷺ لربه الواردة في الأحاديث هي: الرؤية القلبية أو المنامية دون رؤية البصر، لعدم ورود النص الصريح في ذلك.

٤- إثبات الشفاعة يوم القيامة، مع ذكر أنواعها، والخاص منها بنبينا ﷺ والرد على منكري الشفاعة من المعتزلة والخوارج.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع هذا الكتاب لأول مرة بالمطبعة المنيرية عام ١٣٥٣هـ، وقد نفدت هذه الطبعة حتى صارت في حكم المخطوطة، ثم طبع عدة طبعات أخرى ومنها:

٢- طبعة مكتبة الكليات الأزهرية، ودار الشروق للطباعة بمصر عام ١٣٨٧هـ، بمراجعة الشيخ محمد خليل هراس.

٣- طبعة مكتبة الرشد بالرياض بتحقيق د. عبد العزيز الشهوان وتقع في مجلدين، وهي أفضل الطبعات، وقد طبعت عام ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٩- الإبانة عن أصول الديانة

لأبي الحسن الأشعري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق، ينتهي نسبه إلى الصحابي المشهور أبي موسى الأشعري ﷺ. ولد سنة ٢٦٠هـ، وكان شافعي

المذهب في الفروع، وإمامًا في الكلام، أخذ الاعتزال عن زوج أمه أبي علي الجبائي، وتبحر حتى بلغ فيه الغاية ثم رجع عنه بعد أن قضى أربعين سنة عليه.

وقد مر رحمه الله في اعتقاده بثلاث مراحل: الأولى: مرحلة الاعتزال وهو اعتناقه لمذهب المعتزلة. الثانية: رجوعه عن الاعتزال واتخاذ طريقة عبد الله بن سعيد ابن كلاب والذي تنسب إليه الكلابية وهي عقيدة الأشاعرة الآن. الثالثة: رجوعه عن مذهب الكلابية إلى مذهب السلف الصالح إجمالاً، وإن لم تخل عقيدته من بقايا لحقته من آثار رحلته الطويلة. توفي رحمه الله ببغداد سنة ٣٢٤هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

تأتي أهمية هذا الكتاب من جهة كونه يمثل آخر مرحلة تعبر عن عقيدة الإمام الأشعري التي مات عليها، والتي تفصح عن رجوعه عن أي عقيدة سواها، وفي الكتاب تصريحه باتباعه لمذهب السلف؛ بل صرح أنه على ما يقوله أبو عبد الله أحمد بن حنبل، مما يدل على بطلان ما انتهجه أصحابه من بعده لا سيما من خلط عقيدته في المرحلة المتوسطة بالاعتزال.

والكتاب من جهة أخرى شهادة من إمام المتكلمين على صحة مذهب السلف، والحق ما شهد به المخالفون، وإن كان ما قاله السلف حقًا وليس متوقفًا على شهادة أحد.

كما يمثل الكتاب نوعًا معينًا من التأليف العقدي هو المناظرات الكلامية العقدية وهذا الكتاب أساس في ذلك؛ حيث يعتبر الكتاب ردًا على أصول الفرق من الجهمية، والمعتزلة القدرية، والحرورية والخوارج، والرافضة.

وأهم مميزات هذا الكتاب:

١- جمعه في الاستدلال بين المنقول والمعقول.

٢- صياغته على سبيل المناظرات الكلامية.

٣- العناية بذكر شبهات أهل الباطل وردها بالمنطق العقلي.

٦- بعده عن الأساليب الكلامية والألفاظ المنطقية.

٧- الشمولية لأكثر بحوث العقيدة.

وموضوع الكتاب هو تقرير ما أنكرته المعتزلة والقدرية من العقائد الإسلامية.

ويؤخذ على الكتاب: نسبة القول بخلق القرآن لأبي حنيفة وهو بريء منه، فقد صرح في كتابه الفقه الأكبر بأن القرآن غير مخلوق، وكثرة عرض الشبه، ومع ذلك فلا تخلو ردوده على هذه الشبهات من فوائد مهمة.

ثالثا: محتويات الكتاب:

سار الأشعري في كتابه على خطة البحث الآتية:

١- خطبة تضمنت بيان موضوع الكتاب وأسباب تأليفه.

٢- بيان مضمون العقائد الباطلة التي يراد ردها.

٣- سرد مقرون بالأدلة لعقيدة أهل الحق.

٤- إثبات الرؤية بالأبصار ورد الشبه حول هذه المسألة.

٥- إثبات أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ورد الشبه حول هذه المسألة.

٦- إثبات استواء الله على العرش وما يتبع ذلك من إثبات علوه تعالى على عرشه والرد على الشبه حول هذا الموضوع.

٧- تقرير الكلام على عدد من الصفات وهي الوجه والعينان والبصر واليدان وبيان مذهب السلف في ذلك والاستدلال عليه والرد على نفاتها.

٨- الرد على الجهمية في نفيهم للعلم والقدرة وجميع الصفات وإيراد بعض الشبه والاعتراضات وردها.

٩- مبحث خاص بالإرادة والرد على عقيدة المعتزلة فيها وإيراد الشبه والاعتراضات وردها حول صفة الإرادة.

١٠- الكلام على مباحث القدر كأفعال العباد والاستطاعة والتعديل والتجويز وفرض الشبه والرد عليها.

١١- الكلام على عدد من القضايا التي تتعلق بالقدر وهي التكليف، وإيلام الأطفال، والختم والآجال والأرزاق، والهدى والضلال، والتعليق على المشيئة (الاستثناء) وذكر ما ورد عن السلف حول القدر وإثباته بالدليل.

١٢- الكلام على بعض ما يتعلق بالموت وعذاب القبر وبعض ما يتعلق باليوم الآخر كالشفاعة، وأهل الكبائر وتقرير مذهب أهل السنة في ذلك وذكر الحوض وأدلته.

١٣- الكلام على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وأدلة ذلك من الكتاب والسنة.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- الكتاب له عدة طبعات بدون تحقيق علمي:

١- بمطبعة دائرة المعارف البريطانية بالهند سنة ١٣٢١هـ.

٢- بالمطبعة المنيرية بالقاهرة بدون تاريخ.

٣- بمطبعة الجمل المصرية بالقاهرة سنة ١٣٤٨هـ.

٤- ثم طبع الكتاب طبعة بتقديم وتحقيق وتعليق د.فوقية حسين محمود، بدار الأنصار بالقاهرة سنة ١٣٩٧هـ.

٥- ثم طبع أخيرًا بتقديم الشيخ حماد بن محمد الأنصاري بمطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤٠٠هـ.

١٠- شرح كتاب السنة

للإمام أبو محمد البربهاري رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، الفقيه، القدوة، كان قوالاً بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي في رجب سنة ٣٢٨هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

الكتاب عبارة عن جمل واضحة لخص فيها المصنف رحمه الله أهم معتقدات أهل السنة والجماعة مما اتفقوا عليه سواء في المسائل العلمية أو العملية، وإن خلا الكتاب من الأدلة النقلية والعقلية. كما قد يؤخذ الكتاب أن مسائله غير مرتبة، وفيه تكرار لبعض المسائل، ويلاحظ أن المصنف رحمه الله أدخل بعض المسائل المختلف عليها من الأحكام العملية ضمن كتابه.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يمكن اختصار مباحث الكتاب في الموضوعات الآتية:

١- الحث على لزوم السنة والجماعة والتحذير من البدع والأهواء والافتراق، والنهي عن المراء والجدال في الدين والأمر بالتسليم للنبي ﷺ.

٢- تقرير مذهب أهل السنة في باب الصفات، وإثبات صفة السمع والبصر والعلم والاستواء وأن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٣- إثبات رؤية الله يوم القيامة، والإيمان بالميزان وبعذاب القبر ومنكر ونكير وبالحوض والشفاعة والصراط وبالقصاص بين الخلق، وبالجنة والنار.

٤- تقرير مذهب أهل السنة في باب الإيمان، وأنه قول وعمل يزيد وينقص.

٥- تقرير أن أفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم بقية العشرة، ووجوب الترحم على جميع الصحابة، وذكر فضلهم.

٦- وجوب السمع والطاعة للأئمة في المعروف، وحرمة الخروج عليهم.

٧- إثبات الإسلام لكل من أظهره والصلاة على من مات من أهل القبلة وإن كان مرتكبًا للكبائر ولا يخرج أحد من الإسلام إلا برد آية أو حديث أو صرف شيء من العبادة لغير الله.

٨- النهي عن الكلام والجدل والخصومة في القدر.

٩- ذكر بعض المسائل العملية؛ كالرجم والمسح على الخفين، وقصر الصلاة، والفطر في السفر، واشتراط الولي والشاهدين في النكاح.

١٠- حصول الافتراق في الأمة، وذكر الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، والتحذير من الفتن ومجالسة أهل البدع.

رابعًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب محققًا في دار ابن القيم، بالدمام، بالسعودية بتحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني ١٤٠٨هـ.

٢- وطبع مرة أخرى في مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة بتحقيق خالد بن قاسم الردادي ١٤١٤هـ.

١١ـ الإيمان

للإمام ابن منده رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ المحدث أبو عبد الله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى ابن منده، ولد سنة ٣١٠هـ بأصبهان، ونشأ بها. و لم يبلغ أحد في عصره مبلغه في كثرة الشيوخ الذين سمع منهم وأخذ عنهم[١]، رحل لجمع السنة وسماعها إلى بلاد كثيرة مثل نيسابور والعراق والشام ومصر ومكة والمدينة، وكان كثير التصانيف مع الثقة والحفظ والإتقان، وقد وُصف بأنه فريد عصره دينًا وحفظًا ورواية مع اللطف والتواضع والعفة. يقول الذهبي في ترجمته: "وما علمت بيتًا من الرواة مثل بيت بني منده، بقيت الرواية فيهم من خلافة المعتصم[٢] وإلى بعد الثلاثين وستمائة"[٣]. وقد ألف ابن منده كتبًا في العقائد على منهج أهل السنة والجماعة بيَّن فيها الحق، ورد على شبهات المبطلين ودحضها بالنصوص الشرعية؛ ومن تلك الكتب: كتاب التوحيد، وكتاب الإيمان، وكتاب الرد على الجهمية، وكتاب في الرد على اللفظية، وكتاب في النفس والروح.

وقد توفي ابن منده رحمه الله سنة ٣٩٥هـ.

---

(١) يقول الذهبي: "فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبعمائة شيخ". سير أعلام النبلاء (١١/٧).

(٢) خلافة المعتصم سنة ٢٤٨هـ. البداية والنهاية (١١/٢).

(٣) سير أعلام النبلاء (١٩/٣٩٥).

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

سار المصنف رحمه الله على طريقة السلف في تصانيفهم في ذلك الزمان، فساق الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار السلفية المثبتة لمسائل الاعتقاد التي أوردها، مع وضع عنوان قبل النقولات توضح المراد بإيرادها، والمعنى الذي تثبته.

ثالثا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب على عدة محاور منها:

١- معنى الإيمان، والفرق بين الإيمان والإسلام، وبيان أركان الإيمان والإسلام.

٢- الإيمان يزيد وينقص، وتفاضل المؤمنين في الإيمان.

٣- صفة أصحاب رسول الله ﷺ ومنــــزلتهم.

٤- وجوب حب الله ورسوله وفضل الحب في الله والبغض فيه.

٥- فضل من أسلم على ما سلف من الخير في الجاهلية، وفضل من آمن من أهل الكتاب بنبيه صلى الله عليه وسلم ثم آمن بالمصطفى صلى الله عليه وسلم.

٦- ما يدل على أن النفاق على ضروب؛ نفاق كفر، ونفاق قلب ولسان وأفعال، وهي دون ذلك.

٧- وجوب الإيمان برؤية الله عز وجل.

٨- وجوب الإيمان بما أخبر به الرسول صلوات الله عليه من الآيات المستقبلة إلى قيام الساعة.

٩- وجوب الإيمان بالبعث والنشور، والحوض، والحساب والميزان.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب بمؤسسة الرسالة ببيروت في مجلدين عام ١٤٠٧هـ، بتحقيق الدكتور علي بن محمد بن ناصر الفقيهي.

١٢ـ كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته على الاتفاق والتفرد للإمام ابن منده رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى كون مؤلفه قد تعرض لجانب مهم من جوانب العقيدة ألا وهو التوحيد بأنواعه، وقد بحثه المصنف بحثًا مستفيضًا وأورد عليه الأدلة الكثيرة والمتنوعة من الكتاب والسنة وآثار السلف.

سلك المصنف في تأليفه للكتاب مسلك المحدثين في سوق الأسانيد إلى متونها تحت عناوين دالة على المعنى المراد من إيراد تلك النصوص.

وقد أكثر من الآيات في القسم الأول وهو بحث الوحدانية في الخلق وهي أدلة توحيد الربوبية، ولم يخل فصل من ذكر الأحاديث المفسرة لتلك الآيات، كما أكثر من الأحاديث والآيات في الأقسام الأخرى وهي بحث الأسماء الحسنى، والصفات، ولما تطرق للتصريح بذكر توحيد الربوبية في آخر الكتاب استدل على ذلك بالآيات وأقوال بعض السلف.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

يقع الكتاب في سبعة أجزاء، وقد اشتمل على مائتين وستة وأربعين فصلاً،

شملت تسعمائة وستة عشر حديثًا وأثرًا.

وقد شمل الكتاب أقسام التوحيد الثلاثة؛ وهي: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وقد بحث المصنف توحيد الأسماء مستقلاً ثم أتبعه بتوحيد الصفات بحيث جاءت الأقسام أربعة.

وقد بدأ المصنف بقسم الوحدانية في الربوبية وأطال فيه النفس مستدلاً به على توحيد الألوهية، ثم ذكر عنوانًا لتوحيد الأسماء ومنه دخل في توحيد الألوهية، ثم عاد لتكميل أسماء الله تعالى، ثم أتبعه بتوحيد الصفات حيث بحثه مستقلاً عن الأسماء، ثم عاد إلى توحيد الربوبية بالتصريح بذلك في آخر الكتاب.

رابعًا: طبعات الكتاب:

- طبع الكتاب في مكتبة الغرباء الأثرية بالمدينة المنورة، بتحقيق د. علي ابن ناصر الفقيهي، عام ١٤١٤هـ.

١٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة

للإمام اللالكائي رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي الحافظ، جمع بين الحديث والفقه إلا أن شهرته بالحديث أكثر ومؤلفاته تدل على هذا، شهد له العلماء بالحفظ والإتقان وعلو الشأن، وهو في باب الاعتقاد على طريقة أهل الحديث ومذهب أهل السنة. توفي رحمه الله سنة ٤١٨هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المصنفة في العقيدة عند أهل السنة

والجماعة وقل أن نجد مصنفًا بعده لا يستفيد منه أو يشير إليه.

ذكر المؤلف رحمه الله منهجه في مقدمة الكتاب وبين الطريقة التي سيتبعها في التأليف وهي:

١- أنه لم يبدأ في تأليف هذا الكتاب حتى تصفح عامة كتب الأئمة الماضين وعرف مذاهبهم ومناهجهم، ولم يأل جهدًا في تصنيفه.

٢- أنه فصل المسائل الخلافية وبين المحدِث لكل مسألة، والفترة الزمنية التي أحدثت فيها.

٣- الاستدلال على صحة مذهب أهل السنة بالقرآن الكريم، فإن لم يجد فمن السنة، فإن لم يجد فيهما ولا في أحدهما استشهد بقول الصحابة رضي الله عنهم، فإن لم يجد عنهم فعن التابعين لهم بإحسان.

٤- ثم أخبر أنه لم يسلك فيه طريق التعصب على أحد من الناس.

هذا هو المنهج المكتوب وهناك جانب آخر منه اتبعه المؤلف ولم يذكره وهو:

١- أن المؤلف اهتم بالجمع فقط من غير تمحيص للأحاديث والآثار التي أوردها.

٢- المؤلف يعرض الاعتقاد ثم يذكر أدلته سردًا من غير تعليق أو شرح، ولعل المؤلف رحمه الله معذور في ذلك لكثرة النصوص الواردة إذ لو اتبع هذا المنهج لتضخم الكتاب إلى أكبر من حجمه.

٣- المؤلف لم يذكر المذاهب المخالفة في المسألة التي يوردها إلا في أماكن قليلة جدًا كما في مسألة: (الاسم والمسمى) ونحوه.

٤- يختم بعض المباحث برؤى ومنامات تشهد لأهل السنة والجماعة بصحة عقائدهم وتعيب على المخالفين لهم كما فعل في نهاية مبحث القرآن والقدر.

٥- يقدم في أول المبحث بعض الآثار بدون سند ثم يأتي بها بعد ذلك بأسانيدها.

ومن مميزات الكتاب ما يلي:

١- يشتمل هذا الكتاب على عدد كبير من النصوص ما بين حديث وأثر كلها تتحدث عن مسائل عقدية.

٢- والكتاب يعتبر موسوعة لأسماء علماء أهل السنة، وهذا يؤكد إجماع الأمة على عقيدة أهل السنة قبل وبعد ظهور الانحرافات في الاعتقاد.

٣- يعتبر الكتاب من المستخرجات حيث إن المؤلف رحمه الله سلك في إيراده للآثار مسلك المحدثين إذ يورد الحديث أو الأثر بسنده إلى قائله، فإذا كان الحديث مخرجًا في أحد كتب السنة فإنه لا يورده من طريقه؛ بل من طريق آخر ولا يكاد يوجد في هذا الكتاب ما يخالف هذه القاعدة، ولا شك أن وروده من تلك الطريق سيؤدي إلى زيادة أو موافقة لها فائدتها الحديثية.

ومن المآخذ التي تؤخذ عليه ما يلي:

١- عدم التنظيم، فلم يهتم المؤلف رحمه الله بجانب التنظيم لا في عناوين الكتاب ولا في الموضوعات.

فالعناوين لم تنظم بحيث تشمل أبوابًا وفصولاً يعرف منها بداية الباب ونهايته ومحتواه، وإنما يسوق الموضوعات سوقًا تحت عنوان (سياق كذا وكذا) ولم يستعمل كلمة: (باب) إلا أربع مرات تحتها هذه السياقات المتقدمة، مما أدى إلى دخول بعض المباحث تحت أحد هذه الأبواب وكان من حقها أن تفصل وتوضع تحت باب آخر، كما وقع ذلك في مبحث القدر مثلاً فقد جاء بعد تقدم باب في التوحيد من غير فصل.

٢- ضعف بعض الأحاديث والآثار الواردة فيه؛ فإن المؤلف رحمه الله قد أخرج في كتابه عشرات الأحاديث والآثار الضعيفة والتي لا تصلح أدلة في أمور العقيدة، وقد نبه على ذلك محقق الكتاب وفقه الله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تنوعت مباحث الكتاب، ولعل أهمها ما يلي:

١- فضل حفظ السنة والأمر بالاتباع والتمسك بالكتاب والسنة والمحافظة على الجماعة والنهي عن مناظرة أهل البدع.

٢- القرآن كلام الله غير مخلوق وأقوال علماء أهل السنة الدالة على ذلك، وحكم المخالف في هذه المسألة ومن قال: لفظي بالقرآن مخلوق، ومتى حدث القول بخلق القرآن ومن أول من قاله.

٣- ذكر جملة من صفاته تعالى كاستوائه على العرش، واتصافه تعالى بالعلم وكون علمه غير مخلوق، وأن الله تعالى سميع بسمع بصير ببصر، وإثبات الوجه والعينين واليدين، ونزول الرب تبارك وتعالى، ورؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

٤- القدر وعقيدة أهل السنة فيه ومذاهب المخالفين، وما يتعلق به من مسائل.

٥- سياق ما روي في نبوة النبي ﷺ متى كانت وبم عرفت، وفضائل النبي ﷺ ومعجزاته.

٦- الكلام على الإيمان وعلاقته بالإسلام، وتعريفه وزيادته ونقصانه والاستثناء فيه، والخصال المعدودة في الإيمان، وسياق النصوص وأقوال أئمة أهل السنة في هذه المسائل.

٧- ضلال المرجئة وقبح مذهبهم ومتى حدث وما روي في ذم المرجئة.

٨- مذهب أهل السنة في مرتكبي الكبائر والتوبة منها والشفاعة لأهلها.

٩- عذاب القبر وسؤال الملكين، وإهداء الأعمال الصالحة للأموات.

١٠- طاعة الأئمة والأمراء.

١١- فضائل الصحابة والحث على حبهم، والوعيد لمن تناولهم أو تنقصهم، وعقوبات من سب الصحابة، والتفضيل بينهم.

١٢- فضائل الخلفاء الأربعة وترتيب الخلافة بينهم، وفضائل بقية العشرة والعباس وحمزة وأمهات المؤمنين.

١٣- ما ورد من آيات وأحاديث وآثار عن الصحابة والتابعين في كرامات الأولياء، وما روي من كرامات بعض الصحابة والتابعين وأولياء الله تعالى.

رابعًا: طبعات الكتاب:

يشتمل الكتاب على ثمانية أجزاء طبعت في أربعة مجلدات بتحقيق د. أحمد سعد حمدان، بالإضافة إلى جزء في كرامات أولياء الله طبع في مجلد مستقل لنفس المحقق. نشر دار طيبة، الرياض.

ثم طبع بمصر طبعة أخرى محققة، ومقابلة على نسخة خطية، بتحقيق نشأت كمال المصري.

١٤- كتاب عقيدة السلف أصحاب الحديث

للإمام أبو عثمان الصابوني رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عائذ الصابوني، ولد سنة ٣٧٢هـ، وتولى الوعظ بعد والده، وكان يحضر مجلس وعظه كبار العلماء أخذ عن شيوخ عصره حتى برع في العلم وتفنن فيه، توفي رحمه الله في شهر المحرم من سنة ٤٤٩هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى أمرين أساسيين هما:

١- أنه من المصادر الرئيسة في نقل عقيدة السلف، ولم يزل العلماء ينقلون عنه النقول وينسبون إليه الأقوال، وممن نقل عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب التأسيس وفي كتاب الحموية.

٢- تقريره لموقف السلف من النصوص مع مقارنته بمنهج أهل البدع مما يظهر مدى استقامة أصول السلف والانحراف عن الحق عند أهل البدع.

موضوع الكتاب هو تقرير العقيدة السلفية في أصول الدين، وقد سار المصنف رحمه الله في هذا الكتاب على النهج التالي:

١- بيان العقائد السلفية بالدليل والبرهان من الكتاب والسنة.

٢- نقل مذهب السلف بالأسانيد الصحيحة.

٣- الاختصار مع تمام المعنى في سياقه للعقائد.

ومما يلاحظ على الكتاب:

١- سوقه لبعض الأمور الفرعية مع أنه كتاب في الاعتقاد والذي دعاه لذلك أنها كالعلامة والشعار لأهل السنة في زمانه.

٢- توقفه في مسألة اللفظ بالقرآن اقتداء بابن جرير، وكان الواجب التفصيل كما صنع البخاري وابن قتيبة عليهم جميعًا رحمة الله.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

قد اشتمل الكتاب على تقرير عدد من المباحث من أهمها ما يلي:

١- إثبات صفات الله مما وردت به النصوص، كالاستواء والعلو والفوقية والنزول والمجيء، وبيان الفرق بين أهل السنة وأهل البدع في التعامل مع نصوص

الصفات.

٢- اعتقاد أهل الحديث أن القرآن كلام الله غير مخلوق.

٣- الكلام على البعث بعد الموت، والشفاعة لأهل الكبائر، والحوض، والكوثر، والجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم عيانًا في الآخرة.

٤- بيان اعتقاد أهل الحديث في حقيقة الإيمان وزيادته ونقصانه.

٥- بيان اعتقادهم في مرتكب الكبيرة في الدنيا والآخرة.

٦- بيان فضائل الصحابة ووجوب محبتهم وحسن الظن بهم، وإثبات خلافة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وأن فضلهم بحسب ترتيبهم في الخلافة، ووجوب الكف عما شجر بينهم.

٧- وجوب الصلاة خلف الأئمة المسلمين والدعاء لهم ونصيحتهم، والجهاد معهم والصبر على جورهم وعدم الخروج عليهم وإن جاروا.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب عدة طبعات نذكر منها:

١- طبع في المطبعة المنيرية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية، بالقاهرة، عام١٣٤٣هـ.

٢- طبع في الدار السلفية بالكويت بتحقيق بدر البدر سنة ١٤٠٤هـ. وهو في الحقيقة تخريج أكثر منه تحقيق.

٣- طبع في دار العاصمة، بدراسة وتحقيق د.ناصر الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

١٥ـ الكلام على الصفات

للخطيب البغدادي رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام العلامة خاتمة الحفاظ أبو بكر بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، ولد سنة ٣٩٢هـ. انتهت إليه رياسة علم الحديث في زمانه، وبلغ الغاية حفظًا وإتقانًا وضبطًا لحديث رسول الله ﷺ، وتفننًا في علله وأسانيده، وعلمًا بصحيحه وغريبه، وفرده ومنكره ومطروحه. وقد بلغت مصنفاته ستًا وخمسين مصنفًا. توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة ٤٦٣هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب من نوادر الخطيب البغدادي رحمه الله، وهو من هو في العلم والمكانة، وانتساب الكتاب إليه إضافة عظيمة للمنافحين عن مذهب أهل السنة في باب الصفات.

وهذا الكتاب تلخيص جيد لمذهب أهل السنة في باب الصفات بأسلوب سهل واضح لا تعقيد فيه، وهو على صغره لم يخل من الأدلة النقلية والعقلية على إثبات منهج السلف في باب الصفات.

ثالثا: محتويات الكتاب:

ليس في الكتاب إلا مبحث واحد بيّن فيه المصنف رحمه الله مذهب السلف في باب الصفات مستعينًا بالأدلة النقلية والعقلية، ثم وضح أن الأحاديث المروية في الصفات على ثلاثة أقسام وبين حكم كل منها.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب في مكتبة ابن تيمية بالقاهرة ومكتبة العلم بجدة، بتحقيق عمرو عبد المنعم، عام ١٤١٣هـ.

وقد روى الإمام الذهبي جزءًا من هذا الكتاب في كتاب سير أعلام النبلاء، وذلك في سياق ترجمته للخطيب البغدادي.

١٦ـ الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة لقوّام السنة أبو القاسم التيمي الأصبهاني رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد ابن طاهر التيمي الطلحي الأصبهاني. ولد سنة ٤٥٧هـ بأصبهان، ونشأ بها، ثم رحل إلى بغداد ونيسابور ومكة لتحصيل العلم، وقد منَّ الله عليه بالعلم الواسع والهمة العالية فكان إمامًا في التفسير والحديث واللغة والأدب، عارفًا بالمتون والأسانيد، حتى نال ثناء أهل عصره، ولقب بشيخ الإسلام وبقوام السنة، وعده بعضهم مجدد القرن السادس. كما كان زاهدًا عفيفًا نزيه النفس عن المطامع، لا يدخل على السلاطين ولا على من اتصل بهم.

عاش أبو القاسم في الوقت الذي انتشرت فيه الفرق المخالفة لأهل السنة وتم ظهورها، فوفقه الله لسلوك منهج السلف في العقيدة، والتصنيف للرد على المبتدعة، فله في العقيدة ثلاثة مصنفات: الحجة في بيان المحجة، والسنة، ودلائل النبوة وقد عُمِّر ثمانية وسبعون عامًا، وتوفي يوم الأضحى سنة ٥٣٥هـ.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يقول المصنف في بيان أهمية كتابه والسبب الذي دفعه إلى تأليفه: "وحين رأيت قوام الإسلام بالتمسك بالسنة، ورأيت البدعة قد كثرت والوقيعة في أهل السنة قد فشت، ورأيت اتباع السنة عند قوم نقيصة، والخوض في الكلام درجة رفيعة، رأيت أن أملي كتابًا في السنة يعتمد عليه من قصد الاتباع وجانب الابتداع، وأبين فيه اعتقاد أئمة السلف وأهل السنة في الأمصار، والراسخين في العلم في الأقطار، ليلزم المرء اتباع الأئمة الماضين، ويجانب طريقة المبتدعين، ويكون من صالحي الخلف لصالحي السلف"(١).

ويعد الكتاب من أفضل ما صنف علماء السلف في العقيدة، وذلك للأمور الآتية:

١- جمع موضوعات العقيدة كاملة مستوفاة في الكتاب بقسميه، مع الاستفادة بمؤلفات العقيدة لدى المتقدمين عن المصنف.

٢- الامتياز بالتنظيم على هيئة أبواب وفصول.

٣- عدم الاكتفاء بسرد الأحاديث والآثار؛ بل مناقشة المخالفين لعقيدة السلف، والإشارة إلى أقوالهم وردها بالأدلة النقلية والعقلية ودلالة اللغة.

ولم يشر المصنف في مقدمة كتابه إلى منهجه في التأليف، وإن كان قد سلك في تأليفه المنهج الآتي:

١- يعقد المصنف الباب أو الفصل، ويسرد الآيات والأحاديث والآثار المتعلقة به بأسانيدها.

٢- في بعض المباحث يناقش المخالفين من المعتزلة أو الأشاعرة، يرد

---

(١) انظر مقدمة كتاب الحجة في بيان المحجة ص٨٤.

عليهم بالأدلة النقلية والعقلية واللغوية.

٣- كثيرًا ما ينقل المؤلف من كتب العلماء بسنده إليهم وخاصة ابن منده واللالكائي، كما ينقل عقيدة كاملة لبعض العلماء من أهل السنة.

٤- اعتنى المصنف بالرد على القائلين بخلق القرآن وما يتعلق بذلك، فأكثر فيه الفصول، وكررها في الجزء الأول والثاني.

وعلى الكتاب بعض المآخذ اليسيرة وهي:

١- تضمن بعض الأبواب على فصول غير مرتبة وغير مطابقة لعنوان الباب.

٢- تكرار الكلام عن موضوع واحد في أماكن متعددة، وخاصة مبحث "القرآن كلام الله غير مخلوق".

٣- عدم تخريج الأحاديث والآثار الواردة في الكتاب إلا نادرًا، مع إيراد أحاديث ضعيفة دون الإشارة إلى ضعفها.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

مباحث الكتاب تتبين من خلال استعراض عناوين أبوابه، وهي أربعة عشر بابًا مشتملة على مائتين وثمانين فصلاً، تقع في جزأين.

ويشتمل الجزء الأول على الأبواب الآتية:

١- باب في التوحيد.
٢- باب في مجيء الأخبار عن النبي ﷺ متواترة في صفات الله.
٣- باب ذكر إثبات وجه الله ﷻ.
٤- باب الدليل من الكتاب والأثر على أن الله تعلى لم يزل متكلمًا آمرًا ناهيًا.
٥- باب ما ورد في كتاب الله من بيان أن القرآن كلام الله غير مخلوق.
٦- باب مسائل الإيمان.

٧- باب في الرد على الجهمية والمعتزلة.

أما الجزء الثاني فيشتمل على الأبواب الآتية:

٨- باب القدر.

٩- باب ذكر الوعد والوعيد.

١٠- باب في بيان استواء الله ﷻ على العرش.

١١- باب كلام الرب ﷻ.

١٢- باب فضائل الصحابة.

١٣- باب في التمسك بالسنة.

١٤- باب في اجتناب البدع والأهواء.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع الكتاب في دار الراية للنشر والتوزيع بالرياض، عام ١٤١١هـ، بتحقيق محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، و محمد أبو رحيم

١٧- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام ابن قدامة رحمه الله

أولاً: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجَمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي. ولد بجَمّاعيل من أعمال نابلس سنة ٥٤١هـ، كان إمامًا في علم الفرائض والخلاف، والأصول والفقه، والنحو والحساب، والعبادة والزهادة. وكان ذكيًا شجاعًا شديد الاحتمال للأذى، له مصنفات ذائعة الصيت في أصول الدين والفقه وأصول الفقه والتفسير والحديث. توفي رحمه الله سنة ٦٢٠هـ.

والاستفادة منها.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب حول الموضوعات التالية:

١- المقدمة وبيَّن فيها موضوع الكتاب وسبب تأليفه والفرق بين التوحيد والشرع والقدر.

٢- الكلام عن النفي والإثبات وبيان مذهب السلف ومذاهب فرق الضلال فيهما.

٣- الحديث عن الصفات وتقرير عقيدة أهل السنة فيها.

٤- بيان الأصل الثاني وهو التوحيد في العبادات، وبطلان اتخاذ الوسائط بين الله وخلقه.

٥- ذكر تقسيم المتكلمين للتوحيد، وبيان بطلانه.

٧- بيان أقسام الناس في القدر والأمر.

٨- بيان آراء الناس في العقل والنقل وبطلان القول بتعارضهما، وذكر قولهم في الفناء في الذات الإلهية وما فيه من الباطل.

٩- توضيح العلاقة بين العبادة والاستعانة.

رابعًا: طبعات الكتاب وشروحه:

طبع الكتاب عدة طبعات ومن أحسنها ثلاث طبعات:

١- طبعة بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش – المكتب الإسلامي.

٢- طبعة بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

٣- طبعة بتحقيق الدكتور محمد السعوي، وهي أجود وأكمل الطبعات،

وهو موضوع الرسالة التي نال بها درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، طبعة مكتبة العبيكان بالرياض، سنة١٤١٦هـ.

ويوجد للكتاب شروح مختصرة ومن أهمها:

١- التحفة المهدية للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، تصحيح وتعليق د. عبد الرحمن المحمود، طبعة دار الوطن بالرياض عام ١٤١٤هـ.

٢- تقريب التدمرية للشيخ ابن عثيمين.

٣- الكواكب الدرية بحل ألفاظ التدمرية للدكتور إبراهيم البريكان.

١٩- العقيدة الواسطية
لشيخ الإسلام ابن تيمية

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق التعريف به.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

ترجع أهمية الكتاب إلى شموله لأهم قضايا العقيدة، فتحدث عن الإيمان بالله وأركانه، وتوحيد الأسماء والصفات، والواجب نحو أصحاب النبي ﷺ، وكرامات الأولياء وصفات أهل السنة، فجاء هذا الكتاب جامعًا لمعظم بحوث عقيدة أهل السنة.

كما أن هذه العقيدة عرضت في مقام التحدي لخصوم شيخ الإسلام ومخالفيه في العقيدة، ولم يستطع أحد منهم أن ينكر عليه شيئًا مما جاء فيها، بل وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفي جيد كما ذكر ذلك الإمام الذهبي رحمه

الله تعالى.

ولقد جلىّ شيخ الإسلام في هذا الكتاب وسطية أهل السنة والجماعة في أبواب الدين ومسائله، ككتاب الصفات وأفعال الله والوعيد وأسماء الإيمان والدين والصحابة وغيرها.

دعَّم فيه شيخ الإسلام رحمه الله معتقده بالدلائل النقلية من الآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة بما لا مزيد عليه، وكذا دعمه بالدلائل العقلية القوية.

وقد عرض شيخ الإسلام رحمه الله قضايا العقيدة في تسلسل جيد وبأسلوب واضح، وحرص على تحري ألفاظ الكتاب والسنة في هذه العقيدة و لم يلتفت إلى ما أحدث من ألفاظ في باب الاعتقاد.

ثالثا: محتويات الكتاب:

يمكن إيجاز أهم مباحث الكتاب في الموضوعات التالية :

١- موقف أهل السنة والجماعة من الإيمان بصفات الله تعالى.

٢- حقيقة الإيمان عند أهل السنة وحكم مرتكب الكبيرة.

٣- القدر ومراتبه والرد على المخالفين فيه.

٤- الصحابة الكرام والواجب نحوهم ومكانتهم وفضائلهم، والرد على المبتدعة والروافض فيما يقولون في حق أصحاب رسول الله ﷺ.

٥- مذهب أهل السنة والجماعة في كرامات الأولياء.

٦- صفات أهل السنة والجماعة و لم سُمُّوا بهذا الاسم، وبيان وسطيتهم.

٧- مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال.

رابعًا: طبعات الكتاب وشروحه:

طبعت الواسطية طبعات كبيرة مفردة ومجموعة مع غيرها ومشروحة، وتربو شروح الواسطية والتعليقات عليها المطبوعة على العشرين ومن أهمها:

١- الكواشف الجلية في شرح العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز المحمد السلمان، بالرياض، طبعة رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، عام ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٢- التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه العقيدة الواسطية من المباحث المنيفة، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، وعليه تعليقات نفيسة للشيخ ابن باز رحمه الله، طبعة دار ابن القيم للنشر والتوزيع عام ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٣- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية، للشيخ زيد بن عبد العزيز ابن فياض، طبعة دار الوطن بالرياض عام ١٤١٤هـ.

٤- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية، للشيخ عبد العزيز بن ناصر الرشيد، طبعة دار الرشيد للنشر والتوزيع عام١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٥- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ صالح بن فوزان عبد الله الفوزان، طبعة مكتبة المعارف بالرياض، عام ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

٦- شرح العقيدة الواسطية، للشيخ محمد خليل هراس، طبعة دار الهجرة للنشر والتوزيع بالرياض، عام ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

٧- تبسيط العقيدة الواسطية، للشيخ محمد عبد العزيز مانع، دار الحرمين للطباعة والنشر بالقاهرة، عام ١٤١٩هـ.

٨- المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية، للشيخ ابن عثيمين، طبعة مكتبة طبرية بالرياض، عام ١٤١٢هـ- ١٩٩٣م.

٢٠- الفتوى الحموية الكبرى

لشيخ الإسلام ابن تيمية

أولاً: التعريف بالمؤلف:

سبق تعريفه.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

هذا الكتاب ضمنه شيخ الإسلام أصول وقواعد عقيدة السلف في الأسماء والصفات، ونقل عنهم وأطال في ذلك، وقد امتحن الشيخ رحمه الله بسببها، أجزل الله مثوبته.

وكان شيخ الإسلام قد ورد إليه سؤال من مدينة حماه عما يجب الإيمان به من صفات الله الثابتة في كتابه الحكيم وصحيح سنة رسوله الكريم - كالاستواء على العرش، والعلو، والترول إلى السماء الدنيا وغير ذلك هل هي على ظاهرها أم لا بد من تأويلها؟

فأجاب بما أجاب به الإمام مالك بن أنس وشيخه ربيعة بن عبد الرحمن. وهو أن: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"، وأن هذا ما كان عليه الأئمة المتبوعون والصحابة قبلهم والتابعون. فهاج القائلون بالتأويل على هذه الفتوى.

فرأى شيخ الإسلام أن يزيد هذا التحقيق بيانًا، فأضاف إلى الفتوى نصوصًا عظيمة عن أعلام العلماء من أتباع المذاهب الأربعة والصوفية، كأقوال ابن أبي زمنين الأندلسي المالكي، وابن خفيف الشيرازي الشافعي الصوفي،

وعمرو بن عثمان المكي الصوفي وغيرهم، فانتشرت الفتوى بعد هذه الزيادات انتشارًا عظيمًا، وسميت الفتوى الحموية الكبرى، لتتميز عن أختها السابقة التي عرفت فيما بعد باسم الفتوى الحموية الصغرى.

ثالثًا: محتويات الكتاب:

تدور مباحث الكتاب حول ما يجب من الإيمان بصفات الله تعالى الثابتة في الكتاب والسنة كالاستواء والعلو والنزول إلى سماء الدنيا... وإقرار منهج أهل السنة في باب الصفات والرد على مخالفيهم وبيان خطأهم.

رابعًا: طبعات الكتاب:

طبع هذا الكتاب بالمطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٩٨هـ.

٢١- العلو للعلي الغفار

للإمام الذهبي رحمه الله

أولًا: التعريف بالمؤلف:

هو الإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز التركماني الشافعي الدمشقي الشهير بالذهبي.

ولد في ربيع الآخر سنة ٦٧٣هـ بدمشق، ونشأ في أسرة علمية، ورحل في طلب العلم، وذاع صيته في العالم الإسلامي، وقصده طلاب العلم من كل مكان، بعد أن أصبح إمامًا في القراءات والحديث، والسير والجرح والتعديل، وترك ثروة علمية عظيمة بلغت ٢١٥ مؤلفًا، توفي رحمه الله ليلة الاثنين ٣ ذو القعدة سنة ٧٤٨هـ، ودفن بدمشق.

ثانيًا: أهمية الكتاب ومنهجه:

يعالج هذا الكتاب مسألة من أهم المسائل الاعتقادية التي اختلف المسلمون فيها منذ أن وجدت المعتزلة وحتى الآن، ألا وهي مسألة علو الله عز وجل على خلقه، الثابتة بالكتاب والسنة، المدعمة بشاهد الفطرة السليمة.

وقام المصنف رحمه الله بحشد مجموعة كبيرة من الأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين وأئمة السلف تثبت هذه المسألة وترد على المخالفين فيها وتدحض شبهاهم وجملة الكتاب عبارة عن أحاديث وآثار مروية بأسانيدها إلى النبي ﷺ وإلى أصحابها، تدول حول إثبات علوه تعالى.

ثالثًا: طبعات الكتاب:

١- طبع الكتاب طبعات متعددة، منها طبعة بتعليق الشيخ عبد الرزاق عفيفي طبعت بمطبعة جماعة أنصار السنة المحمدية ١٣٥٧هـ.

٢- طبعة أخرى اعتنى بها أشرف عبد المقصود طبعت بمكتبة أضواء السلف بالرياض ١٤١٦هـ.

٣- كما اختصره الشيخ الألباني رحمه في مختصر العلو، وحققه وعلّق عليه، وهو من نشر وطبع المكتب الإسلامي ببيروت.

٤- ثم طبع محققًا في رسالة علمية بدار الوطن بالرياض، بتحقيق عبد الله ابن صالح البراك، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب مع كتاب المصنف "الرد على بشر المريسي" تضمنا الرد على فرق الجهمية. وقد تعرض المصنف في هذا الكتاب لمسائل الأسماء والصفات فأيد السلف في إثباتهم لها من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه. وقد غلبت عليه نزعة الأثر والتمسك به، حتى لا تكاد تخلو صفحة إلا وله فيها رواية أو عدة روايات.

٣٣- الرضا عن الله بقضائه
للإمام ابن أبي الدنيا البغدادي رحمه الله

دار النشر: الدار السلفية – بومباي. **تاريخ الوفاة:** ٢٨١هـ.
المحقق: ضياء الحسن السلفي. **سنة النشر:** ١٤١٠هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: صُنف هذا الكتاب على طريقة المحدثين حيث جمع المؤلف فيه ما ورد من آيات وأحاديث وآثار عن السلف الصالح في فضل الرضا بقضاء الله وقدره، وصور الرضا، ودرجاته، وكيفية الوصول إليه، وجزاء أهله في الدنيا والآخرة.

٣٤- السنة
محمد بن نصر المروزي رحمه الله

دار النشر: مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت. **تاريخ الوفاة:** ٢٩٤هـ.
المحقق: أبو محمد سالم بن أحمد السلفي. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع هذا الكتاب ما ورد من أحاديث وآثار في وجوب اتباع السنة والجماعة ونبذ الاختلاف والفرقة، مع بيان الأوجه المختلفة لمعنى السنة، فأفرد فصلاً للسنن التي هي تفسير لمجمل القرآن، وآخر للسنة هل يمكن أن تكون ناسخة لبعض أحكام القرآن، وثالثًا للسنة التي هي زيادة من النبي ﷺ وليس لها أصل في القرآن.

٣٥- العرش وما روي فيه

محمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي رحمه الله

دار النشر: مكتبة العلا – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٢٩٧هـ.

المحقق: محمد بن حمد الحمود. **سنة النشر**: ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على جملة من الأحاديث والآثار التي تدور حول إثبات استواء الله ﷻ على عرشه، كما تناول الرد على الجهمية الذين زعموا أن الله في كل مكان وأنكروا أن يكون الله سبحانه فوق عرشه كما أخبر هو عن نفسه.

٣٦- صريح السنة

محمد بن جرير الطبري رحمه الله

دار النشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٣١٠هـ.

المحقق: بدر يوسف المعتوق. **سنة النشر**: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: رسالة مختصرة اشتملت على جملة من أصول مسائل الاعتقاد، مثل: مسألة خلق القرآن، ورؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، وأفعال العباد، وفضل أصحاب النبي ﷺ، وزيادة الإيمان ونقصانه.

٣٧- السنة

أبو بكر الخلال رحمه الله

دار النشر: دار الراية - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٣١١هـ.

المحقق: د. عطية الزهراني. **سنة النشر**: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في **خمسة أجزاء**، ويتعرض لعدة موضوعات على مذهب أهل السنة، وهي: أحكام الإمارة والخلافة، ووجوب ملازمة الجماعة، وفضائل الصحابة، ويشرح أحكام الخوارج، وأحكام اللصوص، كما يتناول الرد على الروافض في عقيدهم في الصحابة، والرد على القدرية في القدر، والمرجئة في الإيمان، والجهمية في خلق القرآن.

٣٨- الرد على من يقول القرآن مخلوق
أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر رحمه الله

دار النشر: مكتبة الصحابة الإسلامية – الكويت. **تاريخ الوفاة**: ٣٤٨هـ.

المحقق: رضا الله محمد إدريسي. **سنة النشر**: ١٤٠٠هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: صُنفت هذه الرسالة الصغيرة على طريقة المحدثين، حيث جمع فيها المؤلف ما ورد من أحاديث نبوية وآثار عن السلف والأئمة في إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى.

٣٩- الشريعة
أبو بكر محمد بن الحسن الآجري رحمه الله

دار النشر: الكتب العلمية – بيروت. **تاريخ الوفاة**: ٣٦٠هـ.

المحقق: محمد حامد الفقي. **سنة النشر**: ١٤٠٣هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أقام المؤلف كتابه على ثلاثة أسس: أولها: التحذير من التفرق في الدين، والحرص على الجماعة، وثانيها: معرفة الله تعالى وإخلاص العبادة له، وثالثها: معرفة النبي ﷺ وتجريد الاتباع لشرعه، مع بحث بعض المسائل ككيفية نزول الوحي على النبي ﷺ، والكلام على النبوة وما يتصل بها من أحكام.

التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة

للإمام أبي بكر محمد بن الحسن الآجري رحمه الله

دار النشر: مؤسسة الرسالة - بيروت. **تاريخ الوفاة**: ٣٦٠هـ.

المحقق: سمير بن أمين الزهيري. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يسرد المؤلف في هذا الكتاب كثيرًا من الآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين في إثبات رؤية المؤمنين ربهم ﷻ في الجنة، وقد أكثر من تكرار الأحاديث والآثار بأسانيد متعددة من أجل التأكيد، كما أنه كثيرًا ما يردف الآيات بتفسير لبعض التابعين والأئمة مثل الإمام أحمد بن حنبل وغيره، وهذا الكتاب في الأصل جزء من كتاب الشريعة، وقد طبع محققًا مؤخرًا مع كتاب الشريعة.

٤٠ـ العظمة[1]

عبد الله بن جعفر بن حيان الأصبهاني رحمه الله

دار النشر: دار العاصمة — الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٣٦٩هـ.

المحقق: رضاء الله محمد بن إدريس المباركفوري. **سنة النشر**: ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يدور الكتاب حول عظمة الله تعالى من خلال ما اتصف به من صفات الكمال التي تليق بجلاله وكماله، مع ذكر عظمة مخلوقات الله، وأدلة وجوده ﷻ، وذكر الآثار الدالة على ذلك.

---

(١) وقد كُتب هذا الكتاب على منهج أهل السنة والجماعة بعد ترك المصنف لمذهب الأشاعرة والتزامه بمذهب السلف.

٤٩- السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها

للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

دار النشر: دار العاصمة - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٤٤٠هـ.
المحقق: د. رضاء الله محمد بن إدريس المباركفوري. **سنة النشر**: ١٤١٦هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذا الكتاب جملة من الأحاديث والآثار الواردة في فتن آخر الزمان، وأشراط الساعة الصغرى والكبرى. وقد بوَّب لكل منها بابًا جمع تحته الأدلة بأسانيدها على طريقة المحدثين.

٥٠- مسائل الإيمان

القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي رحمه الله

دار النشر: العاصمة - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ٤٥٨هـ.
المحقق: سعود بن عبد العزيز الخلف. **سنة النشر**: ١٤١٠هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: ألف القاضي رحمه الله هذا الكتاب جوابًا لسؤال ورد إليه في بيان قول الإمام أحمد في تعريف الإيمان وما يتعلق به من مسائل؛ كتفاضل درجات الإيمان، والعلاقة بين الإسلام والإيمان وغير ذلك. ومنهجه في التصنيف هو ذكر المسألة ثم إيراد قول الإمام أحمد وغيره من الأئمة فيها، مع الاستدلال بالكتاب والسنة، وبعد ذلك يورد أقوال المخالفين ويرد عليهم فرقة فرقة، ولا يخلو معتقد أبي يعلي من تعقبات فليتنبه لها.

٥١- إبطال التأويلات لأخبار الصفات

للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء رحمه الله

دار النشر: دار الإمام الذهبي. **تاريخ الوفاة:** ٤٥٨هـ.
المحقق: محمد حمود النجدي. **سنة النشر:** ١٤١٠هـ.
رقم الطبعة: الأولى.
محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على شرحٍ لأحاديث الصفات التي يظن بعض المبتدعة أن إثبات هذه الأحاديث ينافي التنــزيه، كما اشتمل الكتاب على ردٍ على ابن فورك الأشعري في كتابه "مشكل الحديث وبيانه".

٥٢- المختار في أصول السنة

للإمام الحسن بن البنا الحنبلي البغدادي رحمه الله

دار النشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة. **تاريخ الوفاة:** ٤٧١هـ.
المحقق: عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد البدر. **سنة النشر:** ١٤١٣هـ.
رقم الطبعة: الأولى.
محتويات الكتاب: أكثر هذا الكتاب تلخيص لكتاب "الشريعة" للآجري، وكتاب "التوحيد" من صحيح البخاري، وكتاب "تأويل مشكل الحديث" لابن قتيبة، مع إضافات علمية وفوائد مهمة للمؤلف. وقد سار في الكتاب على نهج المحدثين، وشرح أدلته من الكتاب والسنة على نهج السلف.

٥٣- كتاب الأربعين في دلائل التوحيد

للإمام أبي إسماعيل عبد الله بن الهروي رحمه الله

دار النشر: سلسلة عقائد السلف. **تاريخ الوفاة:** ٤٨١هـ.
المحقق: د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي. **سنة النشر:** ١٤٠٤هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

٧٢- كتاب العرش
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي رحمه الله

دار النشر: مكتبة أضواء السلف – الرياض. **تاريخ الوفاة:** ٧٤٨هـ.
المحقق: محمد بن خليفة التميمي. **سنة النشر:** ١٤٢٠هـ.
رقم الطبعة: الأولى.
محتويات الكتاب: يتناول الكتاب مسألة إثبات علو الله وارتفاعه فوق عرشه، والاستدلال على ذلك بنصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف، مع إيراد مقالة التعطيل التي ظهرت في أواخر عصر التابعين، ولكن دون التعمق في عرض أقوالهم والرد عليها وإنما الاكتفاء ببيان الحق بأدلته في كل مسألة.

٧٣- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية
(أو) القصيدة النونية
للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة. **سنة النشر:** ١٤٠٧هـ.
المحقق: د. محمد خليل هراس كما قام بشرحها. **سنة الوفاة** : ٧٥١هـ.
رقم الطبعة: الأولى.
محتويات الكتاب: وهي قصيدة طويلة لابن القيم رحمه الله، وتقع في مجلدين، اشتملت على العديد من قضايا الاعتقاد في نظم سهل يسير، وقد عالج فيها العديد من موضوعات العقيدة كالأسماء والصفات ومذهب السلف فيها، مع ذكر الفرق المخالفة في هذا الباب، والرد عليهم، وتزييف آرائهم بأوضح حجة وأقوى برهان.

٧٤- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية
للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.

المحقق: عواد المعتق. **سنة الوفاة:** ٧٥١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب أساسًا إثبات صفة استواء الله تعالى على عرشه، وعرض شبهات المعطلة الذين يتأولون هذه الصفة، والرد عليهم من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

٧٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل
للإمام ابن القيم رحمه الله

دار النشر: المطبعة الحسينية المصرية. **سنة النشر:** ١٣٢٣هـ.

المحقق: السيد محمد بدر الدين أبو فراس. **سنة الوفاة:** ٧٥١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب ركن الإيمان بالقضاء والقدر، ومراتب القدر، وأوقاته، ووجوب الإيمان به، وحكمة الله فيه، وأفعال العباد بين الكسب والجبر.

٧٦- علامات يوم القيامة
للإمام ابن كثير رحمه الله

دار النشر: مكتبة القرآن - القاهرة. **تاريخ الوفاة:** ٧٧٤هـ.

المحقق: عبد اللطيف عاشور. **رقم الطبعة:** الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذه الرسالة ما ورد عن أخبار الساعة، وما يتقدمها من فتن وآيات وأشراط، وقد استدل على ذلك بالآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين.

٧٧- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها
ابن رجب الحنبلي رحمه الله

دار النشر: دار ابن رجب. **تاريخ الوفاة:** ٧٩٥هـ.

المحقق: أبو إسحق السمنودي. **سنة النشر**: ١٤٢١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: تتناول هذه الرسالة الصغيرة الأحاديث الواردة فيمن أتى بكلمة التوحيد ودخوله الجنة وتحريمه على النار، وأقوال العلماء في المراد من هذه الأحاديث، مع شـــرح لمعنى الشهادتين، وذكر فضائل هذه الكلمة في الدنيا والآخرة.

٧٨- إيثار الحق على الخلق
للعلامة ابن الوزير اليماني رحمه الله

دار النشر: الدار اليمنية للنشر. **تاريخ الوفاة**: ٨٤٠هـ.

المحقق: أحمد مصطفى حسين صالح. سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتألف الكتاب من قسمين: الأول يشتمل على خمسة أبواب هي: إثبات العلوم - إثبات الطرق الموصلة إلى الله - مناهج الرسل والسلف في معرفة الله - إثبات التوحيد والنبوات - الاحتراز من البدع، أم القسم الثاني فيتناول معرفة الله تعالى وحكمته ومشيئته ومحبته، مع بعض المسائل الأخرى كالولاء والبراء والتكفير، والقول في أطفال المشركين.

٧٩- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم
للعلامة ابن الوزير اليماني رحمه الله

دار النشر: الدار اليمنية للنشر. **تاريخ الوفاة**: ٨٤٠ هـ.

المحقق: شعيب الأرناؤوط. سنة النشر: ١٤١٢هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في تسعة مجلدات، وقد تعرض فيه مؤلفه إلى كثير من مباحث العقيدة والحديث والأصول، بطريقة جمع فيها بين الرواية والدراية، وأحاط بمذاهب المتقدمين والمتأخرين.

٨٠ـ لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية
شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية
محمد بن أحمد السفاريني رحمه الله

دار النشر: مكتبة الرشد - الرياض. **تاريخ الوفاة:** ١١٨٨هـ.

المحقق: عبد الله بن محمد بن سليمان البصيري. **سنة النشر:** ١٤١٥هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يقع الكتاب في مجلدين، وهو شرح لقصيدة أبي بكر بن أبي داود في العقيدة، وتضمنت أمهات المسائل في العقيدة، وخاصة تلك التي جرى فيها الخلاف بين أهل السنة والمبتدعة. وانتهج المؤلف شرح كلمات القصيدة لغة واصطلاحًا ثم التوسع في المعنى الذي سيق من أجله كل بيت وصلته بمسائل العقيدة، مع الاستدلال بالكتاب والسنة والآثار.

٨١ـ أصول الإيمان
للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

دار النشر: دار حراء - القاهرة. **تاريخ الوفاة:** ١٢٠٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٧هـ.

محتويات الكتاب: رسالة مختصرة اشتملت على جملة من الآيات والأحاديث رتبها المؤلف ضمن أبواب مختصرة مثل: معرفة الله ﷻ، والإيمان بالقدر، وذكر الملائكة، وحقوق النبي ﷺ، والحث على لزوم السنة، والحث على طلب العلم.

٨٢- الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للإمام الشوكاني رحمه الله(١)

دار النشر: عطية محمد علي الكتبي. **تاريخ الوفاة:** ١٢٥٠هـ.
رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر:** ١٣٥٠هـ.

محتويات الكتاب: جاء الكتاب جوابًا لسؤال سائل عن التوسل والاستغاثة بالأموات وسائر شركيات القبور، فأجاب المصنف جوابًا شافيًا، وردَّ الشبهات بتفصيل، مبينًا ألوان الشرك العملي والاعتقادي، مع الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، وعدم الاكتفاء بمجرد النطق بكلمة التوحيد دون العمل.

٨٣- إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات للإمام الشوكاني رحمه الله

دار النشر: دار الكتب العلمية — بيروت. تاريخ الوفاة: ١٢٥٠هـ.
المحقق: جماعة من العلماء. سنة النشر: ١٤٠٤هـ.
رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول المصنف في هذه الرسالة المختصرة ثلاثة مقاصد اجتمعت عليها شتى الشرائع، وهي: إثبات التوحيد، وإثبات المعاد، وإثبات النبوات، وفيها التبشير بنبوة محمد ﷺ في التوراة والإنجيل.

---

(١) رجع الشوكاني رحمه الله في مصنفاته الأخيرة عن مذهب المتكلمين في إثبات مسائل العقيدة والصفات، واتبع منهج أهل السنة والجماعة في الجملة.

٨٤ـ التحف في مذهب السلف
للإمام الشوكاني رحمه الله

دار النشر: شركة السلام العالمية. **تاريخ الوفاة:** ١٢٥٠هـ.

المحقق: عبد الله حجاج. **سنة النشر:** ١٤٠٨هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: جمع المصنف في هذه الرسالة أقوال فقهاء الدين وعلماء المحدثين في آيات الصفات، وأوضح أن مذهبهم هو إيراد الصفات على ظاهرها دون تحريف ولا تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل، وذلك دون تكييف ولا تكلف، كما ذكر المؤلف تجربته في علم الكلام وتوبته من ذلك.

٨٥ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد
للعلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله

دار النشر: مؤسسة قرطبة — القاهرة. **تاريخ الوفاة:** ١٢٨٥هـ.

المحقق: أشرف عبد المقصود. **سنة النشر:** ١٤١٨هـ.

رقم الطبعة: الثانية.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب هو الحلقة الثانية في سلسلة الشروح التي قام بها أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله على كتاب جدهم في التوحيد، حيث يعد كتاب "تيسير العزيز الحميد" لسليمان بن عبد الله آل الشيخ أصل هذه الشروح، وبمثابة الحلقة الأولى في هذه السلسلة، إلا أن مصنفه أكثر فيه من الإطناب والتكرار وتوفي قبل أن ينتهي منه، فجاء كتاب "فتح المجيد" لتهذيبه وتقريبه وتكميله وإضافة الكثير من الأقوال المستحسنة لأئمة أهل السنة تميمًا لفائدة كتاب التوحيد.

٨٦ـ قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر
للعلامة محمد صديق خان القنوجي رحمه الله

دار النشر: دار الكتب السلفية. **تاريخ الوفاة:** ١٣٠٧هـ.

المحقق: د. عاصم بن عبد الله القريوتي. **سنة النشر:** ١٤٠٤ هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: يتناول الكتاب أسماء الله تعالى وصفاته، والإيمان بالملائكة، واليوم الآخر، والقدر، كما يتناول بعض المسائل كالنذر والتوسل وكرامات الأولياء، ويعرض بعض عقائد أهل السنة كعقيدتهم في الصحابة والمسح على الخفين، وهجر أهل البدع.

٨٧ـ دلائل التوحيد
للعلامة محمد جمال الدين القاسمي رحمه الله

دار النشر: مكتبة الثقافة الدينية. **تاريخ الوفاة:** ١٣٣٢هـ.

المحقق: محمد حجازي. **سنة النشر:** ١٤٠٦هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: أقام المصنف كتابه على البراهين الدالة على وجود الله ﷻ وربوبيته، والرد على الملحدين الماديين وإبطال شبهاتهم، ثم بيان آيات نبوة محمد ﷺ وبراهينها.

٨٨ـ التوضيح والبيان لشجرة الإيمان
للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مطابع الإشعاع – الرياض. **تاريخ الوفاة:** ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٥هـ.

محتويات الكتاب: ينقسم الكتاب إلى ثلاثة فصول: الأول عن حد الإيمان وتفسيره، وزيادته ونقصانه، والثاني في ذكر الأمور التي يُستمد منها الإيمان، وبيانها بالإجمال والتفصيل، والثالث في فوائد الإيمان وثمراته في الدنيا والآخرة.

٨٩- الدرة البهية شرح القصيدة التائية

في حل مشكلة القدرية

العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مكتبة المعارف - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٦هـ.

محتويات الكتاب: تُعد هذه الرسالة شرحًا للمنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، التي حقق فيها مسألة القضاء والقدر؛ ردًّا على أبيات نظمها أحد الدعاة إلى مذهب الجبرية، يثير فيها الشبهات على عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر، مشككًا في هذا الأصل من أصول الدين.

٩٠- توضيح الكافية الشافية

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن الجوزي. **تاريخ الوفاة**: ١٣٧٦هـ.

سنة النشر: ١٤٠٧هـ.

محتويات الكتاب: هذا الكتاب شرح لنظم القصيدة النونية لابن القيم، وقد تفرد بكونه تحويلاً للنظم الشعري إلى معناه المنثور فحسب، من غير زيادة على ما دل عليه، وذلك باستخدام أسهل العبارات وأوضحها، مع البراهين النقلية والعقلية والرد على أصناف المبتدعين.

٩١- معارج القبول شرح سلم الوصول
إلى علم الأصول في التوحيد
للعلامة حافظ بن أحمد حكمي رحمه الله

دار النشر: مكتبة نزار مصطفى الباز. **تاريخ الوفاة:** ١٣٧٧هـ.

رقم الطبعة: الأولى. **سنة النشر:** ١٤١٧هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب من أجمع كتب العقائد للمتأخرين، وقد تناول فيه المصنف موضوع التوحيد بنوعيه في المعرفة والإثبات وفي الطلب والقصد، كما اشتمل على شرح درجات الدين الثلاثة: الإسلام (وأركانه الخمسة) والإيمان (وأركانه الستة) والإحسان، وعرض لفصول في معرفة النبي ﷺ، وتوقير الصحابة رضي الله عنهم، والتمسك بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما.

٩٢- حاشية كتاب التوحيد
للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله

رقم الطبعة: الثالثة. تاريخ الوفاة: ١٣٩٢هـ.

سنة النشر: ١٤٠٨هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب شرحًا موجزًا محكمًا لمتن كتاب التوحيد الذي صنفه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وقد انتخب صاحب هذه الحاشية جملة من نقول شراح كتاب التوحيد، وأضاف عليها لتسهل دراستها على الطالب(١).

٩٣- حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية
للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رحمه الله

رقم الطبعة: الثانية تاريخ الوفاة: ١٣٩٢هـ.

---

(١) راجع النبذة المذكورة عن كتاب التوحيد في القسم الأول.

سنة النشر: ١٤١٦هـ.

محتويات الكتاب: يعد هذا الكتاب شرحًا موجزًا للأبيات التي نظمها الشيخ محمد ابن أحمد السفاريني رحمه الله في مسائل العقيدة، والمعروفة باسم "الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية"، وقد تضمنت هذه الحاشية تعليقات مختصرة على كل بيت من قصيدة الناظم لشرح معناها بإجمال(١).

٩٤ـ الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً للعلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله

دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة. **تاريخ الوفاة**: ١٣٩٣هـ.

المحقق: حسن السماحي سويدان. **سنة النشر**: ١٤١١هـ.

رقم الطبعة: الأولى.

محتويات الكتاب: ساق المؤلف الأسس التي يقوم عليها بحث الصفات، مع عرض أقسام الصفات من صفات المعاني، والأفعال، والصفات السلبية والمعنوية، ثم تعرض لقضية التأويل ومعانيه عند الأصوليين، وما يجب على المسلم أن يعتقده في باب الصفات.

٩٥ـ عقيدة المسلمين والرد على الملحدين والمبتدعين للعلامة صالح بن إبراهيم البليهي رحمه الله

دار النشر: دار مسلم - الرياض. **تاريخ الوفاة**: ١٤١٠هـ.

رقم الطبعة: الرابعة. **سنة النشر**: ١٤١٦هـ.

---

(١) راجع النبذة المذكورة عن كتاب الدرة المضية في القسم الأول.

محتويات الكتاب: يقع هذا الكتاب في مجلدين، وقد اهتم فيه المصنف بأمرين عظيمين، أولهما: بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، مع سوق الأدلة النقلية والعقلية على صحتها، والثاني: الرد على الملحدين والمبتدعين في مسائل العقيدة بالبرهان والدليل. وقد امتاز الكتاب بسهولة الأسلوب، ووضوح العبارة، واستخدام أسلوب الإقناع بحيث يفقه قوله كل قارئ.

٩٦- مذكرة التوحيد
عبد الرزاق عفيفي رحمه الله

دار النشر: دار الوطن. **تاريخ الوفاة:** ١٤١٩هـ.
رقم الطبعة: الأولى **سنة النشر:** ١٤١٣ هـ
محتويات الكتاب: وهي مجموعة من الرسائل تتناول الأدلة على إثبات وجود الله، وأنواع التوحيد، وأقسام الوحي، والفرق بين النبي والرسول، وأنواع المعجزات، وأخيرًا الطريقة المثلى للدعوة إلى الله.

٩٧- تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد
للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

دار النشر: المكتب الإسلامي – بيروت. **تاريخ الوفاة:** ١٤٢٠هـ.
سنة النشر: ١٤٠٣هـ.
محتويات الكتاب: يعرض الكتاب للأحاديث الواردة في النهي عن اتخاذ المساجد على القبور، ومعناه، وحكمه، وحكمته، وحكم الصلاة في هذه المساجد، مع بيان الحكم الاستثنائي للمسجد النبوي، والإجابة عن الشبهات في هذا الموضوع.

محتويات الكتاب: اشتمل الكتاب على مقدمة التحقيق وترجمة لمؤلف العقيدة الواسطية شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأخرى للشارح الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، ثم مقدمة للشارح شرح فيها مقدمة ابن تيمية وتحدث عن أصول الإيمان السنة وموقف أهل السنة والجماعة من الإيمان بصفات الله، ثم شرع المؤلف رحمة الله في شرح فصول ومباحث كتاب الواسطية فبدأ بفصل آيات الصفات، ثم أحادية الصفات، ثم ما يدخل في الإيمان بالله وكتبه وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر، ثم بيان بعض أصول أهل والجماعة كقولهم إن الإيمان قول وعمل، وسلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ، ثم بيان بعض صفات أهل السنة والجماعة ولم سموا بهذا الاسم، ثم بيان مكملات العقيدة من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي يتحلى بها أهل السنة، وأخيرًا خاتمة الكتاب والفهارس العامة له.

خــاتمة

أحمد الله تعالى على انتهائي كما حمدته في ابتدائي، وأصلي وأسلم على البشير الهادي، وعلى آله وأصحابه وأتباعه من كل حاضر وباد، وبعد:

فقد اجتمع في رحلة هذا البحث جملة من النتائج المهمة يمكن تحديدها في النقاط التالية:

١- أطلق السلف لفظة "السنة" على أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد، والأحكام القطعية في الدين، وكثير من المتأخرين خصها بما يتعلق بالاعتقاد، والسبب في ذلك أن السنة من مصادر التلقي للعقيدة الصحيحة.

٢- قد تطلق السنة باصطلاح أعم يشمل كل ما كان عليه النبي ﷺ من العلم والعمل، والهدي الظاهر والباطن في أصول الدين وفروعه.

٣- الجماعة هم الذين اجتمعوا على أمير على مقتضى الشرع، وهذه الجماعة يجب لزومها، ويحرم الخروج عليها وعلى أميرها جار أو عدل.

٤- أهل السنة والجماعة هم: المستمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك، وهم الصحابة والتابعون، وأئمة الهدى المتبعون لهم، ومن سلك سبيلهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى يوم الدين.

٥- سمّي أهل السنة والجماعة بذلك لأنهم يتبعون سنة النبي ﷺ، ويعتبرون الكتاب والسنة والإجماع مصادر معصومة من الضلال، فبها يأخذون وعليها يعتمدون، وهم مجتمعون مع أئمتهم يجاهدون معهم ويقومون بواجب الأمر والنهي، ويحرصون على الاتباع والاجتماع، ينهون عن الفرقة والابتداع.

٦- تستند مشروعية تسمية أهل السنة والجماعة إلى دلالة الكتاب،

وصريح السنة، وآثار الصحابة والسلف. ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم وتسميتهم قديمة كذلك تبدأ ببداية الإسلام، لأن أهل السنة على الحقيقة هم أهل الإسلام، المتبعون لسيد الأنام ﷺ.

٧- الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وأهل السنة والجماعة، وأهل الحديث، مصطلحات شرعية مترادفة في معناها، وعند إطلاقها يدخل بعضها في بعض.

٨- السلف في اصطلاح علماء العقيدة هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم، وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وفضلهم.

٩- كل من رضي بالله وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولاً، مقبلاً على الالتزام بالإسلام جملةً، وعلى التحكيم لشريعته مطلقًا، وبرئ من تبني مذهب بدعي، أو الانتساب إلى فرقة ضالة، فهو من أهل السنة، وهذا يشمل عوام المسلمين المتبعين لأهل العلم.

١٠- كمال الانتساب إلى أهل السنة والجماعة يكون بتحقيق المنهجية التي تعني العودة بأصول الفهم والتلقي إلى الكتاب والسنة، مع تعظيم قدر السلف، واعتماد مرجعيتهم، وضبط وإحكام القواعد والأصول في العقيدة، والعلم والاتباع، والعبادة والتربية، والأمر والنهي، والبصيرة بالواقع.

١١- علم التوحيد هو العلم بالأحكام الشرعية العقدية المكتسب من الأدلة المرضيّة، وردّ الشبهات وقوادح الأدلة الخلافية، وهو يبحث في ذات الله وما يجب له وما يجوز وما يمتنع، وهو يقوم على دعامتين هما التصديق بجملة من العقائد المتعلقة بالله تعالى وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقضاء والقدر، والقدرة التامة على إثبات تلك العقائد الصحيحة بإيراد الحجج عليها

ودفع الشُبه عنها.

١٢- من الأسماء المعتبرة لعلم التوحيد عند أهل السنة والجماعة: العقيدة، والإيمان، والسنة، وأصول الدين، والشريعة، والفقه الأكبر.

١٣- علم الكلام هو أشهر الأسماء التي تطلقها الفرق على علم التوحيد، واختلف في سبب هذه التسمية على أقوال متعددة، ويرى أهل السنة أنها تسمية مبتدعة، وإن استعملها بعضهم فهذا فيه نوع مسامحة، وهو خلاف الصحيح والمعتمد عندهم.

١٤- الفلسفة إعمال للعقل في الإلهيات وسائر الغيبيات بلا أي منطلقات سابقة من دين أو وحي، ولذلك فقد ضل من سمي بفلاسفة المسلمين فأنكروا البعث والمعاد، وقالوا بقدم العالم، وجاءوا بالكفريات، ولذلك تعد تسمية علم التوحيد بالفلسفة تسمية للإيمان بضده.

١٥- موضوع علم التوحيد هو الإلهيات أو البحث في ذات الله من حيث ما يتصف به، وما يتنـــزه عنه، وحقه على عباده، والنبوات أو البحث في ذوات الأنبياء من حيث ما يلزمهم وما يجوز في حقهم وما يستحيل، وما يجب لهم على أتباعهم، وقضايا الغيب واليوم الآخر من حيث اعتقادها والتصديق بها، وبيان نواقض التوحيد وقوادحه.

١٦- تعلم علم التوحيد منه ما هو فرض عين، ومنه ما هو فرض كفاية، ففرض العين منه هو ما تصح به عقيدة المسلم في ربه، وأما فرض الكفاية فما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل، وتحصيل القدرة على رد الشبهات، وإلزام المعاندين وإفحام المخالفين.

١٧- يشترط للتكليف بالتوحيد: العقل ويقصد به الوصف الذي يتميز به

الإنسان عن سائر الحيوان، والبلوغ ويقصد به انتهاء حد الصغر، وسلامة إحدى حاستي السمع أو البصر، وبلوغ الدعوة وقيام الحجة؛ فلا حساب ولا عذاب إلا بعد قيام الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبلوغ العلم.

١٨- الناس بحسب بلوغ الدعوة وقيام الحجة ينقسمون إلى: أهل القبلة وهم الذين بلغتهم الدعوة فآمنوا وشهدوا بالتوحيد وماتوا على ذلك، وأهل الفترة وهم كل من لم تبلغه دعوة الرسل، ولم تقم عليه الحجة، أو عاشوا بين موت رسول وبعثة رسول آخر، ولم تبلغهم دعوة الأول، والكفار وهم كل من سمع بدين الإسلام ونبيه ﷺ فلم يؤمنوا.

١٩- علم التوحيد قد حاز الشرف الكامل دون سائر العلوم؛ لأنه متعلق بأشرف ذات وأكمل موصوف وهو الله عز وجل، ولأن معلومه هو مراد الله الشرعي الدال عليه وحيه وكلامه، ولأن الحاجة إليه عظيمة، فقد طلبه الله وأمر به كل مكلف وأثنى على أهله على لسان جميع الرسل، فسعادة البشرية في الدنيا والآخرة متوقفة عليه.

٢٠- يستمد علم التوحيد من الكتاب والسنة، وإنما يتم ذلك بمعرفة مناهج الاستنباط وطرائق الاستدلال واستخراج الأحكام عند أهل السنة والجماعة، وأما أنواع أدلته المرضية فهي: صحائح المنقول، والاجماع المتلقى بالقبول، والعقل السليم، والفطرة السوية.

٢١- علم التوحيد فن مستقل بذاته قائم بنفسه، له أصوله ومصادره، ومناهجه ومسائله، ولا يغني عنه غيره، وهو كالأساس لعلوم الإسلام الأخرى.

٢٢- مر علم التوحيد في وضعه وتدوينه بطورين: طور الرواية في عهد الرعيل الأول من الصحابة إذ كانوا يتلقون الوحيين عن الرسول ﷺ، ثم طور

التدوين الذي بدأ في حياة التابعين بكتابة السنة، ثم جاء دور التصنيف في زمن تابع التابعين فكان كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة هو أول مدوّن في العقيدة، ثم تتابع التأليف بعد أبي حنيفة.

٢٣- ثمرة علم التوحيد في الدنيا هي السعادة والحياة الطيبة المطمئنة، والعيش في عزة وشرف وكرامة، وزيادة القوة العلمية والعملية للمؤمن الموحد، أما في الآخرة فامتناع الخلود في النار لمن ظلم نفسه، ودخول الجنة ابتداء للمقتصد، والفوز بالدرجات العلى لمن سبق بالخيرات.

٢٤- من ثمرات علم التوحيد: حفظ هذا العلم بحفظ قواعده وأصوله ومسائله، وفي هذا حفظ للدين نفسه، وتحصيل القدرة على إرشاد المسترشدين، وهداية المنحرفين، والوقوف أمام التيارات الإلحادية والأهواء البدعية.

٢٥- مسائل علم التوحيد هي معرفة أحكام القضايا الاعتقادية المتعلقة بالله تعالى وملائكته ورسله واليوم الآخر والغيبيات، من حيث الوجوب والجواز والاستحالة، وما توقفت عليه تلك الأحكام لاستفادتها على منهج أهل السنة والجماعة.

٢٦- من خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة: التوقيفية؛ وتعني الاعتماد على الكتاب والسنة في تلقي العقيدة بفهم الصحابة، والتسليم لله ولرسوله ﷺ من غير تعرض لنصوص الوحيين بتحريف، أو تأويل، أو تعطيل، أو تكييف، أو تمثيل، واعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد، وسد باب الابتداع والإحداث في الدين.

٢٧- من خصائص العقيدة: الغيبية، وتعني قيام العقيدة على التسليم

بوجود الغيب، كما تعني الإيمان بكل ما ورد في النصوص الشرعية من أمور الغيب، وعدم رد شيء منها أو تأويلها.

٢٨- من خصائص العقيدة: الوسطية، وتعني التوازن بين الأمور المتقابلة والتوسط بين الأطراف المتباعدة على ما تقتضيه النصوص الشرعية، وتقرر عن أهل السنة.

٢٩- من خصائص العقيدة: العقلانية، وتعني موافقة العقل، وإعلاء منــزلته ومكانته، وتوفر طاقته وتصريفها فيما يفيد.

٣٠- الفطرية من أظهر خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة، فقد جاءت سهلة واضحة، لا عسر فيها ولا تعقيد، بعيدة عن الغلو والتشدد في أمر الدين أصولاً وفروعًا، وعن التكلف في طلب علم ما حجب علمه.

٣١- الشمولية من خصائص العقيدة عند أهل السنة لشمولها للتصور الكامل للقضايا الكبرى التي ضل في تصورها كثير من الناس، وشمولها لحياة المسلم من جهاتها المختلفة، فهي شاملة فيما تقوم عليه من أركان الإيمان وقواعده وما يتفرع عنه، وشاملة في نظرتها للوجود كله.

٣٢- من أهم القواعد والضوابط المنهجية في تقرير مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة: الإيمان والتسليم والتعظيم لنصوص الوحيين، وجمع النصوص في الباب الواحد ورد المتشابه إلى المحكم، والصدور في كل ما يلزم اعتقاد عن الوحي الصادق الكتاب والسنة وما يرجع إليهما من إجماع صحيح أو عقل صريح، مع اعتماد فهم السلف الصالح لنصوص الوحي حجة وأمارة على الفهم الصحيح، مع إجراء نصوص الوحي على ظاهرها المتبادر من كلام المتكلم طالما لم تحتف بالنص قرينة تصرفه عن دلالته الظاهرة، ودفع التأويل الفاسد المتعسف، ودرء التعارض بين العقل والنقل؛ لأن من مسائل الشريعة ليس

فيها ما يرده العقل، فإن وجد ما يوهم التعارض فإما أن يكون النقل غير صحيح، أو صحيحًا ليس فيه دلالة صحيحة على المدَّعى، وإما أن يكون العقل فاسدًا بفساد مقدماته، و اعتماد ألفاظ ومصطلحات الكتاب والسنة عند تقرير مسائل الاعتقاد وأصول الدين، والتعبير بها عن المعاني الشرعية، وفق لغة القرآن وبيان الرسول ﷺ، والكف عما لم يرد في الشرع، والسكوت عما سكت عنه الله ورسوله وأمسك عنه السلف، وترك الخوض فيما لا علم للإنسان به من دليل أو أثر.

٣٣- تميز منهج أهل السنة في تدوين العقيدة بإثبات المسائل بأدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وذلك في مقابل منهج الفرق المبتدعة في اتباع قواعد الجدل والمنطق لإثبات مسائل الاعتقاد.

وقد عرض البحث لنماذج من كتب أهل السنة في الاعتقاد على مر العصور، مع دراسة لبعض هذه المصنفات وبيان لأهم خصائصها ومناهجها.

المراجع

المراجـــع

١-**الإبانة عن أصول الديانة**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري.

٢-**الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي.

٣-**إبطال التأويلات لأخبار الصفات**، أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء.

٤-**الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي جلال الدين السيوطي.

٥-**إثبات صفة العلو**، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي.

٦-**اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٧-**الإجماع**، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري.

٨-**الأحاديث المختارة**، أبوعبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المعروف بالضياء المقدسي.

٩-**إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، لتقي الدين أبي الفتح ابن دقيق العيد.

١٠- **أحكام القرآن**، أبو بكر بن العربي المالكي.

١١- **الإحكام في أصول الأحكام**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري.

١٢- **إحياء علوم الدين**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.

١٣- **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**، عبد الله بن مسلم بن قتيبة.

١٤- **أدب الإملاء والاستملاء**، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور النميمي السمعاني.

١٥- **الأدب المفرد**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

١٦- **الأربعين في دلائل التوحيد**، عبد الله بن الهروي أبو إسماعيل.

١٧- **الأربعين في صفات رب العالمين**، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٨- **الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد**، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري.

١٩- **إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات**، محمد بن علي الشوكاني.

٢٠- **أركان الإيمان**، سليمان غاوجي الألباني.

٢١- **إرواء الغليل**، محمد ناصر الدين الألباني.

٢٢- **الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية**، محمد عبد العزيز السلمان.

٢٣- **أساس البلاغة**، لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري.

٢٤- **أساس التقديس**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

٢٥- **الاستقامة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٢٦- **الأسماء والصفات عقلاً ونقلاً**، محمد الأمين الشنقيطي.

٢٧- **إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم**، الحسين بن محمد الدامغاني.

٢٨- **أصول الإيمان**، محمد بن عبد الوهاب.

٢٩- **الأصول الخمسة**، القاضي عبد الجبار.

٣٠- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي.

٣١- **الاعتصام**، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي (الشاطبي).

٣٢- **اعتقاد أئمة الحديث**، أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي.

٣٣- **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث**، أحمد بن الحسين البيهقي.

٣٤- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٣٥- **أعلام النبوة**، أبو الحسن علي بن محمد الماوردي.

٣٦- **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٣٧- **أقاويل الثقات**، مرعي بن يوسف الكَرمي.

٣٨- **الاقتصاد في الاعتقاد**، الحافظ عبد الغني بن سرور المقدسي.

٣٩- **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني.

٤٠- **إلجام العوام عن علم الكلام**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.

٤١- **الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة**، لأبي عبد الله محمد بن عبد الملك ابن مالك الطائي الجياني.

٤٢- **الأم**، الإمام محمد بن إدريس الشافعي.

٤٣- **الانتقاء**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي.

٤٤- **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**، محمد الطيب الباقلاني.

٤٥- **أنوار التنــزيل وأسرار التأويل**، للقاضي ناصر الدين البيضاوي.

٤٦- **أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء**، لقاسم ابن عبد الله بن أمير علي القونوي.

٤٧- **الآيات البينات في عدم سماع الأموات**، نعمان محمد الآلوسي.

٤٨- **إيثار الحق على الخلق**، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل القاسمي العروف بابن الوزير.

٤٩- **إيقاظ أهمم**، صالح العمري.

٥٠- **إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة**، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

٥١- **الإيمان**، أبو بكر عبد الله بن أبي شيبة.

٥٢- **الإيمان**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٥٣- **الإيمان**، محمد بن يحيى بن أبي عمر العَدَني.

٥٤- **أين نحن من أخلاق السلف**، عبد العزيز الجليل وبهاء عقيل.

٥٥- **باعث النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي نقده لمسالك المتكلمين والفلاسفة في الإلهيات**، د. محمد خليل هراس.

٥٦- **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، أبو شامة المقدسي.

٥٧- **بدائع الفوائد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٥٨- **البداية والنهاية**، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

٥٩- **بيان تلبيس الجهمية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٦٠- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محب الدين أبي الفيض محمد مرتضى الزبيدي.

٦١- **تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام**، د. محمد علي أبو ريان.

٦٢- **التاريخ الكبير المعروف بتاريخ ابن أبي خيثمة**، أبو بكر أحمد بن أبي خيثمة زهير بن حرب.

٦٣- **تاريخ جرجان**، أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني.

٦٤- **تاريخ دمشق**، محمد بن سهل بن عساكر.

٦٥- **التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، طاهر بن محمد الإسفراييني.

٦٦- **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق**، فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي.

٦٧- **تجنيد الأجناد وجهات الجهاد**، القاضي بدر الدين بن جماعة.

٦٨- **تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، ناصر الدين الألباني.

٦٩- **تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)**، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي.

٧٠- **تحريم النظر في كتب الكلام**، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي الجَمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي.

٧١- **التحف في مذاهب السلف**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

٧٢- **تحفة الأحوذي**، أبو العلا محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري.

٧٣- **التدمرية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٧٤- **تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم**، بدر الدين بن جماعة الكناني.

٧٥- **ترتيب العلوم**، محمد المرعشي الشهير بساحقلى زاده.

٧٦- **التسعينية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٧٧- **التصديق بالنظر إلى الله تعالى في الآخرة**، أبو بكر محمد بن الحسن الآجري.

٧٨- **التصور الإسلامي للكون والحياة**، د. عثمان جمعة ضميرية.

٧٩- **تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد**، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني.

٨٠- **التعريفات**، علي بن محمد الشريف الجرجاني.

٨١- **تعظيم قدر الصلاة**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي.

٨٢- **تغليق التعليق**، أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني.

٨٣- **تفسير القرآن العظيم**، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي.

٨٤- **التفسير الكبير**، فخر الدين الرازي.

٨٥- **تلبيس إبليس**، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.

٨٦- **تلخيص الحبير في أحاديث الرافعي الكبير**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني.

٨٧- **التمهيد في تخريج الفروع على الأصول**، جمال الدين الأسنوي.

٨٨- **تمهيد لتاريخ الفلسفة**، الشيخ مصطفى عبد الرزاق.

٨٩- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي.

٩٠- **التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية**، عبد العزيز الناصر الرشيد.

٩١- **تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل**، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٩٢- **تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة**، أبو الحسن علي بن محمد عراق الكناني.

٩٣- **تهافت التهافت**، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي.

٩٤- **تهافت الفلاسفة**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.

٩٥- **تهذيب الكمال**، أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن المزي.

٩٦- **تهذيب اللغة**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري.

٩٧- **التوحيد الذي هو حق الله على العبيد**، محمد بن عبد الوهاب ابن سليمان بن مشرف التميمي النجدي.

٩٨- **التوحيد محور الحياة**، د. عمر الأشقر.

٩٩- **التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل**، أبو بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة السلمي.

١٠٠- **التوحيد ومعرفة أسماء الله ﷻ وصفاته**، أبو عبد الله محمد بن إسحق بن محمد بن يحيى بن منده.

١٠١- **التوسل أنواعه وأحكامه**، محمد ناصر الدين الألباني.

١٠٢- **توضيح العقائد النسفية**، د. سليمان خميس.

١٠٣- **توضيح الكافية الشافية**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٠٤- **التوضيح والبيان لشجرة الإيمان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٠٥- **التوقيف على مهمات التعاريف**، لمحمد عبد الرؤوف المناوي.

١٠٦- **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٠٧- **جامع البيان في تفسير القرآن**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري.

١٠٨- **الجامع الصحيح**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي.

١٠٩- **الجامع الصحيح**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي.

١١٠- **جامع العلوم والحكم**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

١١١- **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمري القرطبي الأندلسي.

١١٢- **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

١١٣- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت الخطيب البغدادي.

١١٤- **الجامع**، لابن أبي زيد القيرواني.

١١٥- **الجرح والتعديل**، أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم بن إدريس الرازي التميمي.

١١٦- **جلاء الأفهام**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١١٧- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، شيخ الإسلام أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية.

١١٨- **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١١٩- **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٢٠- **حاشية ابن القيم**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٢١- **حاشية الخرشي على مختصر خليل**، عيسى محمد الخرشي.

١٢٢- **حاشية الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، عبد الرحمن بن محمد ابن قاسم.

١٢٣- **حاشية رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**، محمد أمين عمر ابن عبد العزيز عابدين الدمشقي.

١٢٤- **حاشية كتاب التوحيد**، عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

١٢٥- **الحجة في بيان المحجة في شرح التوحيد ومذهب أهل السنة**، قوّام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن طاهر التيمي الطلحي الأصبهاني.

١٢٦- **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، أبو يحيى زكريا بن محمد ابن زكريا الأنصاري.

١٢٧- **حكم الانتماء إلى الفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية**، د. بكر ابن عبد الله أبو زيد.

١٢٨- **حلية الأولياء**، أبو نعيم الأصفهاني.

١٢٩- **خصائص أهل السنة**، د. أحمد فريد.

١٣٠- **الخصائص الكبرى**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

١٣١- **خلق أفعال العباد**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي.

١٣٢- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

١٣٣- **الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد**، محمد بن علي الشوكاني.

١٣٤- **درء تعارض العقل والنقل**، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

١٣٥- **الدراية في تخريج أحاديث الهداية**، لأبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني.

١٣٦- **الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل مشكلة القدرية**، عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

١٣٧- **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، عبد الرحمن بن قاسم.

١٣٨- **دعوة التوحيد..أصولها والأدوار التي مرت بها ومشاهير دعاتها**، د. محمد خليل هراس.

١٣٩- **دلائل التوحيد**، محمد جمال الدين القاسمي.

١٤٠- **الدين الخالص**، الشيخ صديق حسن خان.

١٤١- **الدين**، د. محمد عبد الله دراز.

١٤٢- **ذم التأويل**، محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجَمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي.

١٤٣- **ذم الكلام**، عبد الله بن محمد بن علي الهروي.

١٤٤- **الذيل على طبقات الحنابلة**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

١٤٥- **رؤية الله تبارك وتعالى**، ابن النحاس.

١٤٦- **رؤية الله**، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني.

١٤٧- **الرحلة في طلب الحديث**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

١٤٨- **رد النصوص**، سعد الدين التفتازاني.

١٤٩- **الرد على الجهمية**، عثمان بن سعيد الدارمي.

١٥٠- **الرد على الجهمية**، محمد بن إسحق بن مَنْدَه.

١٥١- **الرد على الزنادقة والجهميه**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي.

١٥٢- **الرد على القائلين بوحدة الوجود**، علي بن سلطان الهروي الحنفي.

١٥٣- **الرد على من أنكر الحرف والصوت**، أبو نصر السجزي.

١٥٤- **الرد على من يقول القرآن مخلوق**، أحمد بن سلمان النجاد أبو بكر.

١٥٥- **رسائل في العقيدة**، محمد بن صالح بن عثيمين.

١٥٦- **رسالة التوحيد**، محمد عبده.

١٥٧- **الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات**، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

١٥٨- **الرسالة**، محمد بن إدريس الشافعي.

١٥٩- **الرضا عن الله بقضائه**، عبد الله بن أبي الدنيا البغدادي.

١٦٠- **رفع اليدين**، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري.

١٦١- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي.

١٦٢- **الروح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٦٣- **رياض الصالحين**، أبو زكريا محي الدين بن شرف النوري.

١٦٤- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

١٦٥- **الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي**، لأبي المنصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري الهروي.

١٦٦- **الزهد**، هناد بن السري الكوفي.

١٦٧- **الزهد**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي.

١٦٨- **الزوائد**، وهي ما زاده عبد الله بن أحمد بن حنبل على مسند أبيه.

١٦٩- **سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك**، حمد ابن علي بن عتيق.

١٧٠- **سلسلة الأحاديث الصحيحة**، محمد ناصر الدين الألباني.

١٧١- **السنة**، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال.

١٧٢- **السنة**، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني.

١٧٣- **السنة**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني البغدادي.

١٧٤- **السنة**، أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي.

١٧٥- **السنة**، محمد بن نصر المروزي.

١٧٦- **السنن الكبرى**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي

١٧٧- **السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها**، أبو عمرو عثمان بن سعيد المقرئ الداني.

١٧٨- **السنن**، أبو داود سليمان بن الأشعث.

١٧٩- **السنن**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

١٨٠- **السنن**، أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي ابن ماجه.

١٨١- **السنن**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي.

١٨٢- **سير أعلام النبلاء**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

١٨٣- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، هبة الله بن الحسن ابن منصور الرازي الطبري اللالكائي الحافظ.

١٨٤- **شرح الأصول الخمسة**، القاضي عبد الجبار الهمداني.

١٨٥- **شرح السنة**، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري.

١٨٦- **شرح السنة**، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

١٨٧- **شرح الصدور بتحريم رفع القبور**، محمد بن علي بن محمد الشوكاني.

١٨٨- **شرح العقائد النسفية**، سعد الدين التفتازاني.

١٨٩- **شرح العقيدة الأصفهانية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

١٩٠- **شرح العقيدة الطحاوية**، أبو الحسن علي بن علاء الدين المعروف بابن أبي العز.

١٩١- **شرح العقيدة الواسطية**، د. محمد خليل هراس.

١٩٢- **شرح الفقه الأكبر**، ملا علي القاري الحنفي.

١٩٣- **شرح الكوكب المنير المسمى بمختصر التحرير**، محمد بن أحمد الفتوحي الحنبلي المعروف بابن النجار.

١٩٤- **شرح جوهرة التوحيد**، إبراهيم بن محمد البيجوري.

١٩٥- **شرح صحيح مسلم**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف الدين النووي الشافعي.

١٩٦- **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري**، عبد الله الغنيمان.

١٩٧- **شرح متن السنوسية**، محمد بن يوسف السنوسي.

١٩٨- **شرح مختصر المنتهى**، العضد.

١٩٩- **الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة**، عبيد الله محمد بن بطة.

٢٠٠- **شرف أصحاب الحديث**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

٢٠١- **الشريعة**، أبو بكر محمد بن الحسن الآجري.

٢٠٢- **شعار أصحاب الحديث**، محمد بن أحمد بن إسحاق الحاكم.

٢٠٣- **شعب الإيمان**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.

٢٠٤- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٢٠٥- **الشمائل**، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي.

٢٠٦- **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٢٠٧- **الصارم المنكي**، أبو عبد الله محمد بن عبد الهادي الحنبلي.

٢٠٨- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، إسماعيل بن حماد الجوهري.

٢٠٩- **صحيح ابن حبان**، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي.

٢١٠- **صحيح ابن خزيمة**، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري.

البغدادي.

٢٣٩- **العلم أصوله ومصادره ومناهجه**، محمد الخرعان.

٢٤٠- **علم العقيدة بين الأصالة والمعاصرة**، د. أحمد السايح.

٢٤١- **العلو للعلي الغفار**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي.

٢٤٢- **عمل اليوم والليلة**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي.

٢٤٣- **العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم**، محمد بن المرتضى الوزير اليماني.

٢٤٤- **عون المعبود**، أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي.

٢٤٥- **غريب الحديث**، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي.

٢٤٦- **الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل**، عبد القادر الجيلاني.

٢٤٧- **فتاوى ابن الصلاح**، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن الصلاح.

٢٤٨- **فتاوى العقيدة**، محمد بن صالح بن العثيمين.

٢٤٩- **فتاوى مهمة لعموم الأمة**، عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٢٥٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أبو الفضل شهاب الدين أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني.

٢٥١- **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**، محمد ابن علي بن محمد الشوكاني.

٢٥٢- **الفتح المبين لشرح الأربعين**، شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمي.

٢٥٣- **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.

٢٥٤- **الفتوحات المكية**، محي الدين بن عربي.

٢٥٥- **الفتوى الحموية الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٢٥٦- **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، أبو منصور عبد القاهر ابن طاهر بن محمد البغدادي.

٢٥٧- **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.

٢٥٨- **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري.

٢٥٩- **فضائل الصحابة**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

٢٦٠- **فضل الله الصمد شرح الأدب المفرد**، للجيلاني.

٢٦١- **فضل علم السلف على الخلف**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي.

٢٦٢- **الفقه الأكبر**، أبو حنيفة النعمان بن ثابت.

٢٦٣- **الفقه الأكبر**، محمد بن إدريس الشافعي.

٢٦٤- **الفقيه والمتفقه**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

٢٦٥- **الفوائد**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٢٦٦- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، عبد الرؤوف المناوي.

٢٦٧- **القائد إلى تصحيح العقائد**، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني.

٢٦٨- **القاعدة المراكشية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٢٦٩- **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٢٧٠- **القاموس المحيط**، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي.

٢٧١- **القدر وما ورد في ذلك من الآثار**، عبد الله بن وهب بن مسلم.

٢٧٢- **قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة**، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي.

٢٧٣- **قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر**، محمد صديق خان القنوجي.

٢٧٤- **القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى**، محمد بن صالح العثيمين.

٢٧٥- **قواعد المنهج السلفي**، مصطفى حلمي.

٢٧٦- **الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٢٧٧- **الكامل في ضعفاء الرجال**، أبو أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله ابن محمد الجرجاني.

٢٧٨- **الكبائر**، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي.

٢٧٩- **كبرى اليقينيات الكونية**، محمد سعيد البوطي.

٢٨٠- **كتاب الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته**، أبو عبيد القاسم ابن سلام الهروي.

٢٨١- **كشاف اصطلاحات الفنون**، التهانوي.

٢٨٢- **كشاف القناع عن متن الإقناع**، منصور بن يونس بن إدريس البهوتي.

٢٨٣- **كشف الأسرار على أصول البزدوي**، عبد العزيز البخاري الحنفي.

٢٨٤- **كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان**، الشعراني.

٢٨٥- **كشف الظنون**، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي (حاجي خليفة).

٢٨٦- **كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة**، أبو الفرج عبد الرحمن ابن أحمد بن رجب الحنبلي.

٢٨٧- **الكفاية في علم الرواية**، أبو بكر أحمد بن علي ابن ثابت الخطيب البغدادي.

٢٨٨- **الكلام على الصفات**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي.

٢٨٩- **كلمة الإخلاص وتحقيق معناها**، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب الحنبلي.

٢٩٠- **الكليات**، أبو البقاء الكفوي.

٢٩١- **اللؤلؤ المنظوم في مبادئ العلوم**، محمد أبو عليان الشافعي.

٢٩٢- **لسان العرب**، جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن الأنصاري المعروف بابن منظور.

٢٩٣- **لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة**، للزبيدي.

٢٩٤- **لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد**، محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة المقدسي الجَمّاعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي.

٢٩٥- **لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية في عقيدة أهل الآثار السلفية**، محمد بن أحمد ابن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي.

٢٩٦- **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية**، محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني.

٢٩٧- **مباحث في عقيدة أهل السنة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة منها**، د. ناصر بن عبد الكريم العقل.

٢٩٨- **مباحث في علوم العقيدة**، د. آمنة نصير.

٢٩٩- **المبدع في شرح المقنع**، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عبد الله ابن مفلح الحنبلي.

٣٠٠- **المجالس السنية في الكلام على الأربعين النووية**، أحمد حجازي الفشني.

٣٠١- **المجروحين**، محمد بن حبان بن أحمد أبي حاتم التميمي البستي.

٣٠٢- **مجمع الزوائد**، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي.

٣٠٣- **مجموع الفتاوى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٣٠٤- **مجموعة الرسائل الكبرى**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٣٠٥- **المحاضرات السنية في شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن صالح ابن العثيمين.

٣٠٦- **المحدث الفاضل**، القاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي.

٣٠٧- **المحصول في علم أصول الفقه**، فخر الدين محمد بن عمر الحسين الرازي.

٣٠٨- **المحلى بالآثار**، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري.

٣٠٩- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي.

٣١٠- **المختار في أصول السنة**، الحسن بن البنا الحنبلي البغدادي.

٣١١- **مختصر العلو**، محمد ناصر الدين الألباني.

٣١٢- **مختصر شعب الإيمان للبيهقي**، عمر بن عبد الرحمن القزويني أبو المعالي.

٣١٣- **المختصر في أصول الدين**، القاضي عبد الجبار.

٣١٤- **مدارج السالكين**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم.

٣١٥- **مدارك التنــزيل وحقائق التأويل**، عبد الله بن أحمد النسفي.

٣١٦- **المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة**، إبراهيم محمد البريكان.

٣١٧- **مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية**، عثمان جمعة ضميرية.

٣١٨- **مدخل نقدي لدراسة علم الكلام**، محمد السنهوتي.

٣١٩- **المدونة**، عبد السلام بن حبيب القيرواني الملقب بسحنون.

٣٢٠- **مذكرة في علم التوحيد**، عبد الرزاق عفيفي.

٣٢١- **المراسيل**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني.

٣٢٢- **مسائل الإيمان**، القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي.

٣٢٣- **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

٣٢٤- **المستصفى في علم الأصول**، أبو حامد الغزالي.

٣٢٥- **مسند أبي يعلى**، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي.

٣٢٦- **المسند**، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي.

٣٢٧- **المسند**، أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني البغدادي.

٣٢٨- **المسند**، أبو محمد عبد بن حميد.

٣٢٩- **مشكاة المصابيح**، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي.

٣٣٠- **مصباح الزجاجة**، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكناني.

٣٣١- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي المقرئ.

٣٣٢- **المصنف في الأحاديث والآثار**، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة.

٣٣٣- **معارج القبول شرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد**، حافظ بن أحمد حَكَمي.

٣٣٤- **معال التنزيل**، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي.

٣٣٥- **معالم في أصول الدعوة**، محمد يسري إبراهيم.

٣٣٦- **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

٣٣٧- **المعجم الفلسفي**، إصدار مجمع اللغة العربية.

٣٣٨- **المعجم الكبير**، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني.

٣٣٩- **معجم المقاييس في اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا.

٣٤٠- **المعجم الوسيط**، إصدار مجمع اللغة العربية.

٣٤١- **معرفة الآثار والسنن**، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي.

٣٤٢- **معرفة علوم الحديث**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري.

٣٤٣- **مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج**، محمد الخطيب الشربيني.

٣٤٤- **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني**، أبو محمد عبد الله بن

أحمد ابن قدامة المقدسي.

٣٤٥- **مفاتيح للفقه في الدين**، مصطفي العدوى.

٣٤٦- **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم**، أحمد مصطفى (طاش كبرى زاده).

٣٤٧- **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الملقب بالراغب الأصفهاني.

٣٤٨- **مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة**، د. ناصر عبد الكريم العقل.

٣٤٩- **مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني**، ابن أبي زيد القيرواني.

٣٥٠- **الملل والنحل**، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.

٣٥١- **من أخلاق السلف**، أحمد فريد.

٣٥٢- **مناقب الشافعي**، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي.

٣٥٣- **مناهل العرفان في علوم القرآن**، محمد بن عبد العظيم الزرقاني.

٣٥٤- **المنقذ من الضلال**، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي.

٣٥٥- **منهاج السنة النبوية**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٣٥٦- **منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد**، عثمان بن علي بن حسن.

٣٥٧- **المنهج السلفي**، مفرح بن سليمان.

٣٥٨- **المهذب في فقه الإمام الشافعي**، أبو إسحاق إبراهيم بن علي ابن يوسف الشيرازي.

٣٥٩- **الموافقات**، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي

الشاطبي.

٣٦٠- **الموطأ**، لأبي عبد الله مالك بن أنس، برواية يحيى بن يحيى الليثي.

٣٦١- **موقف ابن تيمية من الأشاعرة**، د.عبد الرحمن المحمود.

٣٦٢- **موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين**، مصطفي صبري.

٣٦٣- **النبوات**، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني.

٣٦٤- **النصيحة في صفات الرب جل وعلا**، أحمد بن إبراهيم الواسطي.

٣٦٥- **نضح الكلام في نصح الإمام**، العز بن عبد السلام.

٣٦٦- **نظريات شيخ الإسلام في السياسة والاجتماع**، المستشرق الفرنسي لاوست، ترجمة محمد عبد العظيم علي، تقديم مصطفى حلمي.

٣٦٧- **نظم الدرر في شرح الفقه الأكبر**، القاضي عبيد الله الحنفي.

٣٦٨- **النظم المتناثر في الحديث المتواتر**، الكتاني.

٣٦٩- **نهاية الإقدام في علم الكلام**، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني.

٣٧٠- **النهاية في غريب الأثر والحديث**، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير.

٣٧١- **النور من كلمات أبي طيفور**، السهلجي.

٣٧٢- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، محمد بن علي ابن محمد الشوكاني.

٣٧٣- **الهداية شرح بداية المبتدي**، أبو الحسين علي بن أبي بكر بن عبد الجليل المرغيناني.

٣٧٤- **الوابل الصيب**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي المعروف بابن القيم

٣٧٥- **وجوب لزوم الجماعة وترك التفرق**، جمال بادي.

٣٧٦- **الوجوه والنظائر لألفاظ القرآن**، لابن الدامغاني.

٣٧٧- **الورع**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.

٣٧٨- **وسطية أهل السنة**، محمد باكريم.

٣٧٩- **يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار**، صديق ابن حسن بن علي القنوجي.

فهرس الكتاب

الباب الثاني: علم التوحيد مبادئ ومقدمات

الفصل الأول: مبادئ علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة

الفصل الثاني: خصائص العقيدة عند أهل السنة والجماعة